

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّنَاءُ لِلتَّائِبِينَ  
فِي  
كُلِّ بِلَادَةٍ



ISBN 978-9922-9468-5-6



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١١٥٥ لسنة ٢٠٢٣

BP193.1.A2 J334 2023

حميد، حسن ياسين- مؤلف.

السنن التاريخية في نهج البلاغة / تأليف، حسن ياسين حميد السعيد -  
الطبعة الأولى. - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج  
البلاغة، ٢٠٢٣ / ١٤٤٤ للهجرة.  
٢٣٢ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٢٠٧)، (مؤسسة علوم  
نهج البلاغة ؛ ٢٢٣)، (سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية، وحدة الدراسات  
التاريخية ؛ ٥٣)

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٢٠٧-٢٢٧).

١. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة -- نهج البلاغة ٢.  
علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة --  
حديث ٣. السنة النبوية -- تاريخ أ. دراسة ل(عمل) : الشريف الرضي، محمد بن  
الحسين، ٣٥٩-٤٠٦ للهجرة -- نهج البلاغة. ب. السعيد، حسن ياسين حميد  
-- مؤلف. ج. نهج البلاغة.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية  
في العتبة الحسينية المقدسة.

السيرة النبوية  
في  
نهج البلاغة

تأليف  
حسين ياسين حميد السعدي

مراجعة وضبط  
اللجنة العلمية في مؤسسة علم نهج البلاغة

إصدار  
مؤسسة علم نهج البلاغة  
العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م



العراق - كربلاء المقدسة - مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الإلكتروني: [www.inahj.org](http://www.inahj.org)

الإيميل: [Info@Inahj.org](mailto:Info@Inahj.org)

تنويه:

إن الأفكار والآراء المذكورة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر

بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

تخلي العتبة الحسينية المقدسة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾

صدق الله العليُّ العظيم

سورة آل عمران: الآية ١٣٧



## مقدمة المؤسسة

### بسم الله الرحمن الرحيم

لحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما أهدى، والشاء بما قدم، من عموم نعم  
ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها، وتام منن والاهاء، والصلاة والسلام على خير الخلق  
أجمعين محمد وآله الطاهرين.

أما بعد:

فلم يزل كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) منهلاً للعلوم من حيث التأسيس  
والتيين ولم يقتصر الأمر على علوم اللغة العربية أو العلوم الإنسانية، بل وغيرها  
من العلوم التي تسير بها منظومة الحياة وإن تعددت المعطيات الفكرية، إلا أن  
التأصيل مثلما يجري في القرآن الكريم الذي ما فرط الله فيه من شيء كما جاء في  
قوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، كذا نجده يجري مجراه في قوله تعالى:  
﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، غاية ما في الأمر أن أهل الاختصاصات في  
العلوم كافة حينما يوفقون للنظر في نصوص الثقلين يجدون ما تخصصوا فيه  
حاضراً وشاهداً فيهما، أي في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية (عليهم  
السلام) فيسارعون وقد أخذهم الشوق لإرشاد العقول إلى تلك السنن والقوانين  
والقواعد والمفاهيم والدلالات في القرآن الكريم وحديث العترة النبوية.

من هنا ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تتناول تلك الدراسات الجامعية  
المختصة بعلوم نهج البلاغة وبسيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب

(عليه السلام) وفكره ضمن سلسلة علمية وفكرية موسومة بـ(سلسلة الرسائل والأطاريح الجامعية) التي يتم عبرها طباعة هذه الرسائل وإصدارها ونشرها في داخل العراق وخارجه، بغية إيصال هذه العلوم الأكاديمية إلى الباحثين والدارسين وإعانتهم على تبين هذا العطاء الفكري والانتهاج من علوم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والسير على هديه وتقديم رؤى علمية جديدة تسهم في إثراء المعرفة وحقولها المتعددة.

وما هذه الدراسة الجامعية التي بين أيدينا لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، إلا واحدة من تلك الدراسات التي وفق فيها الباحث للانتهاج من معين كتاب نهج البلاغة فجزى الله الباحث خير الجزاء وافره.

**السيد نبيل الحسن الكربلائي**

**رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة**

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يرتكز المفهوم التاريخي على جملة مرتكزات علمية تخرج عن نطاق النقل والرواية المجردة لتدور في محاور أخرى يجمعها الأساس العلمي الذي يمثل الشكل المميز لمنهجية التاريخ، فهي منهجية تخضع للقاعدة والقانون، لا كما يخيل للبعض من اقتصارها على ما وصل إلينا من أحداث ونقلت زمن بعد زمن. إن أهم ما يمكن الاستناد إليه في هذا النطاق كصورة إثباتية لتلك العلمية هي السنن التاريخية التي تترجم وتفصح عن الثبات في التاريخ وخضوعه للقواعد والقوانين التي تحكم سيره، ومن هنا فقد طرح القرآن الكريم تلك السنن أسوة بالسنن والقوانين الكونية بهدف تثقيف الفرد وإعداده لرسم مستقبله بشكل منضبط.

وعلى هذا الأساس حرص الإمام علي (عليه السلام) على توظيف هذه السنن في إعداد المجتمع وتربيته وتنمية المفاهيم البناءة فيه وعزل الرواسب والشوائب التي طغت عليه وذلك بتشخيصها وتحديد سبل المعالجة والتصفية لها.

ومن المؤكد أن نهج البلاغة هو العينة الأكثر تمثيلاً والأدق تفصيلاً للتعبير عما أراده الإمام علي (عليه السلام) وما طرحه عن هذا الموضوع، فكانت الدراسة التي بين أيدينا والمعنونة (السنن التاريخية في نهج البلاغة) تعنى بفكر الإمام علي

## ... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

(عليه السلام) من ناحية وبالمنهجية التاريخية وأطرها العلمي المتمثلة بالسنن من ناحية أخرى وهي بلا ريب أداة بناء وضرورة في تحقيق عملية الإصلاح بجوانبها كافة، فالسنن غير متخصصة في جانب معين وإنما متعددة الجوانب، لأن الطرح يتعلق بالمفهوم وفلسفته ومحدداته وضوابطه وآثاره، ومن هنا كانت أهمية الدراسة لعلاقتها بالواقع العملي والنظري وباختلافاته الزمنية، ولا سيما إذا ما علمنا بأن القوانين والقواعد الإلهية واحدة فهي قاسم مشترك لكل البشر بغض النظر عن الزمان والمكان، ومن ثم فإن معرفتها والتثقيف لها له أهمية قصوى في تحليل التاريخ وأحداثه.

وعليه يمكن القول إن الدراسة هدفت إلى تحقيق جملة غايات رئيسية يمكن إدراجها بما يلي:

أولاً: زيادة الوعي بالسنن التاريخية ولفت الأنظار إليها وإدراك فلسفتها وضوابطها ل يتم تسخيرها والعمل بموجبها حتى تنهض الأمة وتتقدم نحو الخير والصالح.

ثانياً: إظهار الجدوية والانضباط في التعامل المقنن مع الجوانب كافة للتصدي للفهم السلبي الذي يعتقد بوجود الصدفة ومن ثم العبث، لأن السنن هي قواعد تاريخية واقعية.

ثالثاً: إظهار الجانب العلمي في التاريخ وإبرازه وأنه يمثل جزءاً تطبيقياً وليس اخبارياً فقط، وإعادة النظر في فلسفة التاريخ بشكل عام، وفق تلك القواعد والسنن.

رابعاً: الكشف عن التدهور والانحطاط الذي يصيب المجتمعات عن طريق تسليط الضوء على أسباب الهلاك في الأمم التي كشفتها السنن التاريخية ومن ثم

حصول التنمية البشرية والسير نحو النجاة والصلاح.

خامسًا: الكشف عن الجانب التربوي والتثقيفي الذي أراده الإمام علي (عليه السلام) وفق الأسس العلمية.

سادسًا: بيان القيمة العلمية لذلك الخطاب الموسوعي المعروف بنهج البلاغة الذي تتعدد مفاهيمه والمجالات المكونة له، وتُكتشف علميًا بمرور الزمن.

قسمت الرسالة إلى أربعة فصول تسبقها مقدمة تعريفية وتليها خاتمة تتضمن أبرز النتائج التي وصل إليها الباحث، وكان الفصل الأول يتكلم عن مفهوم السنن التاريخية، إذ تضمن المبحث الأول معاني السنن اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية، في حين كان الثاني عن مفهوم السنن التاريخية في فكر الإمام علي عليه السلام.

وكان الفصل الثاني بعنوان أنواع السنن التاريخية ومحدداتها، تناول المبحث الأول منه أنواع السنن التاريخية، بينما المبحث الثاني تحت عنوان ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها.

أما الفصل الثالث فتناول آليات طرح السنن التاريخية وأساليبها، إذ كان المبحث الأول بعنوان الآليات والأساليب الترغيبية، فيما كان المبحث الثاني بعنوان الآليات والأساليب الترهيبية.

أما الفصل الرابع فكان آثار السنن التاريخية ومعطياتها، فقد جاء المبحث الأول منه بعنوان آثار جريان السنن التاريخية، فيما كان المبحث الثاني بعنوان آثار تحدي السنن التاريخية.

وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع الحديثة وعلى رأسها القرآن الكريم ولعل أبرز المصادر المعتمدة نهج البلاغة وهو المصدر الأساس

## ... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

للبحث، إذ يحتوي على خطب الإمام علي (عليه السلام) ورسائله التي جمعها الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ).

وتأتي شروح نهج البلاغة بالمرتبة الثانية بالنسبة للأهمية، إذ اعتمدت الدراسة على الشروح القديمة للنهج وكان أبرزها بحسب الاستعمال الأكثر والإضافة للبحث كتاب شرح نهج البلاغة للبحراني (ت ٦٧٩هـ)، وكتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، وكتاب معارج نهج البلاغة للبيهقي (ت ٥٦٥هـ)، وكتاب منهاج البراعة للراوندي (ت ٥٧٣هـ) وكتاب ديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي للعلامة الحسيني (ت ٧٤٩هـ) وغيرها من الشروحات.

بالإضافة إلى الشروحات الحديثة التي اعتمد عليها البحث مثل كتاب في ظلال نهج البلاغة لمغنية (ت ١٤٠٠هـ)، وكتاب منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي (ت ١٣٢٤هـ)، وكتاب شرح نهج البلاغة للموسوي، وكتاب نفحات الولاية لمكارم شيرازي وغيرها الكثير من الشروحات الحديثة.

واعتمدت الدراسة أيضاً على عدد من التفاسير الشريفة التي كان من أهمها التبيان في تفسير القرآن للطوسي (ت ٤٦٠هـ)، وتفسير مجمع البيان للطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، وغيرها الكثير من التفاسير.

كذلك من المصادر الأخرى التي أغنت الدراسة هي كتب الحديث مثل كتاب الكافي للشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)، وتحف العقول عن آل الرسول لابن شعبة الحراني (ت ٤هـ)، وأيضاً استندت الدراسة إلى عدد من المعاجم اللغوية ومنها معجم لسان العرب المحيط لابن منظور (ت ٧١١هـ)، ومعجم العين للفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، والصحاح للجوهري (ت ٣٩٣هـ)، والمخصص لابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، والكثير من المعاجم الأخرى.

## ...مقدمة...

أيضاً استخدمت الدراسة المراجع المتخصصة بالسنن الإلهية مثل السنن التاريخية في القرآن الكريم للسيد محمد باقر الصدر، وكتاب معلمة السنن الإلهية لرشيد كهوس، فضلاً عن البحوث والدراسات المتخصصة الأخرى، وقد وضع ثبت خاص بها في نهاية الرسالة.

ولله الكمال وحده انه ولي التوفيق والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.



# الفصل الأول

مفهوم السنن التاريخية



## المبحث الأول

### معاني السنن اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية

أولاً: السنة في اللغة.

إن دراسة مفهوم السنن يرتبط ببيان ذلك التناغم الواضح بين معناها اللغوي والاصطلاحية وهو أمر دال على الثبات فيها، ما يعكس ذلك الانسجام بين المعنيين، ومن هنا فإن السنة وجمعها سنن، هي الطريقة والسيرة حسنة كانت أم قبيحة<sup>(١)</sup>، إذ جاء في قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله): ((من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))<sup>(٢)</sup>.

وسنة الله تعالى هي أحكامه وأمره ونهيه، وسن الله سنة أي بين طريقاً قويمًا، وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به الرسول (صلى الله عليه وآله) ونهى عنه وندب إليه قولاً وفعلاً مما لم ينطق به الكتاب العزيز ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة<sup>(٣)</sup>.

وقال الجوهري (٣٩٣هـ): (السنة الطريقة المحمودة المستقيمة ولذلك قيل فلان من أهل السنة معناه من أهل الطريقة المستقيمة)<sup>(٤)</sup>، والسنن الطريقة والمثال فيقال

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/٢٢٥.

(٢) مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، ٣/٨٧؛ النسائي، سنن النسائي، ٥/٧٦؛ ابن حبان، صحيح ابن حبان، ٢/١٠١؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٤/١٧٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٣/٢٢٥. وينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٤٥٥.

(٤) الصحاح، ٥/٢١٣٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٣/٢٢٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٨/٣٠٠.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

بنو بيوتهم على سنن واحدة، والسننة الحميدة كانت أو ذميمة وسنة الله حكمه في خليقته<sup>(١)</sup>.

فسنة النبي (صلى الله عليه وآله) طريقته التي كان يحمدها وسنة الله تعالى قد تقال لطريقة حكمته وطريقة طاعته، وفروع الشرائع وإن اختلفت صورها فالغرض المقصود منها لا يختلف ولا يتبدل وهو تطهير النفس<sup>(٢)</sup>.

والسننة هي الطبيعة<sup>(٣)</sup> والوجهة والنهج<sup>(٤)</sup> وامض على سنتك أي على وجهك وقصدك، فالسنن هي القصد وسنن الرجل قصده وهيمته<sup>(٥)</sup>.

ويتضح مما تقدم أن استعمال كلمة سنن بمعنى الطريقة والعادة والسيرة الثابتة التي لا تتغير وهو المعنى الأكثر وروداً في كلام العرب.

كذلك تأتي كلمة السنن والسننة بمعنى الاطراد والتتابع والدوام كما يقول ابن فارس (٣٩٥هـ): (السين والنون اصل واحد مطرد وهو جريان الشيء واطراده في سهولة والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أسننه سنناً إذا أرسلته إرسالاً)<sup>(٦)</sup> وأيضاً قيل إن معناها الدوام، فقولنا سنة معناها الأمر بإدامته ومن قولهم سنن الماء إذا واليت في صبه<sup>(٧)</sup>.

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٤٥٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، مفردات القرآن الكريم، ص ٤٢٩.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٢٢٦/١٣. وينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٤٥٦.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٢٢٦/١٣.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ٢٢٦/١٣. وينظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٤٥٦.

(٦) معجم مقاييس اللغة، ٦٠/٣.

(٧) الزركشي، البحر المحيط، ٢٣٦/٣؛ الشوكاني، أرشاد الفحول، ص ٣٣.

## ... المبحث الأول: معاني السنن اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية ...

هذا الدلالات اللغوية لكلمة السنن مثل الطريقة والسيرة الثابتة والاطراد والتتابع والجريان هي التي نقصدها في هذا البحث وهذه المعان بينها قواسم مشتركة تتكافئ لتعطي المعنى الواضح للسننة، إذ لا يطلق على الطريقة هذا اللفظ إلا إذا كانت في حالة اطراد واستمرار وعدم تغيير.

### ثانياً: السنن التاريخية في الاصطلاح.

لقد تعددت المفاهيم التي ترجمت مصطلح السننة وتنوعت بتنوع أسلوب التعاطي مع الأبعاد الإلهية لتلك السنن، فقد خضعت تلك المعاني لطبيعة ثقافة المتصدي لبيان مفهوم الاصطلاح للسننة التاريخية، إلا أنه في كل الأحوال فإن المحصلة النهائية لا تخرج بذلك المعنى عن مفهوم القانون والناموس<sup>(١)</sup> والنظام الذي يفرض على حاكميته على الفعل البشري، فقد طرحت هذه السنن على أنها ((النواميس التي تسيّر حركة التاريخ وفق منعطفها وعبر مسالكها التي ليس إلى الخروج عليها سبيل لأنها منبثقة من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة فطرة وغرائز وأخلاقاً وافكاراً وعواطف ووجداناً ومن قلب العلاقات والشائج الظاهرة والباطنة الذي يتحرك فيه الإنسان))<sup>(٢)</sup>.

وقد تم الربط في هذا الطرح بين الطبيعية البشرية وبين تلك النواميس ما يعني التناغم بين الفطرة والفكر الإنساني من جهة ومحورية النواميس من جهة أخرى، وذلك الارتباط هو الحاكم في الحدوث والجريان لتلك السنن ولعل ما

---

(١) الناموس: والجمع النواميس وتعني القانون أو الشريعة: (لا يخضع الا لناموس واحد هو ناموس الله: شريعة الله). ينظر: إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ص ٩٥٤؛ أحمد مختار مطر، معجم اللغة العربية المعاصر، ص ٢٢٨٥.

(٢) خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ص ١٠٨.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

يؤكد ذلك أنها جرت على الماضين بسبب ذلك التناغم لهذا قيل في فهم آخر إن السنن التاريخية ((هي النظام الذي جرى عليه أمر الأمم وإن ما يقع للناس في كل زمان ومكان من الوجود في شؤون اجتماعاتهم وحياتهم مطبق لتلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل))<sup>(١)</sup>.

وليس هذا فحسب وإنما نجد التفاعل بين الإنسان والسنن التاريخية قد يأخذ طابعًا خاصًا منسجمًا مع حركة وفعل الإنسان ما يميل عن السنن والقوانين فهي عملية غير جبرية حتى قيل إن السنن التاريخية هي ((ذلك القانون الذي يحكم سير الفعل البشري، وبعبارة أدق هي ذلك القانون من المتنوع من حركة وفعل الإنسان في الطبيعة وهي تعبير عنه في السلب والإيجاب))<sup>(٢)</sup> أو هي ((قانون طبيعي يحكم عالمي النهوض والانهار الأسمى الذي يظهر ويتجلى في المعجزة والصدفة والضرورة والعدل ويتجلى في كل جزء تحرك أو يتحرك فيه الإنسان وظهورها شاهد على نوع هذا التحرك وماهيته وكيفيته ومصداقه))<sup>(٣)</sup> أي إن السنن التاريخية تجري من تحت يد الإنسان وليس فوقه بمعنى أنها ترتبط بفعل الإنسان الذي يكون اختياريًا وليس جبريًا.

وعليه يمكن القول إن السنن التاريخية هي ((القواعد والقوانين الحاكمة للمنظومة الكونية والاجتماعية، والتي لها خواص الثبات والاطراد، سواء ما كان يخص منها الإنسان بشكل مباشر والقوانين التاريخية الحاكمة مثل قانون أو سنة الاستخلاف والتمكين، الاستبدال، التدافع، الاستدراج، الإمهال، التمحيص<sup>(٤)</sup> أو ما يخص التسخير

(١) محمد رضا رشيد، تفسير المنار، ١/ ١٤١.

(٢) الركابي، السنن التاريخية في القرآن المجيد، ص ١٥.

(٣) الركابي، السنن التاريخية في القرآن المجيد، ص ١٥.

(٤) سنأتي إلى مفهومها وتفصيلها في فصل الأنواع.

## ... المبحث الأول: معاني السنن اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية ...

الذي يتعلق بالقوانين الكونية وما سخر للإنسان من مظاهر الطبيعة))<sup>(١)</sup>.

ويتضح من هذه التعريفات أن مفهوم السنن التاريخية مشتق من الرعاية الإلهية للبشر التي عكسها القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>، لأنه قاوم النظرة العفوية والنظرة الغيبية المجردة لتفسير الأحداث، حيث قاوم تفسير الإنسان للأحداث على أساس الصدفة والاستسلام خارج دائرة الأسباب والمسببات لذلك نبه العقل البشري إلى أن هذا الساحة لها سنن وقوانين<sup>(٣)</sup>، وبين القرآن الكريم خصائص هذه السنن من خلال الآيات القرآنية التي توضحها، إذ تتسم السنن الإلهية التاريخية بجملة من الصفات والخصائص التي تميزها عن غيرها وتشكل المظهر الموحد لها ومنها:

أولاً: الاستمرار والاطراد<sup>(٤)</sup>: من أهم الصفات التي تتمتع بها السنن التاريخية هي الاستمرارية، فهي مستمرة في كل زمان ومكان ولا ينقطع جريانها ولا تتخلف حين توافر الأسباب والمسببات لذلك، وجاء بيان تلك الصفة في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾<sup>(٥)</sup> ومعناه إن الله سن هذه السنة في الأمم الماضية كلها إذ لا ينفعهم إيمانهم إذا أرادوا العذاب والمراد بالسنة هنا الطريقة المستمرة من

(١) حميد سراج جابر، حركية سنن القرآن التاريخية في الحيز التطبيقي للعلوم الإنسانية، ص ٦.

(٢) لقد جاءت مادة السنة في ثلاثة عشر موضعاً وكلمة سنن مرتين وجميعها تدل على المعنى الذي نقصده في هذا البحث. ينظر: الأنفال/ ٣٨، الحجر/ ١٣، الإسراء/ ٧٧، الكهف/ ٥٥، الأحزاب/ ٣٨ و٦٢، فاطر/ ٤٣، غافر/ ٨٥، الفتح/ ٢٣، ال عمران/ ١٣٧، النساء/ ٢٦.

(٣) حسن سلمان قبلي، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص ١٨.

(٤) الاطراد: التكرار والجريان والتتابع، ويعني هذا المصطلح عند الفقهاء التابع بتنسيق وانتظام أي عدم تخلف الحكم عند وجود العلة، وعموم الحكم لجميع الجزئيات. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/ ٨٨؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣/ ٢٦٨؛ محمد قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص ٧٣.

(٥) غافر / ٨٥.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

فعله بأعدائه الجاحدين<sup>(١)</sup> وهنا إشارة إلى هذه الصفة وهي الاستمرار والاطراد، وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ مَضَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أي أنّ عادة الله جارية عليهم في الذين تحزبوا على الأنبياء (عليهم السلام) من نصر المؤمنين عليهم وخذلانهم وتدميرهم، لأنّ السنة تقتضي التكرار في العرف<sup>(٣)</sup>، إذ إن استهداف القرآن التأكيد على طابع الاطراد في السنن التاريخية هو استهداف لتأكيد الطابع العلمي لهذه للسنن<sup>(٤)</sup> لأنّ أهم ما يميز القانون العلمي هو التتابع والاطراد وعدم التخلف.

ثانياً: الثبات: الخاصية الأخرى التي تتميز بها السنن التاريخية هي الثبات فهي غير قابلة للتبديل أو التغيير بل ثابتة مستقرة لا يخلفها الله بغيرها، فحكمها واحد لا يتغير، فقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الثبات في أكثر من آية ومنها قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٥)</sup> أي ولن تجد لسنة الله التي سنّها في خلقه تغييراً<sup>(٦)</sup> وأن لا أحد يقدر على تغيير سنة الله وابطالها<sup>(٧)</sup>، فهذه السنة ليست مثل الحكم الذي يبدل وينسخ فإن النسخ يكون في الأحكام، أما الأفعال والأخبار فلا تنسخ<sup>(٨)</sup> وكذلك قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ

(١) الطوسي، التبيان، ١٠٢/٩. وينظر: الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ٤٦١/٨؛ الكاشاني، زبدة التفاسير، ٦٣/٦؛ الواحدي، تفسير الواحدي، ٩٥١/٢.

(٢) الأنفال/٣٨.

(٣) ينظر: الرازي، تفسير الرازي، ١٦٢/١٢؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ١٠٧/٣؛ الألوسي، تفسير الألوسي، ٢٠٦/٩.

(٤) الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص ٦٠.

(٥) الأحزاب/٦٢.

(٦) الطبري، جامع البيان، ٦٠/٢٢.

(٧) الجصاص، احكام القرآن، ٤٨٧/٣؛ السمرقندي، تفسير السمرقندي، ٧٠/٣.

(٨) الرازي، تفسير الرازي، ٢٣١/٢٥.

## ... المبحث الأول: معاني السنن اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية ...

مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا<sup>(١)</sup> ويعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم<sup>(٢)</sup> وتلك السنة لا خلف في وعدها<sup>(٣)</sup>، فهذه دلالات واضحة عن ثبات القواعد والقوانين التاريخية ونفاذها وحمية تطبيقها في كل زمان ومكان بنفس الثبات.

ثالثاً: العموم والشمولية: الصفة الأخرى للسنة التاريخية هي العمومية والشمول فهي قاعدة عامة ليس لها حدود شاملة لكل المقامات والاتجاهات والأقوام والأجناس سواء على المستوى الفردي أم الجماعي لا محابة لجنس أو لون أو ديانة، فالكل أمام القانون الإلهي وتحت طائلة السنن وهو مقتضى العدل الرباني وقد كشف القرآن الكريم عن هذه الخاصية في الآية الكريمة: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> أي لكل أمة في عذابها على تكذيب الرسل في وقت معلوم فلا يتأخرون عن ذلك الوقت ولا يتقدمون عليه بل يهلكهم في ذلك الوقت نفسه<sup>(٥)</sup>، والأمر هنا لا يخص فقط من يكذبون الرسل وإنما أي أمة انحرفت عن مسير الحق، فسوف لا تكون مصونة من العذاب الإلهي الذي هو نتيجة أعمالها، فعندما ينحرف الناس عن قوانين الخلق والطبيعة فسيبددون طاقتهم وملكاتهم في فراغ ويسقطون في النهاية في هاوية الانحطاط<sup>(٦)</sup> وهذه الآية توضح خاصية العموم والشمول في سنن الله التاريخية، إذ تنطبق على

(١) الإسراء/ ٧٧.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ٤٦٢؛ أبو السعود، تفسير أبي السعود، ١٨٩/٥.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٠٣/١٠.

(٤) الأعراف/ ٣٤.

(٥) الطبرسي، مجمع البيان، ١٩٧/٥؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٥٠/٨.

(٦) مكارم شيرازي، التفسير الأمثل، ٣٧٤/٦.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

البشر جميعاً ومن يفهم تلك العمومية التي تتميز بها السنة يستطيع التعامل معها ويحسن الاستعداد لتائجها.

رابعاً. الربانية: والمقصود بكلمة الربانية أي منسوبة إلى الرب سبحانه وتعالى وربانية السنن يلحظ فيها ملمح التربية فالله تعالى يربي عباده بهذه السنن والنواميس الثابتة<sup>(١)</sup>، وهي ليست بديلاً عن الاختيار، إلا أنها لا تفصل بين الرعاية الإلهية والحكم الإلهي وبين اختيار العمل وتحقيق الشرط الذي يهيئ جريان السنة التاريخية، أي بقدره الله تعالى ومرتبطة به، لأنها ربانية المصدر منه تستمد وبنوره تستضيئ وهذا ما يفرغ عليها قدسية لا نظير لها، لأن هذه السنن صادرة من صاحب الخلق والأمر في هذا الكون<sup>(٢)</sup> وإن كل قانون من قوانين التاريخ هو قرار رباني<sup>(٣)</sup>، ويؤكد القرآن الكريم على هذه الخاصية في الكثير من الآيات ومنها ظاهر قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيُرُ اللَّهَ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٤)</sup> وكذلك ورود لفظ السنة بإضافتها إلى الله تعالى كما جاء في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٥)</sup> فهي من خلق الله تعالى وتشير إلى إرادة الله وحكمته لأن الله يمارس قدرته من خلال تلك السنن فهي إرادة الله وهي ممثلة لحكمة الله وتدبيره في الكون<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: رمضان خميس زكي، مفهوم السنن الربانية، ص ٥.

(٢) رشيد كهوس، السنن الإلهية وخصائصها، ص ٦.

(٣) الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص ٧٠.

(٤) الأنعام / ١٦٤.

(٥) الفتح / ٢٣.

(٦) الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص ٧٠.

## المبحث الثاني

### مفهوم السنن التاريخية في فكر الإمام علي (عليه السلام)

أولاً: مصطلح السنة ودلالاته الفكرية.

ورد مصطلح السنة كثيراً في كلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة إذ كان له مدلولات مباشرة ودلائل فكرية بحسب سياق الكلام وورودها فيه، إذ نجد الإمام علياً (عليه السلام) يذكر السنة الموروثة في وصيته الشهيرة إلى مالك الأشتر<sup>(١)</sup> إذ يقول (عليه السلام): ((وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَلْفَةُ وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ وَلَا تُحَدِّثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا))<sup>(٢)</sup> والمراد بالسنة هنا العرفية لا الشرعية<sup>(٣)</sup> وإلا فالقانون والقاعدة لا تصنع صناعة، فضلاً عن أن مفهوم الشرعية الوارد لا يعني الأحكام الفقهية، بل يعني الإلهية.

ويقول الشيخ مكارم شيرازي في معنى كلمة السنة الواردة في هذا النص: (أنها تأتي على معنيين فأحياناً يراد منها العادات والتقاليد الموروثة من الأسلاف

---

(١) مالك الأشتر: هو مالك بن الحرث بن عبد النخعي و سمي بالأشتر لضربة أصابته يوم اليرموك، عاصر النبي والإمام علياً (عليه السلام) وكان من أوائل الناس الذين بايعوا الإمام علياً (عليه السلام) وخاض معه معركتي الجمل وصفين، إذ كان له دور كبير في صفين وكان ذراع أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم ولاه مصر بعد ان فسدت على يد محمد بن أبي بكر ولكن استشهد في العريش قبل ان يصل مصر بالسسم على يد الدهقان بمكيدة من معاوية عام ٣٩ هـ. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٤٠٩؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٤/ ٣٤؛ ابن حجر، الإصابة، ٣/ ٤٨٢؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ٩/ ٤١.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٣١.

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٦٢.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

والقدماء سواء كانت سيئة أم حسنة<sup>(١)</sup> والمعنى الثاني للسنة: (كلام النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره)<sup>(٢)</sup> وأضاف أن كلام الإمام علي (عليه السلام) في هذه العبارة ناظر إلى المعنى الأول بقريضة الجملة: ((ولا تحدثن سنة تضر)) إذ أن هذه السنن تعد من العادات الاجتماعية والعرفية دون أسنادها إلى الله عز وجل والشارع المقدس، فإذا كانت مثل أكرام اليتامى ومساعدة المحرومين فهي سنة حسنة ومحبذة وإذا كانت على خلاف ذلك فهي سيئة وغير صالحة مثل عادة وأد البنات في الجاهلية<sup>(٣)</sup>، ومن ذلك يتضح أن مصطلح السنة في هذا النص وضعي غير ثابت قابل للتغيير والتبدل والزوال لأنه من قبل الإنسان وليس من قبل الله سبحانه وتعالى الذي يتصف بالثبات والاستمرارية.

وربما ظهر هذا النوع من الدلالة الفكرية لمفهوم السنن مرة أخرى حينما أشار (عليه السلام) إلى السنة المصطنعة بقوله: ((وإنَّ لكم في القُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَلِقةُ<sup>(٤)</sup>) وَأَبْنَاءُ

(١) نفحات الولاية، ١٠/٣٤٩.

(٢) نفحات الولاية، ١٠/٣٤٩.

(٣) نفحات الولاية، ١٠/٣٥٠.

(٤) العمالقة: هم أولاد عملاق بن لوة بن سام بن نوح وأخوة جديس ولكن اسم العمالقة وقع على أولاد عاد وثمود، وأولاد جديس وأولاد صحار وأولاد وبار. فهؤلاء العرب العمالقة الذين انقضوا عن آخرهم وكانت العماليق قد بغت في الأرض، فسلط الله عليهم ملوك الأرض فأفنتها، فلما ملكهم عملاق بن طسم، بغى وأكثر الفساد في الأرض، حتى كان يطأ العروس ليلة إهدائها إلى بعلمها، وإن كانت بكرًا اقتضها قبل وصولها إلى البعل، ففعل ذلك بامرأة من جديس غضب لها أخوها وتابعه قومه على الفتك بعملاق بن طسم وأهل بيته فصنع أخوها طعاما ودعا عملاق الملك إليه. ثم وثب به وبطسم فأتى على رؤسائهم ونجا منهم رياح بن مرّ فصار إلى ذي جيشان بن تبع الحميري ملك اليمن فاستغاث به واستنجده على جديس وأتى ذو جيشان في حمير بلاد جوّ وهي قصبه اليمامة فاستأصل جديسا وأخرب اليمامة. فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم إلا اليسير منهم ثم أفناهم الله. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٢/٢٥؛ البيهقي، معارج

الْعَمَلِ لِقَةِ أَيَّنَ الْفَرَاعِنَةَ<sup>(١)</sup> وَأَبْنَاءَ الْفَرَاعِنَةَ أَيَّنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّيْنَ وَأَطْفَأُوا سُنْنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنْنَ الْجَبَّارِينَ<sup>(٢)</sup>) وقد ميز الإمام (عليه السلام) هنا بين مفهومين متضادين للسنن وقد جاء ذلك باقتران المصطلح مع ما يعرفه، ففي المرة الأولى أضاف المرسلين إلى مصطلح السنن وبذلك فإنها تدل على سنة الأنبياء ومنها سنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، بينما ذكر السنن مضافة إلى كلمة الجبارين وهي سنن وضعية سيئة من صنع الإنسان تختلف عن السنن الإلهية الثابتة، وبذلك جرى التمييز والمفاضلة للوصول إلى المفهوم المقصود قيد البحث والذي مثل القانون والقاعدة.

وقد ذكر الإمام علي (عليه السلام) مصطلح السنن بشكل مزدوج فهو مفهوم متغير بحسب الظرف المهد للجريان حينما ذكر حقوق الوالي والرعية فقال (عليه السلام): ((أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى إِذْلَاهَا<sup>(٣)</sup>)

نهج البلاغة، ٣٠٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩٣/١٠؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٩٠/٣.

(١) الفراعنة: جمع فرعون، وهم ملوك مصر، فمنهم الوليد بن الريان فرعون يوسف، ومنهم الوليد بن مصعب، فرعون موسى. ومنهم فرعون بن الأعرج الذي غزا بني إسرائيل وأخرب بيت المقدس.

ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩٣/١٠؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٩٠/٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٦٣.

(٣) على إذلالها: على مجازيها. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ٣٠١؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ٣٧٩/٣.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطَمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَسَّتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَآلِيهَا أَوْ أَجْحَفَ الوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الجُورِ وَكَثُرَ الإِدْغَالُ<sup>(١)</sup> فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ حَاجُجُ<sup>(٢)</sup> السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالمُحْوَى<sup>(٣)</sup>.

وانقسم الشارحون إلى فريقين في تحديد معنى مصطلح السنن، فقد قال فريق منهم: إنها تدل على سنة الرسول وهي قول المعصوم وفعله وتقريره<sup>(٤)</sup>، في حين قال الفريق الثاني: إن السنة في هذا النص هي سنة الله وأحكامه الثابتة التي شرعها في الخليقة<sup>(٥)</sup>.

ويتضح من خلال طرح الإمام (عليه السلام) أن معنى السنة هو سنة الله الثابتة وذلك من خلال بيان الآثار التي تعقب تطبيقها من إصلاح واستقامة واعتدال، وهي آثار حتمية بعد توافر الأسباب والمسببات لحدوثها، ففي هذا النص أداء الحقوق بين الوالي والرعية، وهذه السنة التي تحدد استحقاق الإنسان بأداء الحقوق التي عليه، ليست إلا سنة الكون العادلة القائمة بهذا العدل، وإن هذه القاعدة التي بلغ ابن أبي طالب بها ترجع إلى جذور العدالة الكونية، ثابتة لا تغير نفسها ولا شذوذ ينقضها<sup>(٦)</sup>.

(١) الأدغال: الفساد أو الخداع. ينظر: ابن سيدة، المخصص، ٤/ ١٦٤؛ ابن منظور لسان العرب، ٢٤٥/١١.

(٢) محاج السنن: جادة الطريق. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٠١.

(٣) نهج البلاغة، ص ٣٣٣.

(٤) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ٢/ ٣٥٤؛ مغنیه، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٢٧١.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٧٤/ ٣٥٥؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ٣٣٥؛ شمس

الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص ١٤٥؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٥٠٠.

(٦) جورج جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ٤٣.

وقد وردت الدلالة الفكرية لمصطلح السنة والخاصة بالثبات في طرح الإمام (عليه السلام) أيضاً حينما ذكر ذلك الشمول في السنة بسبب ثباتها حينما قال: ((فَاللّٰهُ اللهُ عِبَادَ اللهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ))<sup>(١)</sup> أي على طريقة واحدة لا يختلف حكمها فكما كان من شأنها أن أهلكت القرون الماضية وفعلت بهم وبآثارهم ما فعلت وصيرتهم إلى الأحوال التي عددناها فكذلك فعلها بكم<sup>(٢)</sup> وهنا نجد معنى السنة هو الطريقة الواحدة وحكمها واحد لا يختلف وهذه صفة من صفات السنن الربانية التي تتميز بالثبات وعدم التغير ومن ضمنها السنة التاريخية كما قال السيد محمد باقر الصدر: ((ان كل قانون من قوانين التاريخ هو قرار رباني وارتباطها بالله سبحانه وتعالى))<sup>(٣)</sup> ومن خلال ما تقدم يتضح أن الإمام علياً (عليه السلام) اطلق مصطلح السنة في ثلاثة معانٍ: المعنى الأول: مصطلح السنة يدل على سنة النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) من قول وفعل وتقرير.

المعنى الثاني: السنة الوضعية التي يصنعها الأشخاص وهي قابلة للتغير والزوال.

المعنى الثالث: السنة الربانية الثابتة والمستمرة غير القابلة للتغير ومن ضمنها السنة التاريخية وهو ما يهمننا هنا.

(١) نهج البلاغة، ص ٢٨١.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٢٠٧. وينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٧/٢٠٧؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ١١/١٩٦.

(٣) السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص ٧١.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

لقد اتخذ الإمام علي (عليه السلام) أكثر من صورة في ترسيخ هذا المفهوم وبيانه بحسب معناه ولعل الصورة الأولى هو أنه بين السنن بشكل مباشر من خلال المصطلح كما أسلفنا في قوله (عليه السلام): ((فَاللّٰهُ اللهُ عِبَادَ اللهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ))<sup>(١)</sup> إذ أكد هنا على السنن بصورة صريحة من خلال طرح المصطلح، فيما نجد أنه (عليه السلام) ذكرها مرة أخرى بصورة التطبيق والشرط إذ قال (عليه السلام): ((مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عِلَاقَتَهُ وَمَنْ عَمَلَ لِدِينِهِ كَفَّاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ))<sup>(٢)</sup> إذ بين الإمام (عليه السلام) الضوابط والمحددات التي تعمل بها السنن التاريخية بصورة شرطية<sup>(٣)</sup>.

أما الصورة الثالثة فجاءت بطريقة الحث والاستقراء للحوادث التاريخية من أجل الوصول إلى السنن التاريخية وحكمها للاعتبار والاتعاظ بها كما في قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((أَيُّ بَنِي إِيٍّ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمِّرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وَفَكَرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ بَلْ كَأَنِّي بِمَا أَنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ وَنَفَعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ فَاسْتَخَلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ<sup>(٤)</sup> وَتَوَخَّيْتُ<sup>(٥)</sup> لَكَ جَمِيلَهُ وَصَرَفْتُ عَنْكَ مُجْهُوْلَهُ))<sup>(٦)</sup>.

(١) نهج البلاغة، ص ٣٩١.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٨٣.

(٣) سنأتي إلى تفصيلها في الفصل الثاني.

(٤) نخيلة: التصفية والاختيار. ينظر: الفراهيدي، العين ٤/ ٢٦٤؛ الزمخشري، أساس البلاغة، ٩٤٤.

(٥) توخيت: تحريت واجتهدت. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٢٨٢.

(٦) نهج البلاغة، ص ٢٩٧.

فقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى أهمية التدبر والتفكير في حوادث التاريخ من أجل الوصول إلى القوانين والقواعد التي تحكمه، فهو محكوم بسنن تاريخية ثابتة تشمل جميع الخلق من المؤمنين والكافرين، وهي دعوة تلح على الناس أن يركبوا عجلة عقولهم، وينظروا في تاريخ من قبلهم<sup>(١)</sup> من أجل معرفة قوانين التاريخ والاعتبار والاتعاظ بالسابقين وتخطيط المستقبل على أساس تلك القواعد.

وتارة نجد أن الإمام علياً (عليه السلام) يوظف السنن الكونية والفلسجية في طرح السنة التاريخية والتأكيد عليها ولعل مصداق ذلك ما ذكره عن الموت حينما قال: ((إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَيْثُ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ))<sup>(٢)</sup> أي لا بد منه<sup>(٣)</sup> لا يخلص منه الراضي به المقيم له، ولا ينجو منه السّاخط له الهارب عنه<sup>(٤)</sup>، فالموت هنا للدلالة على قدره الله وثبات سنته بغض النظر عن نوع هذه السنة وذلك بسبب التماثل بين السنن الكونية والفلسجية والتاريخية في الخصائص والمميزات.

وعلى العموم فإن السنن التاريخية في فكر الإمام علي (عليه السلام) هي قواعد وثوابت شاملة ومطرّدة فهي قوانين متكررة في كل زمان ومكان بتوافر الضوابط والعلل والشروط نستطيع من خلالها فهم حركة التاريخ والأحداث التي تقع فيه ومن ثمّ الاعتبار والاتعاظ بها.

(١) ينظر: مركز الرسالة، دور العقيدة في بناء الإنسان، ص ٣١-٣٢؛ حميد سراج جابر، فلسفة التاريخ في فكر الإمام علي، ص ٤٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٨٠.

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٢١.

(٤) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٨/ ١٥١.

### ثانياً: حكم السنن التاريخية.

إن ثبات السنن التاريخية واطرادها يجعلها حاكمة ومسيطرة ويسير التاريخ على وفقها وليس عشوائياً، فهي عبارة عن قوانين أشبه ما تكون بالمعادلات الرياضية قد نظمها الحق سبحانه لتحكم حركة الكون والحياة وتحكم حركة التاريخ وتنظم ناموسية التغيير وتتحكم بالدورات الحضارية موضحة عوامل السقوط وعوامل النهوض الحضاري<sup>(١)</sup>.

وعلى وفق ذلك فإن التاريخ محكوم، متشابهة أفعاله لأنه يجري على طريق واضح ومعلوم بحكم ثبات السنن الحاكمة له، إذ يعطي هذا الثبات التوازن والاستقرار للأحداث التاريخية فكلما توفرت المسببات تكون النتائج ذاتها، وهذه ما أكدّه أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) بقوله: ((إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِيْنَ كَجَرِيهِ بِالْمَاضِيْنَ لَا يَعُوْدُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا فِيهِ آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ مُتَظَاهِرَةٌ<sup>(٢)</sup>))<sup>(٣)</sup> بين الإمام (عليه السلام) أن حكم الدهر بالحاضرين من الناس كما كان حكمه في الماضين بحملهم على وتيرة واحدة وقاعدة واحدة وحكمه فيهم مشترك فكل يوم مرّ على الأجداد يمرّ مثله على الأبناء والأحفاد، ودلالاته على شيمته وطبيعته وأفعاله التي يعامل الناس بها قديماً وحديثاً متعاضدة يتبع بعضها بعضاً، ولا يبقى الدهر بل يفنى باستمرار وأفعاله متشابهة لا تفترق إلا بتغير الأوقات وتبديل الأشخاص وأن ما فيه من

(١) محمد الجربتي، السنن الإلهية واثرها في فهم الواقع، ص ٢.

(٢) متظاهرة: متعاونة. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ٦٠٢؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٢١٥.

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٢١.

أمور على نسق واحدة وطبيعة واحدة لا تختلف ولا تتخلف<sup>(١)</sup> لأن هناك سلسلة من الأصول تحكم تاريخ البشرية<sup>(٢)</sup>.

وبذلك فإن الحكم والمصير واحد ما دامت الأحوال والظروف متشابهة لأن نتائج القوانين تكون واحدة، فالتاريخ لم يذكر لنا قوماً أو أمة وقفت أمام الحق وانتصرت في المدى البعيد لأن حكم السنن في مصارعة الحق ثابت لا يتغير وهو ما قاله الإمام علي (عليه السلام): ((مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَغَهُ))<sup>(٣)</sup> أي من تصدى لمعادنة الحق وحربه مستخفاً به وبأهله فقد هلك<sup>(٤)</sup>، والتاريخ شاهد على الكثير من الأمم والأقوام التي قاومت الحق وهلكت، فهذه قاعدة عامة توضح صورة ثبات حكم السنن التاريخية ومن ثم معرفة المستقبل القريب والبعيد لأن الأحداث تجري على نظام واحد.

ولكن هذه المعرفة تحتاج إلى وعي بالسنن التاريخية ومعرفتها حتى تستطيع الحكم على الأحداث من خلال الأفعال والمسببات وفي هذا الشأن نلاحظ حكم الإمام علي (عليه السلام) على زوال دولة بني أمية من خلال الوعي بالسنن التاريخية الثابتة المستمرة النافذة على جميع الأمم والأقوام، إذ أشار إلى تداول الأيام عبر السنن في قوله: ((فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفَهُ<sup>(٥)</sup> أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ٢١٢؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٦٩؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٩/ ٣١٢، الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٩.

(٢) مكارم شیرازی، نفحات الولاية، ٦/ ١١٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٤٨.

(٤) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٣٣٢. وينظر: الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٤٥٧.

(٥) طرفه: طرف بصره يطرف طرفاً، إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. الواحدة من ذلك طرفه. يقال: «أسرع من طرفه عين». ينظر: الجوهرى، الصحاح، ٤/ ١٣٩٥.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

مَا وَعَى التَّدْكِيرَ وَقَبْلَهُ))<sup>(١)</sup> وهنا أخبر الإمام (عليه السلام) بزوال ملك بني أمية على يد اشد أعداءهم وهم العباسيون ويشير التاريخ إلى تحقق ذلك<sup>(٢)</sup> لأن سلطان الجور لا يدوم، وإن دعوة الحق لا تموت<sup>(٣)</sup> وسيفعل بهم ما يفعلونه بالناس بحكم ثبات القانون التاريخي الذي لا يجابي أحداً بل يشمل الجميع.

وكذلك قال (عليه السلام) في موضع آخر عن هذا الشأن: ((حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْتَحُهُمْ دَرَّهَا وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ بَلْ هِيَ حِجَّةٌ<sup>(٤)</sup> مِنْ لَدِيدِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً<sup>(٥)</sup> ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً))<sup>(٦)</sup> أي محبوسة عليهم كما تعقل الناقة فتعطيهم لبنها لمدة من الزمن ثم يطرحونها ويرمونها بمررة جميعها<sup>(٧)</sup>، فمحاربتهم للحق تحتم عليهم الهلاك وكل أمة تصادم السنن والقوانين محل بها ما محل بأي أمة أخرى وهذا الحكم تقره السنن التاريخية الثابتة المطردة.

(١) نهج البلاغة، ص ١٥٢.

(٢) ينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ١/٤٤٦؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧/١٢١؛ الحسيني، ديباج الوضي، ٢/٨٣٥؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/٢٣؛ شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، ص ١٨٢.

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢/١١٣.

(٤) حجة: نقط العسل. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر والحديث، ٤/٢٩٧؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢/٣٦٢.

(٥) برهة: مدة من الزمن فيها طول. ينظر: الصحاح، الجوهري، ٢/٥٣٧؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٦/٣٤٣.

(٦) نهج البلاغة، ص ١٢٠.

(٧) الراوندي، منهاج البراعة، ١/٣٦٥. وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/٣٨١؛ التميمي، صفوة شروح نهج البلاغة، ١٥٩.

هذا الثبات في الحكم وحتمية الوقوع وعدم المقدرة على تحديها وحتى إن تم تحديها فيكون على الشوط القصير إذ لا تقاوم هذه السنة مدة طويلة<sup>(١)</sup>، فهو دليل إثبات قدرة الله سبحانه وتعالى عند جميع الخلق ولا سيما المنكرين للقدرة الإلهية وهذا يعني عدم إمكانية تحديهم للقوانين والثوابت العلمية التاريخية وإن نتيجة تحديهم للسنن هي السقوط والهلاك.

وحاكمية السنن التاريخية وعدم تخلفها تأتي لأنها واقعة لا محالة بحكم الثبات الذي يجعل كل أمة توجه حياتها على وفق هذه القوانين التاريخية حتى تحصل على الفائدة التي حصلت عليها أمة أخرى سلكت هذا السبيل نفسه<sup>(٢)</sup>، فهو دافع حركي لكل الأمم للاستفادة من السنن عن طريق الاعتبار والحذر من المهالك، إذ إن من ثمرات ثبات الحكم في السنن التاريخية هو الاعتبار بحوادث الماضي وتجارب الأمم وتصحيح المسار وتجنب الأخطاء بصورة علمية دقيقة إذ لا بد لأهل كل عصر من أن يواجهوا النوع نفسه من التعقيدات التي واجهها أسلافهم فمواضع الخطر في طريق الأمة تكاد تكون نفسها في الماضي والحاضر<sup>(٣)</sup>.

لذا نجد الإمام علياً (عليه السلام) دائماً ما يُحذّر الناس مما حدث في الماضي لأنّ الحكم يدل على النفاذ والتحقق وعدم التخلف وهو ما نفهمه من قوله (عليه السلام): ((أَحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَّمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَاهُمْ وَأَحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ))<sup>(٤)</sup> وهنا الإمام (عليه السلام) يحذر من العقوبات العظيمة المهلكة وأن لا تصدر من جهتهم المعاصي

(١) الصدر، السنن التاريخية في القرآن، ص ٧١.

(٢) صديقي، تفسير التاريخ، ص ١٠٩.

(٣) حسن بن صالح الحميد، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن، ص ٨١.

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٩٦.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

فيكونون امثالاً لهم في العقوبة<sup>(١)</sup>، فالتحذير من سوء الأعمال والأفعال التي تمثل منطلقات تطبيق السنة التاريخية التي تتصف بثبات الحكم وجريانها عليهم.

لقد ثقف أمير المؤمنين (عليه السلام) على الابتعاد عن تلك الأعمال والاعتبار بها والاستفادة منها، لأن سنن الله في التاريخ ماضية ثابتة إذ حث (عليه السلام) على الاتعاظ والاعتبار بما حدث بالأمم السالفة كما جاء في قوله: ((فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَاِنْ قَطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَالِ إِخْوَانِكُمْ))<sup>(٢)</sup> إذ أشار (عليه السلام) إلى التحذير والاعتبار بمن سبقهم بجريان الحكم نفسه وإن كانوا رحلوا فسير حلون مثلهم ويأتي قومٌ آخرون يسكنون مساكنهم كما سكنوا منازل من كان قبلهم كما عليهم الاتعاظ بانفصام عرى القرابة حتى مع اقرب إخوانهم، فهذا دليل على أن كافة الأموال والأنفس ودائع وهي مخلوقة جميعاً لله وأنه سبحانه وتعالى يداولها بين الناس والتاريخ أعظم شاهد على هذا الأمر<sup>(٣)</sup>، فهذه المداولة بين الناس في كل جوانب الحياة ثابتة مستمرة بحسب الضوابط والشروط وهو تعاقب يجري على سنن العدل الإلهية ولا يظلم فيها احد.

من خلال ما تقدم نلاحظ أمرين مهمين لحكم السنن التاريخية:

أولاً: ان ثبات السنن التاريخية وعدم تغييرها يعني عدم وجود الصدفة والطبيعة في الحوادث التاريخية لأن السنن جارية قائمة على الثبات ولا يوجد مجال للعبثية والصدفة في حوادث التاريخ إذ أن تكرر الحوادث والتوازن والاستقرار الموجود في التاريخ دلالة على حكم السنن التاريخية.

(١) الحسيني، ديباج الوضي، ٢٠٢٨/٤. وينظر: حبيب الله الخوئي، شرح نهج البلاغة، ٣٧٢/١١.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٧٤. وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سَكَتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (إبراهيم / ٤٥).

(٣) مكارم شيرازي، نفحات الولاية، ١٠٨/٥.

ثانيًا: ثبات السنة التاريخية واستمرارها تجعل العقل البشري مطمئنًا وتثبت النفس ويحيطها الاستقرار، حيث أن كل الحوادث محكومة بقوانين وكل ما على الإنسان الاعتبار والحذر للسير على الطريق الصحيح.

### ثالثًا: فلسفة السنن التاريخية وأهدافها.

أولى الإمام علي (عليه السلام) عناية واهتمامًا كبيرًا في بيان السنن التاريخية وذلك لأهميتها وآثرها، لاسيما وإن وراء هذه العناية فلسفة وأهداف اختلفت من سنة إلى أخرى، لكن قبل التطرق إلى الأهداف العمومية من السنن تجدر الإشارة إلى أن السنن التاريخية تحمل علاقة لم تكن موجودة في سائر الظواهر الكونية والبشرية والطبيعية الأخرى وهي علاقة الظاهرة التاريخية بهدف علاقة نشاط بغاية، فالعلاقة التي يتميز بها العمل الذي تحكمه السنن التاريخية هو أنه عمل هادف، إذن هدف السنن هو الطموح والتطلع إلى المستقبل من خلال الوجود الذهني للإنسان<sup>(١)</sup>، أي أنها ليست عبثية وإنما تحمل أهدافًا تروم تحقيقها ومن أهم الأمور التي تبلورت في طرح الإمام علي (عليه السلام) للسنن التاريخية هي:

#### ١. إثبات الطابع العلمي للتاريخ.

عند الحديث عن فلسفة وأهداف السنن التاريخية يجب أن نقدم الهدف المهم الذي يتعلق بنا كباحثين في التاريخ وهو إثبات علمية التاريخ وأنه عبارة عن قواعد وثوابت يمكن معها صناعة المستقبل وهذا الهدف يحكم بعمومية الأهمية التاريخية، فقد وظفها القرآن الكريم لتأكيد العلمية والصرامة في الثبات والتحقق على الرغم من تعاملها مع الإنسان وليس مع قيم أو مع قوانين كونية وطبيعية، فمثلما توجد القوانين التطبيقية في العلوم البحتة كذلك توجد القوانين التطبيقية

(١) الصدر، السنن التاريخية في القرآن، ص ٧٨.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

في العلوم الإنسانية وهذه هي التي عرفت بالسنن التاريخية<sup>(١)</sup>، إذ عرض القرآن الكريم هذا الثبات والعلمية للسنن التاريخية في أكثر من آية وبصورة صريحة كما جاء في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> وكذلك قوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(٣)</sup> أي ولن تجد لسنة الله التي سننها في خلقه تغييرا<sup>(٤)</sup> وأن لا أحد يقدر على تغيير سنة الله وإبطالها<sup>(٥)</sup> بل هي مستمرة ثابتة<sup>(٦)</sup>، فهذه السنة ليست مثل الحكم الذي يبدل وينسخ فإن النسخ يكون في الأحكام، أما الأفعال والأخبار فلا تنسخ<sup>(٧)</sup>، وهذا الاطراد في السنة تأكيد على الطابع العلمي للقانون التاريخي لأن أهم ميمز يميز القانون العلمي عن بقية المعادلات والفروض هو التتابع والاطراد وعدم التخلف<sup>(٨)</sup>، وتلك المميزات تدخل العلوم الإنسانية من بوابة التاريخ إلى ساحة العمل بقوة أسوة بالعلوم الصرفة التي تشترك معها بنفس الصفات في تطبيق عملياتها<sup>(٩)</sup>.

ان الإثباتات لعلمية السنن التاريخية من حيث الخواص التي تدخل في جريانها ذكرها الإمام علي (عليه السلام) وأكدها في طرحه للسنن التاريخية كما جاء في قوله

(١) حميد سراج جابر، حركية سنن القرآن التاريخية في الحيز التطبيقي للعلوم الإنسانية، ص ١.

(٢) الفتح/٢٣.

(٣) الأحزاب/٦٢.

(٤) الطبري، جامع البيان، ٢٢/٦٠.

(٥) الجصاص، أحكام القرآن، ٣/٤٨٧؛ السمرقندي، تفسير السمرقندي، ٣/٧٠.

(٦) الشوكاني، الفتح القدير، ٥/٥٢.

(٧) الرازي، تفسير الرازي، ٢٥/٢٣١.

(٨) الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ٦٩.

(٩) حميد سراج جابر، حركية سنن القرآن التاريخية في الحيز التطبيقي للعلوم الإنسانية، ص ٧.

(عليه السلام): ((مَنْ أَبَدَى صَفْحَتَهُ<sup>(١)</sup> لِلْحَقِّ هَلَكَ))<sup>(٢)</sup> أي أن من نابذ الله وحاربه هلك<sup>(٣)</sup>، على وجه الإطلاق<sup>(٤)</sup>، فلا يمكن تغيير هذا الأمر بل هو مطلق مستمر وثابت على جميع الأفراد والأمم التي تحارب الحق وتقف ضده، إذ أن هذا الاستمرار في عمل السنة التاريخية والثبات دليل على علمية تلك السنن التي هدف الإمام (عليه السلام) إلى بيانها من أجل التثقيف والاعتبار بالآثار لأن الحكم واحد لا يتغير.

## ٢. التعبئة والإعداد.

إن المتتبع لطرح الإمام (عليه السلام) والمتعمق في مضامينه يجد أنه (عليه السلام) أراد تعبئة المؤمنين وإعداد رجال قادرين على الثبات في أوقات المواجهة والشدة وذلك من خلال توظيف السنن التاريخية الثابتة الحتمية من أجل شد العزيمة وإدخال الاطمئنان إلى قلوبهم ودفعتهم إلى تقديم المزيد بمدتهم بالأسباب التي تسهم في النصر حتى تكون الغلبة لهم وذلك عبر ذكره لسنة النصر الإلهية التاريخية وسنأتي إلى بيانها بالتفصيل فيما بعد<sup>(٥)</sup>.

(١) أبداء الصفحة: أظهار الوجه، والوقوف أمام شيء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢/٥١٥-١٤/٦٥.

(٢) نهج البلاغة، ٥٠٢.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨/٢٧١. وينظر: مغنية، في ضلال نهج البلاغة، ٤/٣٢٢؛

الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/٣٥٢، الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/٣٥٨.

(٤) الخوئي، منهاج البراعة، ٢١/٢٦١. وقد فسر بعض شراح نهج البلاغة ومنهم العلامة البحراني

كلام الإمام (عليه السلام) على انه ((من تجرّد لنصرة الحقّ في مقابلة كلّ أحد هلك عند جهلة الناس لضعف الحقّ عندهم وغلبة حبّ الباطل على نفوسهم. وكنتى بإبداء صفحته عن إظهار نفسه ونصبها لذلك)) وهذا المعنى بعيد عن ما نقصده في طرحنا هذا. ينظر: شرح نهج البلاغة،

٥/٣٤١.

(٥) الفصل الثاني، ص ٦٠.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

ولكن ما نريد توضيحه في هذا المقام هو الهدف العمومي للسنن وهو التعبئة ورفع الروح المعنوية للمقاتلين وهذا ما نجده في طرحه (عليه السلام) في معركة صفين ليله الهرير<sup>(١)</sup> إذ قال لأصحابه: ((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخُشْيَةَ وَتَجَلَّبُوا السَّكِينَةَ وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَأَكْمَلُوا اللَّامَةَ وَقَلُّوا السُّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا وَالْحُطُّوا الْخُزْرَ وَأَطْعَنُوا الشَّرْرَ<sup>(٢)</sup> وَنَافِحُوا بِالظُّبَى<sup>(٣)</sup> وَصَلُّوا السُّيُوفَ بِالْخَطَا وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنَ اللَّهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ فَعَاوِدُوا الْكُرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ فَإِنَّهُ عَارٌّ فِي الْأَعْقَابِ وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ وَطَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجْحًا<sup>(٤)</sup> وَعَلَيْكُمْ بِهِذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ<sup>(٥)</sup> فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ وَقَدْ قَدَّمَ لِلْوَيْبَةِ يَدًا وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ<sup>(٦)</sup> رَجُلًا فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ: ﴿وَأَنْتُمْ

(١) الهرير: وهي ليلة معركة صفين واختلط الناس فيها وقتل مئات من الطرفين إذ كانت أشد وأقسى ليلة هولا وعنقا في جميع حروب صفين وسميت الهرير بذلك لتركهم الكلام كانوا يهرون هريرا. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣/٦٣؛ المسعودي، مروج الذهب، ٢/٦٣؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/٤٧٩.

(٢) اطعنوا الشزر: الطعن عن اليمين والشمال. ينظر: الفراهيدي، العين، ٦/٢٣١.

(٣) نافحوا بالضبا: هي جمع طبة السيف، وهو طرفه وحده وهو أيضا لتناول بأطراف السيوف، وفائدته توسعة المجال، فإن القرب من العدو يمنع ذلك. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/١٥٦؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٢/٤٢٠.

(٤) سجحا: سهله مستقيمة. ينظر: ابن قتيبة، غريب الحديث، ١/٣٦٣؛ الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٤٢٣.

(٥) ثبجه: وسطه. ينظر: الحربي، غريب الحديث، ٣/١١٨١؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١/٣٩٩.

(٦) النكوص: الرجوع إلى الوراء. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧/١٠١.

الأَعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ<sup>(١)</sup>))<sup>(٢)</sup> فهذا التعليم في المعركة يدل على التعبئة والإعداد للمواجهة، إذ تتضمن هذه الخطبة بعض الإرشادات الحربية والتعاليم العسكرية وكذلك التوجيه المعنوي بتقوية النفس معنوياً حتى تكتمل القوتان المعنوية والمادية<sup>(٣)</sup>، وهذا الدافع المعنوي هو المتحقق ببيان النصر الإلهي كسنة تاريخية، الذي يشعر معه المؤمنون بالراحة والطمأنينة بعد أن كانوا يقاسون الألم وهذا النصر يحتاج إلى العمل بأسبابه واتباع شروط التمكين التي نفهمها من طرح الإمام (عليه السلام) ومنها:

أولاً: الصبر على الشدة وسكينة النفس وقوتها والثبات في ساحة المعركة.

ثانياً: الاستعداد العسكري المادي للحرب وتوزيع المهام وأخذ كافة التدابير المادية التي ترسم لهم خطوات النصر.

ثالثاً: بعد ذلك يأتي وعد الله لهم بالنصر ويتحقق لقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> هنا أمر الله تعالى المؤمنين بأن يقاتلوا هؤلاء الناقضين للعهد البادئين بالقتال فإنهم إذا قاتلوهم يعذب الله الكفار بأيديهم وينصركم أيها المؤمنون بنصركم الله إذ وعد بالنصر<sup>(٥)</sup> هذا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار، والتمكّن من قتلهم وإذلالهم، ليثبت قلوبهم ويصحّ نياتهم<sup>(٦)</sup>، فهذه السنة الإلهية هي نصره المؤمنين المجاهدين

(١) محمد/ ٣٥.

(٢) نهج البلاغة، ص ٩٧.

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٠٠.

(٤) التوبة/ ١٤.

(٥) الطوسي، التبيان، ٥/ ١٨٤.

(٦) الكاشاني، زبدة التفاسير، ٣/ ٨٥.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

في سبيل الله لذلك استخدمها الإمام علي (عليه السلام) مرات عديدة من اجل التعبئة للحرب والجهاد في سبيل الله.

وتشمل التعبئة أيضاً الدعوة إلى التصدي واستنهاض الناس لمواجهة أعداء الله على وفق مقياس السنن التاريخية إذ قال (عليه السلام): ((الَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا وَإِعْلَانًا وَقُلْتُ لَكُمْ اعْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزَوْكُمْ فَوَ اللَّهُ مَا غَزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ وَمُلِكْتُ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانَ))<sup>(١)</sup> وقد دعاهم الإمام (عليه السلام) إلى قتال أصحاب معاوية وأمثالهم في جميع الأزمنة والأوقات والأحوال ونبههم على القاعدة الكلية التي لا ريب فيها المعلومة بالتجربة والبرهان وهي المشار إليها بقوله: ((فو الله ما غزي قوم في عقر دارهم الا ذلوا)) وكان السبب في حقوق الذل بمن غزي في داره هو الأوهام حيث توهمه بقوة العدو والضعف في نفسه<sup>(٢)</sup> إذ يصيب القاعدين غير المبادرين في حرب الباطل الوهم والظن بالضعف وعدم المقدرة على هزم العدو لذلك دعا (عليه السلام) وحث أصحابه إلى القيام والمبادرة بالتصدي بذكر السنة التاريخية الثابتة لتعبئتهم واستنهاضهم وبث الاطمئنان في نفوسهم حتى تتحقق سنة النصر الإلهية بعد تخويفهم والتشديد عليهم.

### ٣. التوعية والتربية والتثقيف .

ومن أهم الأهداف التي يمكن أن نلمسها في طرح الإمام علي (عليه السلام) للسنة التاريخية هي التثقيف وبناء الإنسان بالحث على تنمية شخصيته وأسلوبه

(١) نهج البلاغة، ص ٦٩.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣٥؛ شارح من القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ٣٤٤؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٣/ ٨٣٣.

ومنهجته في كل زمان ومكان على قاعدة وبناء إيجابي يخضع للقواعد والثوابت، إذ عمل (عليه السلام) على توعية المجتمع وتربيته عبر تلك السنن حتى يتفهمها الناس ويعتبروا بها بعدم الوقوع في الأخطاء نفسها، لأن السنن والقوانين التاريخية تقدم التجربة التي تمثل صفاتها من الثبات والاستمرارية وعدم التخلف وبذلك تدفع الفرد إلى تقبلها والأخذ بها وعدم تحديها.

ومن ذلك أخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) يربي الإنسان والمجتمع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال توعيتهم بالآثار الحتمية التي يتركها الإعراض عن هذه الأمر فهو مُحَدَد وضابطة تترتب على تركها آثار خطيرة على المجتمع كما اكدها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: ((لَا تَرْكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَوْلَى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))<sup>(١)</sup> وهذه وصية عامة للمسلمين من أجل توعيتهم إذ أمرهم بملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا ينتشر المنكر ويتسلط الظالمون والأشرار ولا يستجاب دعاء المؤمنين لتقصيرهم في دفع الطغاة<sup>(٢)</sup>، وهذه الاهتمام والتربية بالأمر والنهي من أجل إيقاظ المجتمع من الغفلة والتراخي<sup>(٣)</sup>.

ومن هنا دعا الإمام (عليه السلام) إلى التعامل مع السنن، فإذا راعت الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصلح المجتمع وردت المظالم وبسط العدل فيها وكان هذا التثقيف حتى لا يولى عليهم شرارهم فكانت هذه التوعية لدفع الضرر بواسطة السنن التاريخية الثابتة الحتمية الحدوث والتثقيف على تحقيق شروطها لضمان جريانها.

(١) نهج البلاغة، ص ٤٢٢.

(٢) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٢٠؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٢٠/ ١٣٢.

(٣) شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري، ص ١٢٧.

### ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

فضلاً عن ذلك هناك جانب آخر ثقف له الإمام علي (عليه السلام) من خلال طرح السنن التاريخية وهو تربية المجتمع على تقوية علاقة الفرد بالله عز وجل عن طريق بيان ضابطة اخرى تجري بها السنن الإلهية وهي الطاعة لله، إذ قال (عليه السلام): ((هَيْهَاتَ لَا يُجْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ))<sup>(١)</sup> أي الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة<sup>(٢)</sup> وذلك، لأن طاعة الله يجب أن تقدم عند المسلم في كل خطوة يقدم عليها لأن رضا الله في طاعته كما قال الإمام علي (عليه السلام) في ذلك: ((ان الله تبارك وتعالى اقضى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئاً من طاعته فربما وافق رضاه وانت لا تعلم))<sup>(٣)</sup>.

كذلك عمل الإمام (عليه السلام) على تقوية علاقة الفرد بالله سبحانه وتعالى عبر محدد آخر للسنن وهو الشكر والحمد لله سبحانه وتعالى إذ قال (عليه السلام): ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدُ بِالنَّعْمِ وَالنَّعْمُ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آيَاتِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ))<sup>(٤)</sup> أي جعل الحمد والشكر سبباً لنعمته على الشاكرين كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> وأيضاً جعل النعم سبباً لوجود الشكر: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٦)</sup> أي اعبدوه لكونه مستحقاً للعبادة لذاته واشكروا له أي لكونه سابق النعم بالخلق وواصلها بالرزق<sup>(٧)</sup> إذن فالشكر يؤثر

(١) نهج البلاغة، ص ١٨٨.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣ / ١٤٤.

(٣) الصدوق، الخصال، ص ٢٠٩.

(٤) نهج البلاغة، ص ١٩٦.

(٥) إبراهيم / ٧.

(٦) العنكبوت / ١٧.

(٧) الرازي، تفسير الرازي، ٤٥ / ٢٥.

في زيادة النعم واستمرارها على الفرد الذي يجب عليه حمد الله حتى عند البلاء وأن يصبر ولا ينفّر ويعمل للخلاص مهما استطاع ولا ييأس من رحمة الله وإن طال البلاء، ومن البديهي أن من عرف عظمة الله ووثق بحكمته يرضى بقضائه.

لقد هدف الإمام (عليه السلام) من تقوية العلاقة بين العبد وربّه عبر الشكر لكي يستطيع تربية النفس البشرية على الحمد والشكر في أوقات الشدة والرخاء لما لها من آثار مهمة في بناء الإنسان.

فضلاً عن ذلك فقد حثّ الإمام (عليه السلام) على تربية الذات البشرية ولكن باستخدام ضابطة أخرى وهي التقوى في الكثير من المناسبات لما لها من آثار كبيرة على الإنسان في أمور الدنيا والآخرة فهي تقربه من الله لأنها لباس الإنسان المؤمن ومن ذلك قوله (عليه السلام) إذ قال: ((وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾<sup>(١)</sup> مِّنَ الْفِتَنِ وَنُورًا مِّنَ الظُّلْمِ وَيُجَلِّدْهُ فِيهَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ وَيُنزِلْهُ مَنزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ وَرُؤَاؤُهَا مَلَائِكَتُهُ وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ فَبَادِرُوا الْمَعَادَ وَسَابِقُوا الْأَجَالَ))<sup>(٢)</sup> إذ أن تقوى الله من اعظم الصفات التي يجب التحلي بها للتربية الذاتية لما تركه في نفس الإنسان من أثر إيجابي.

وقد أكد الإمام (عليه السلام) على وفق ذلك في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((فَإِنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيُّ بُنْيٍ وَلِزُومِ أَمْرِهِ))<sup>(٣)</sup> أي مراقبته في السر والعلانية وملازمة أمره بامثاله والمشاركة في فعله<sup>(٤)</sup> إذ أن العمل على تقوية العلاقة

(١) الطلاق/٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٦٦.

(٣) نهج البلاغة، ص ٣٩٢.

(٤) الحسيني، ديباج الوضي، ٥/٢٢٧٩.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

بين العبد وربه تؤثر في تربية الإنسان من خلال السنن التاريخية المشروطة بالتقوى التي هي مفتاح الإصلاح والخير.

وتنعكس قوة العلاقة ما بين الخالق والمخلوق على المجتمع الذي يؤدي فيه الفرد دوره كإنسان يؤثر ويتأثر بالواقع المحيط، وهذا الأمر طرحه الإمام (عليه السلام) في فكره وأكد عليها عبر تلك السنن التاريخية الحاكمة حينما قال (عليه السلام): ((مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ وَمَنْ عَمَلَ لِدِينِهِ كَفَّاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ))<sup>(١)</sup> فصلاح باطن الإنسان وسرّه بالأخلاق الفاضلة معدّ لإفاضة الله عليه صلاح أقواله وأفعاله الظاهرة لأنّها كالثمرات للباطن، وكذلك عمل الإنسان لدينه وإقامته لحدود الله معدّ لصلاح حاله في معاشه ومهيئ لعواطف الخلق عليه لاشتغاله بالله عن مجاذبتهم للدنيا وفي معناه الكلمة الثالثة فإنّ إخلاص العبودية لله وإصلاح معاملته قاطع عن محبة الدنيا والحرص عليها الذي هو سبب الفساد بين الناس فكان معدّا لرفع الفساد ودفعه<sup>(٢)</sup>.

ويشير النص إلى العلاقة بين صلاح النفس وصلاح العلاقات الاجتماعية مع الناس، وأن القدوة الصالحة تكامل للإنسان في نفسه كما هي تكامل في المجتمع الإنساني<sup>(٣)</sup>، فالإمام (عليه السلام) هنا يدعو إلى إصلاح النفس نحو الأفضل من الداخل حتى يظهر بالشكل الحسن والكمال في الأعمال والأفعال التي يقوم بها في المجتمع وبذلك يؤثر في عملية التغيير نحو الأفضل التي تعقبها نتائج إيجابية

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥١.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٤٤٨.

(٣) الحكيم، دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، ٢/ ١٢٩.

كبيرة ومهمة على مستوى الفرد نفسه والمجتمع الذي يعيش فيه لذلك حرص أمير المؤمنين (عليه السلام) على بناء الإنسان من خلال طرح تلك القواعد والقوانين الثابتة المشروطة بالعمل من أجل الصلاح.

وإلى جانب ما ذكرناه فإن المحصلة النهائية للأهداف التي تؤكد عليها السنن التاريخية عند الإمام علي (عليه السلام) هي العبرة من أجل السير على الطريق الواضح والصحيح وتجنب الطريق المظلم لأن الأحداث محكومة بقوانين وقواعد ثابتة وهذه العبرة التي أشار إليها الإمام مشروطة بالوعي بالتاريخ نفسه وهذا ما قاله في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) التي مر ذكرها: ((أَيُّ بُنْيِّ إِيَّيْ وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَسِرَّتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوْلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدْرِهِ وَنَفَعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ فَاسْتَخَلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ وَصَرَفْتُ عَنْكَ))<sup>(١)</sup> أي تحقيق العبرة والفائدة من تجارب الماضي ودون معاناة اعتماداً على السنة التاريخية والوصول لكل شيء بدون معاناه من جهد التجارب وذلك بمجرد السير والتفكير في أحوال الماضين<sup>(٢)</sup>، إذ تحدث الإمام هنا عن التربية الفكرية للمجتمع من خلال التاريخ وقوانين المسيطرة عليه، فالتفكير يحقق العبرة ومن ثمة السنة التاريخية التي بني عليها المستقبل.

(١) نهج البلاغة، ص ٣٩٤.

(٢) الدخيل، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٢٥. وينظر: حميد سراج جابر، فلسفة التاريخ في فكر الإمام علي (عليه السلام)، ص ٤٦.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

وقول الإمام (عليه السلام) هنا كان تأكيداً لقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾<sup>(١)</sup> فقد وجه الله سبحانه وتعالى أمة محمد (صلى الله عليه وآله) إلى تأمل أحوال الماضين ليعد ذلك داعياً لهم في الأيمان بالله ورسوله والأعراض عن الرياسة وطلب الدنيا والمراد هنا سنن الله في المؤمنين والكافرين لأنَّ الدنيا لا تبقى مع مؤمن ولا مع كافر والتأمل في حال احد الطرفين يكفي للعبد<sup>(٢)</sup>، وآثار الأمم السالفة فيها أعظم الاعتبار والاتعاظ، فهي دعوة إلى تأمل أحداث التاريخ بنظر ثاقب وفكر فاحص وصولاً إلى العوامل التي كانت سبباً في تدهور المجتمعات وسقوط الحضارات أو نموها، وعلى الناس أن يحركوا عجلة عقولهم وينظروا في تاريخ من قبلهم حتى لا يكونوا كالقطيع التائه يسير بلا راع نحو المجهول وهي دعوة ذات منهج مرسوم من أجل الاستفادة من تجارب الحضارات السابقة ودراسة أسباب سقوطها<sup>(٣)</sup>.

ويتضح أن للتاريخ أهمية حيوية لكل أمة من الأمم لأنه يعكس الخصوصيات الأخلاقية والأعمال الصالحة وغير الصالحة والأفكار التي كانت سائدة في الأجيال السابقة، فضلاً عن أن التاريخ مرآة الحياة الروحية والمعنوية للمجتمعات البشرية وهو لذلك خير مرشد محذر للأجيال القادمة<sup>(٤)</sup>.

إن من أهم الأهداف التي سعى الإمام (عليه السلام) إليها في ذكره للسنن التاريخية هي العبرة المشروطة بالتفكير للسير على الطريق الصحيح ومن ذلك قوله

(١) ال عمران / ١٣٧.

(٢) الرازي، تفسير الرازي، ١٢/٩.

(٣) مركز الرسالة، دور العقيدة في بناء الإنسان، ص ٣٢.

(٤) مكارم شيرازي، التفسير الامثل، ٧٠٤/٢.

(عليه السلام): ((فاعتبرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ<sup>(١)</sup>))<sup>(٢)</sup> ووجه الاعتبار أن يفكر العاقل في حال أولئك فيرى ما أصابهم إنما هو بسبب استعدادهم بالاستكبار عن طاعة الله والرفع على عباده فينتقل ذهنه منه إلى نفسه ويقيس حال استكباره على استكبارهم فيما يلزمه من أمثال العقوبات بهم<sup>(٣)</sup>.

وذهب الإمام علي (عليه السلام) إلى أبعد من ذلك عندما أشار إلى أن السنة التاريخية تنطبق على الجميع في كل مكان وزمان ولا تقتصر على تدمير الكافرين والمستكبرين، بل تطال المؤمنين أيضا، إذا لم يلتزموا عملياً بالمنهج الإلهي في الحياة، وإذا حادوا عن جادة الصواب وذلك حين تختلف الكلمة وتسود الفرقة<sup>(٤)</sup>، وفي هذا الصدد يقول (عليه السلام): ((وتدبُّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمَحِيصِ وَالْبَلَاءِ... فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتْ الْأَمْلَاءُ<sup>(٥)</sup> مَجْتَمِعَةً وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً وَالْأَيْدِي مُرَادِفَةً وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ فَانظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ وَتَشَتَّتِ الْأَلْفَةُ وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفْعَادُ وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ وَقَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ وَبَقِيَ قِصْصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبْرًا

(١) مثلاته: عقوباته. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٥/١٨١٦؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٣١٥.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٩٠.

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٢٧٠. وينظر: شبر، نخبة الشرحين، ٣/١٣٩٨.

(٤) مركز الرسالة، دور العقيدة في بناء الإنسان، ص ٣٣.

(٥) الإملاء: الجماعات. ينظر: الطريحي، مجمع البحرين، ١/٣٩٦.

## ... الفصل الأول: مفهوم السنن التاريخية ...

لِلْمُعْتَرِينَ))<sup>(١)</sup> أي أنظروا في أخبار من قبلكم من الأمم، كيف كانت حالهم في العز والملك لما كانت كلمتهم واحدة، وإلى ماذا آلت حالهم حين اختلفت كلمتهم فاحذروا أن تكونوا مثلهم، وان يحل بكم إن اختلفتم مثل ما حل بهم<sup>(٢)</sup>، فالمواقف التاريخية تكشف عن تلك السنن التاريخية التي مرت على الأمم السابقة، وتجنب الاختيارات والتجارب التي أدت إلى الانحطاط والانهيار<sup>(٣)</sup> ويعطينا هذا الموقف الصورة الواضحة لمواجهة المستقبل في ضوء الدلالات المستخلصة من الماضي بحكم الاعتبار.

ويتضح من ذلك أن الاعتبار يتوقف على أمر مهم جداً وهو السير في الأرض ومعرفة آثار الماضين والتفكير والتأمل فيها والذي يكشف عن السنن الحاكمة وبالتالي استخراج الدروس والعبر وتسخير تلك السنن لصالح الفرد والمجتمع.

(١) نهج البلاغة، ص ٢٩٧.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣ / ١٧١.

(٣) شمس الدين، التاريخ وحرارة تقدم الإنسان، ص ١١٠.

## الفصل الثاني

أنواع السنن التاريخية  
ومحدداتها



## المبحث الأول

### أنواع السنن التاريخية

من الطبيعي القول إن السنن التاريخية لم تأخذ شكلاً واحداً ونموذجاً محدداً في صياغتها القرآنية، وإنما تنوعت بتنوع البيئة الزمانية والمكانية والحاجات البشرية، ولكن بغض النظر عن ذلك التنوع فإن الغايات والأهداف واحدة، ومن هنا كان نهج البلاغة ممثلاً لذلك التنوع، فقد طرح الإمام علي (عليه السلام) ما يتناغم مع الطرح القرآني فيما يخص أنواع السنن التاريخية والحكمة منها، ويمكن بيان تلك الأنواع بما يأتي:

#### أولاً. سنة الدين (الفطرة)<sup>(١)</sup>.

تمثل سنة الدين أو الفطرة الإطار العام للسنن من جهة والإطار الخاص كسنة مستقلة من جهة أخرى لاسيما وأنها جارية لا يخرج عنها الإنسان إلا باختياره، هي واحدة من القواعد والنواميس التاريخية الثابتة التي لا تتغير بل تستمر مطردة في كل زمان ومكان وتنطبق على جميع الأفراد والأمم، فالفطرة الإنسانية ثابتة ولا يمكن القول إن الإنسان ولد ملحدًا وليس لديه دين أو توجه للمعبود، إذ أن الدين شمولي لكل المقامات والاتجاهات، فهو قاعدة شاملة ليس لها حدود وكذلك هو مستمر ليس وليد عصر معين أو مدة زمنية محددة، بل هو قاعدة

---

(١) الفطرة: وتعني في اللغة الابتداء والاختراع، وهي أول حالات المخلوق التي يكون عليها في بدء وجوده، وقال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله): ((كل مولود يولد على الفطرة)) (ابن حنبل، مسند أحمد، ٣/ ٣٥٣)، ومعناه كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فلا نجد أحدًا إلا وهو يُقَرَّر بأن له صانعًا، وإن سَمَّاه بغير اسمه، ولو عَبَدَ معه غيره. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٥٦-٥٩.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

مستمرة لا يمكن للفرد أن يتحداها إلا على الشوط القصير<sup>(١)</sup>.

فهذه الصفات هي جميعاً صفات السنن التاريخية وبذلك فإن الدين سنة من سنن التاريخ وهو ما ذكره الله عز وجل في القرآن الكريم بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، إذ أمرهم بأن يوجهوا عبادتهم إلى الله على استقامة وفترة الله الإسلام، والمعنى خلق الله الخلق للتوحيد والإسلام وهذا الدين لا يتبدل لأن الله أمرهم به<sup>(٣)</sup>، أي أن الوجدانية مترسخة فيهم لا تغيير لها حتى إن سألتهم من خلق السماوات والأرض يقولون الله<sup>(٤)</sup>، لأن الدين قائم عند الله ثابت على أساس هذه الفترة لا يحول عنها ولا يزول<sup>(٥)</sup>، فالدين لا يمكن أن ينفك عن الإنسان مادام الإنسان إنساناً، فهو سنة إلهية تاريخية قائمة بذاتها تنطبق على جميع الخلق.

وقد وضع الإمام علي (عليه السلام) تلك الفترة والسنة التاريخية حينما أشار إلى عدم خلو الأرض من حجة سواء كان نبياً أو وصياً مبلغاً للدين وموجهاً من الله سبحانه وتعالى، إذ أن استمرارية هؤلاء كمصاديق إلهية في الأرض يدل على تلك السنة ومنها قوله (عليه السلام) في ذكره لاختيار الأنبياء: ((وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيِّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ أَوْ حُجَّةٍ قَائِمَةٍ<sup>(٦)</sup>،

(١) الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص ٩٧.

(٢) الروم/ ٨١.

(٣) الطوسي، التبيان، ٣٤٨/٨. وينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ٥٩/٨.

(٤) الرازي، تفسير الرازي، ١٢٠/٢٥.

(٥) مكارم شيرازي، التفسير الأمثل، ٥١٩/١٢.

(٦) حجة: الطريق. ينظر: ابن سيده، المخصص، ٤٢/٣.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قَلَّةٌ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ أَوْ غَابِرٍ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَّتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ))<sup>(١)</sup>، إذ إن الله سبحانه وتعالى لم يخل الأرض من حجة قائمة، فهي هداية من الله سبحانه إذ سبقت الناس فكان آدم نبياً ولم يكن معه احد ثم كثرت الذرية واستمرت الحجة إلى يومنا هذا<sup>(٢)</sup>، فالهداية تارة تكون نبياً أو وصياً وتارة كتاباً أو محجة قائمة وهي السنن والمعقولات الثابتة<sup>(٣)</sup>.

لقد أكد الإمام (عليه السلام) ذلك الاطراد في هذه السنة بإشارته إلى جريانها عبر العصور والأزمان وعدم استثنائها لجيل من الأجيال، ونقصد بذلك ما تقدم من قوله (عليه السلام): ((عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَّتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْآبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ)) وهذه طريقة الله وسنته فإنه سبحانه عندما يرسل رسولاً أو نبياً يأتي بعده آخر وهكذا<sup>(٤)</sup>، فقد اقتضت سنة الله هداية الناس وارشادهم عن طريق الحجج الذين يبينون فطرة الله للخلق كما قال (عليه السلام): ((لَيْسَتْ أَدْوَاهُكُمْ مِثَاقَ فِطْرَتِهِ))<sup>(٥)</sup> اي يطلب الأنبياء والأوصياء من الناس العمل والأداء بموجب ميثاق الفطرة التي هي التوحيد والدين، إذ أن الهداية هي مظهر من مظاهر الدين وتكليف يكلف به النبي أو الوصي وهو ما اكده الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: ((والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض الله آدم إلا فيها يهتدي به إلى الله وهو

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣.

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٥.

(٣) الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ٧٧.

(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٥.

(٥) نهج البلاغة، ص ٤٤.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

حجة على عباده ولا يبقى الأرض بغير إمام حجة الله على عباده))<sup>(١)</sup>، إذن فالأرض لم تخل من حجة بفعل سنة الدين الثابتة المطردة.

ويبين الإمام علي (عليه السلام) فلسفة وجود الحجة أو القائم في الأرض بقوله: ((اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضَ مِنْ قَائِمٍ لَكَ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا وَإِمَّا خَائِفًا مَغْمُورًا لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجُجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ))<sup>(٢)</sup> وقد حاول ابن أبي الحديد توجيه هذا الكلام اعترافاً وتأييداً بما يوافق اعتقاده وذلك بصرف تلك الحجية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، إذ قال: إن المقصود هو عدم خلو الزمان ممن هو مهيمن لله تعالى على عباده، ومسيطر عليهم، وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية، إلا أن أصحابنا يحملونه على أن المراد به الأبدال الذين وردت الأخبار النبوية عنهم أنهم في الأرض سائقون، فمنهم من يعرف، ومنهم من لا يعرف، وإنهم لا يموتون حتى يودعوا السر، وهو العرفان عند قوم آخرين يقومون مقامهم<sup>(٣)</sup>، ولكن من المعلوم أن الأنبياء من القائمين لله بحجة بلا خلاف، فلا بد

(١) الكليني، الكافي، ١/ ١٧٩؛ الفيض الكاشاني، الوافي، ٢/ ٦٤.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٩٧. ومن هنا أخذ الشيعة الإمامية عقيدتهم ورأيهم بالإمامة إذ اتفق أهل الإمامة على أنه لا بد في كل زمان من إمام موجود يحتج الله عز وجل به على عباده المكلفين، ويكون بوجوده تمام المصلحة في الدين، كما تؤكد الإمامية أن الإمامة واجبة وأن الأرض لا تخلو من حجة، والإمامة عندهم عهد من الله إلى الأئمة إذ لا تثبت مع عدم المعجز لصاحبها إلا بالنص على عينه والتوقيف وتستدل على ذلك بقول الإمام الصادق (عليه السلام): ((أترؤن الموصي منا يوصي إلى من يريد؟! لا والله ولكن عهد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله لرجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه)) (الكليني، الكافي، ١/ ٢٧٨). ينظر: الكليني، الكافي، ١/ ١٧٨؛ المفيد، أوائل المقالات، ص ٤٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ١٨/ ٣٥١. أما عن عقيدة وفكر المعتزلة بالإمامة فهو يختلف عن الإمامية إذ يرون أن الإمامة واجبة في المجتمع الإنساني لأنه بحاجة إلى الحكام لإقامة العدل بين الناس إلا

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية...

أن يراد بالحجة الأنبياء ومن كان بمنزلتهم من أوصيائهم ولم يكن بعد نبينا (صلى الله عليه وآله) من يكون مثله في العصمة ومن يقوم بالحجة سوى الأئمة الإثني عشر (عليهم السلام) بإجماع الأمة<sup>(١)</sup>.

لذا قيل أن الله سبحانه يحفظ الدين بهؤلاء الحجج، فهم مكلفون بهذا الأمر المستمر وهو تصريح من الإمام (عليه السلام) بوجوب الإمامة بين الناس في كل زمان ما دام التكليف باقيا وإن الإمام قائم بحجة الله على خلقه إما أن يكون ظاهراً مشهوراً أو يكون خائفاً مستوراً لكثرة أعدائه<sup>(٢)</sup>.

إن الاهتداء إلى جادة الصواب تتطلب وجود الإمام الذي هو منار طريق الحق وهو ما نفهمه من قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله): ((من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية))<sup>(٣)</sup>، إذ أن وجود إمام الزمان هو جريان لسنة الله وفطرته في الخلق التي لا تتغير ولا تتبدل.

ولعل التشريعات المرتبطة بالدين تمثل مظهرًا من مظاهر تلك الحاكمة ليس من الجانب العملي فحسب بل لأنها كاشفة عن ذلك جريان السنة واستحقاق العقوبات من جهة وتحصيل الثواب والجنة من جهة أخرى وهذا ما يفسر قول

---

أن وجوبها ليس شرعياً وإنما نابع من حاجة المجتمع إليها، إذ جاز عندهم خلو أزمان كثيرة من أمام، وقد اتفق المعتزلة على أن تمييز الإمام وتنصيبه يكون بالاختيار والبيعة له من الأمة وليس بالنص انطلاقاً من تبيينهم مبدأ الشورى والاختيار. ينظر: الجاحظ، رسائل الجاحظ، ١/ ١٦١؛

المفيد، أوائل المقالات، ص ٤٠.

(١) التستري، بهج الصباغة، ٢/ ٥٢٠.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٣٢٦.

(٣) الكليني، الكافي، ١/ ٣٧٦؛ الصدوق، كمال الدين وإتمام النعمة، ص ٤٠٩؛ الطوسي، الرسائل العشر، ص ٣١٧؛ ابن شهر آشوب، مناقب أبي طالب، ١/ ٢١٢.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

الإمام (عليه السلام): ((الْفَرَائِضُ الْفَرَائِضُ أَدْوَهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ))<sup>(١)</sup>، والفرائض هنا كلمة جامعة مانعة تترجم بالطاعة إلى سبحانه وتعالى وتنفيذ أوامره.

### ثانياً: سنة الابتلاء.

وهي القاعدة التاريخية الثابتة المطردة، التي تكون بموجبها حركة الإنسان بما تتضمنه من أنشطة وممارسات، اختباراً للإنسان وتمحيصاً له، فهي سنة الله في خلقه تجري على الأمم والأفراد في كل زمان ومكان لأنها قانون إلهي أجراه الله على خلقه<sup>(٢)</sup>، والبلاء والابتلاء يلتقيان في معنى الاختبار والامتحان<sup>(٣)</sup>، والاختبارات على مستويات ثلاثة، أقلها المصائب والصعوبات التي تعترض الإنسان كفقد الأجزاء والأحباء أو المرض والفقر والجوع والأذى والألم، وأعلى منها امتحان الصبر على اجتناب المحرمات، وترك الشبهات والورع عنها، وعدم التسامح فيها، وأعلى منها اختبار الصبر على الطاعة، والمداومة عليها، وتكريس النفس لها، وعدم التقصير فيها، وهذه أرقى الدرجات<sup>(٤)</sup>، وقد يكون البلاء حسناً

(١) نهج البلاغة، ص ٢٤٢.

(٢) محمد إسماعيل أبو سخيل، الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء، ص ١٣. ينظر: مكتبة الروضة الحيدرية، الابتلاء والاختبار في نهج البلاغة، ص ٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١٤ / ٨٤. وقد ورد لفظ الامتحان في أحاديث ائمة أهل البيت (عليهم السلام)، إذ قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها، وعند أسرارهم كيف حفظهم لها عند عدونا، وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فيها)). ينظر: الصدوق، الخصال، ص ١٠٣؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ٢٩٣؛ الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص ١٥٠.

(٤) الشيخ محمد يعقوبي، الاسوة الحسنة، ص ١٣٥.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

أو سيئاً<sup>(١)</sup> كما في قوله تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾<sup>(٢)</sup> وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه السنة التاريخية في موضع آخر في قوله تعالى ﴿وَلِيَّبْتَلِيَّ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ<sup>(٣)</sup> مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>(٤)</sup> فسنة الله جرت على عموم الناس من ابتلاء وتمحيص وهي واقعه بكم وبهم لا محاله<sup>(٥)</sup>.

هذه السنة التاريخية لم تكن غائبة في طرح الإمام علي (عليه السلام)، بل وردت بصياغات مختلفة في نهج البلاغة، إذ أكد عليها وذكرها كقانون يسري على جميع خلق الله وإن الدنيا هي دار البلاء التي يمتحن فيها الإنسان كما جاء في قوله (عليه السلام): ((وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لَتَسْتَقَرَّ إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعْمَاءِ وَالْإِبْتِلَاءِ وَالْجُزْءِ فِي الْمَعَادِ))<sup>(٦)</sup> أي إن الدنيا لا تسير ولا تستمر إلا بوجود الابتلاء والنعماء والخير والشر حتى تستقر ويكون هناك توازن، فالابتلاء ظاهرة عامة لا يستثنى منها احد وقد قيل في ذلك: (إن الدنيا تتراوح بين الخير والشر كما شاء الله فإن شاء لها ذلك ولا يمكن التخلف عن مشيئته تعالى)<sup>(٧)</sup>، لأن القانون الإلهي ثابت مطرد لا يمكن أن يقاوم فهو ينطبق على الجميع والابتلاء خير مثال على ذلك.

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٢٦٣.

(٢) الأنبياء / ٣٥.

(٣) التمحيص: الابتلاء والاختبار ومنه محص الشيء أي يخلصه مما يشوبه. ينظر: ابن سيده، المخصص، ٣/ ٣٢٧؛ ابن منظور لسان العرب، ٧/ ٩؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٤/ ١٨١. وقال الراغب ان أصل المحص: تخلص الشيء مما فيه من عيب. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص ٧٦١.

(٤) ال عمران / ١٥٤.

(٥) الطباطبائي، تفسير الميزان، ٤/ ٤٩.

(٦) نهج البلاغة، ص ٣٩٥.

(٧) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٥٤.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

ولم يكتف الإمام علي (عليه السلام) بالمفهوم العام لسنة الابتلاء بل نجده يفصل و يجزئ ذلك البلاء بقوله : ((دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَخْوْفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَلَا يَسْلَمُ نَزَاهُهَا أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ))<sup>(١)</sup> ومعناه إن الدنيا دار حفت وأحيطت بالبلاء<sup>(٢)</sup>، فهذا البلاء الذي يحيط بالدنيا والواقع لا محالة لم يكن عبثاً أو صدفَةً بل بني على حكمة وفلسفة إلهية أريد فيها عدة أمور وجهها الإمام علي (عليه السلام) في خطابه ومنها:

١ - التوبة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى لمعرفة سبب الابتلاء وعدم ارتكاب المعاصي مره أخرى والخضوع والطاعة إلى الله سبحانه وتعالى وقد أكد ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: ((إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلَعَ مُقْلَعٌ وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكَّرٌ وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ))<sup>(٣)</sup> إذ بين (عليه السلام) غاية الله عز وجل من ذلك حتى يتعدوا عن الذنوب والمعاصي ومنعهم من الضلالة وإن الله يتقبل التوبة الصادقة من العبد، فالإنسان إذا غمرته السعادة الدنيوية أعرض عن ذكر الله ونسى ما قدمت يداه وإذا مسه الضر من نقص الثمرات وحبس البركات لم يجد ملجأ سوى الله فيتوب إليه ويدعوه ويتقرب إلى الله بخضوع وخشوع فيكون ذلك من أسباب هدايته<sup>(٤)</sup>.

والابتلاء هنا ليس عقاباً وجزاءً، بل اختباراً وامتحاناً لهم حتى تظهر الأفعال التي يستحق بها الإنسان الثواب والعقاب، لأنَّ الدنيا دار اختبار وليست دار

(١) نهج البلاغة، ص ٣٩٤.

(٢) الراوندي، منهاج البراعة، ٢/٣٩٩. وينظر: حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ١٤/٣٢٤.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٩٩.

(٤) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ص ٥١٥. وينظر: الكيذري البيهقي، حدائق الحقائق، ١/٦٣٠.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية...

جزاء، فالابتلاء قانون مطرد يصيب من أساء ومن أحسن<sup>(١)</sup>، إذ أن الأئمة (عليهم السلام) والمؤمنين وأحباب الله هم أكثر الناس بلاءً كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضى فله الرضى، ومن سخط فله السخط))<sup>(٢)</sup> ويظهر هنا أن فلسفة الابتلاء وغايتها من أجل التوجيه والإرشاد ولا يمكن أن يكون عقاباً ابداً وهو ما أكده الإمام علي (عليه السلام) حينما قال: ((إن البلاء للظالم أدب، وللمؤمن امتحان، ولللأنبياء درجة، وللأولياء كرامة))<sup>(٣)</sup>.

٢- الابتلاء معيار للثواب والعقاب، إذ أن الثواب يأتي على قدر استحقاق الأجر ومنزلة العمل، وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى ذلك بقوله: ((إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا))<sup>(٤)</sup> أي اختبر في الدنيا أهلها ليعلم أيهم أحسن عملاً، يعني كلف أهل الدنيا من العقلاء فيها ليظهر العلم للملائكة ولغيرهم، وليعلم رسل الله ذلك، وإلا فالله تعالى عالم لذاته يعلم الأشياء قبل وجودها<sup>(٥)</sup>، وهنا أكد الإمام أن الأعمال هي

(١) ينظر: مغنیه، في ظلال نهج البلاغة، ٢/ ٣١٦.

(٢) الصنعاني، المصنف، ١١/ ١٩٧؛ ابن حنبل، مسند أحمد، ٥/ ٤٢٧؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ٢/ ١٣٣٨؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٤/ ٢٧.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٦٤/ ٢٣٥، الطبرسي، مستدرک الوسائل، ٢/ ٤٣٧. ويترجم ذلك القول السيدة فاطمة الصغرى مخاطبة أهل الكوفة: ((يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكُم بنا)) (الطبرسي، الاحتجاج، ٢/ ٢٧؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص ٨٩). ومفردة الابتلاء وإن استعملتها السيدة فاطمة (عليها السلام) نفسها في كلا الاتجاهين إلا أن مضمونها مختلف بين ابتلاء أهل البيت (عليهم السلام) بالأمة عن ابتلاء الأمة بأئمتها.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٤٦.

(٥) الراوندي، منهاج البراعة، ٣/ ٢١٣.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

التي تبقى ويحاسب عليها الفرد وأن الإنسان سيلاقي العذاب لسوء اعماله وفيه تحذير وموعظة للناس لأن الاختبار سيبين الصالح من الأعمال والاطالح منها وهو مصداق لقوله تعالى: ﴿لِيَلُوَكُمُ أَيُّكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>(١)</sup> فهذا بيان الاختبار للناس وامتحانهم في صورته استفهام والمراد أن الله خلق السماوات لغاية امتحانكم وتمييز المحسنين منكم من المسيئين<sup>(٢)</sup> لأن أوقات الشدة تظهر معادن النفوس وطباع القلوب ودرجة الصبر والثقة بالله تعالى والتسليم المطلق له سبحانه وبذلك يتميز العمل الصالح من الطالح.

٣- دفع الاستكبار وترسيخ التواضع في قلوبهم وهي حكمة ربانية بابتلاء الخلق بأنواع الشدائد من أجل درء التكبر وحثهم على التواضع حتى تنفتح أبواب الرحمة عليهم لأن غاية الابتلاء هو الرضا بقضاء الله والصبر عليه، فالابتلاء يصقل الشخصية، ويظهر معدنها الأصيل، كما أن النار تفتن المعادن وتنقيها من الشوائب، وتظهر النقي فكذلك الابتلاء يظهر النقائص في الشخص حتى يسعى نحو علاجها على وفق السنن الإلهية، فضلاً عن كونها ترفع درجات المبتلى حينما ينجح فيها<sup>(٣)</sup>، لذا نجد الإمام (عليه السلام) يقول بهذه الشأن: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمُجَاهِدِ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ<sup>(٤)</sup> إِخْرَاجًا لِلتَّكْبَرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ))<sup>(٥)</sup> إذ يمتحنهم بأنواع المشاق العظيمة وبما يكرهون من أجل أخراج

(١) هود/٧.

(٢) الطباطبائي، الميزان، ١٥١/١٥.

(٣) الشيخ محمد يعقوبي، الأسوة الحسنة، ص ١٣٥.

(٤) المكاره: المشقة وهو جمع ما يكرهه الإنسان. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٣/٥٣٥.

(٥) نهج البلاغة، ص ٢٩٤.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

العظمة والكبر من قلوبهم<sup>(١)</sup>، لأنَّ البلايا والمشاق تظهر التحمل والصبر والطاعة لله تعالى وتشعر الإنسان بأنه ضعيف لا يقدر على شيء في مواجهة المصاعب إلا بالاستعانة بالله عز وجل وبذلك يدخل التواضع والذلة في قلبه وينفى التكبر من داخل نفس الإنسان كما أكد عليه الإمام (عليه السلام) في الموضع نفسه بقوله: ((وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَتَّبِعِي خَلْقَهُ بَعْضُ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمَيِّزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ وَنَفِيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ وَإِعَادًا لِلْخِيَلَاءِ<sup>(٢)</sup> مِنْهُمْ))<sup>(٣)</sup>.

يعني أنه سبحانه يكلفهم بأحكام لا يعلمون سرها والغرض منها ليميز المنقاد من المتمرد والمتذلل من المستكبر<sup>(٤)</sup> لأن العبادات خضوع وخشوع وذلة، ففيها نفي الخيلاء والتكبر عن فاعليها<sup>(٥)</sup>، فمن خلال تلك الابتلاءات يعرف الصواب ويخضع لله تعالى ولا يتكبر ويعتبر بحال الماضين المتكبرين ومنهم ابليس وهو ما حذر منه الإمام عليه السلام.

٤- الموازنة في التعامل مع المصائب والمصاعب وعدم التهاون معها على أساس صغرها وكبرها أو تعظيمها بسبب طبيعة الإنسان، فإن ذلك مراعاة لتجدد الابتلاء، إذ يقول (عليه السلام): ((مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِكِبَارِهَا))<sup>(٦)</sup>.

٥- في المحصلة النهائية فإن الهدف الأسمى من الاختبار والبلاء هو تربية الإنسان وأخراج الطاقات الكامنة فيه حتى يتكامل وتبنى شخصيته لكي يشق

(١) الحسيني، ديباج الوضي، ٢١٩/٤.

(٢) الخيلاء: التكبر. ينظر: ابن سيدة، المخصص، ٦٧/٥.

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٨٧.

(٤) حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ٢٧٤/١١.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/١٣٣.

(٦) نهج البلاغة، ص ٥٥٥.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

طريقه نحو الحياة ولا يخشى مصاعبها<sup>(١)</sup> لأنَّ سنة الابتلاء في حقيقتها ظاهرة صحية تحافظ على كينونة الإنسان وما خلق من أجله فإن إدراك حقيقة الابتلاء تجعل من هذا الإنسان مالكا لهذه الدنيا وليس مملوكا لها<sup>(٢)</sup>.

فضلاً عما ما تقدم فإن كل البلياء التي تنزل بالخلق وتجري عليهم هي فيها موعظة للمخلوق للتعاطي والركون إلى عقله ورشده وأخذ العبرة منها حتى لا يقع في الخطايا مرة ثانية ويتعد عنها وهذا ما يفسر قول الإمام علي (عليه السلام): ((وَمَنْ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ))<sup>(٣)</sup> لأنَّ تأثير البلاء والتجارب في النفس أشدَّ وأقوى من تأثير النصيح والموعظة، فالموعظة إحالة على الغائب، والبلياء والتجربة مدركة بالحس فمن لا ينفعه الأقوى لا ينفعه الأضعف<sup>(٤)</sup>.

ولعل بيان فلسفة الابتلاء تناغم وتكامل مع بيان صور تلك الابتلاءات التي جسدها الإمام (عليه السلام) بمفاهيم ومظاهر عدة وأولها الفرائض، إذ ابتلى الله عز وجل البشر بالفرائض من أجل اختبار الإنسان ومدى قدرته على التحمل والصبر ومنها فريضة الصوم فقد قال الإمام (عليه السلام): ((فَرَضَ اللَّهُ الصِّيَامَ ابْتِلاءً لِإِخْلَاصِ الْخُلُقِ))<sup>(٥)</sup> ومن هذه الفرائض أيضاً الحج، إذ قال الإمام علي (عليه السلام) فيه: ((أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْنَهُ

(١) ينظر: الحيدري، حقيقة البلاء وحتमितه، ص ٢٠.

(٢) محمد إسماعيل أبو سخيل، الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر الإسلامي، ص ١٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٥٤.

(٤) حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ١٠ / ٢٢٤.

(٥) نهج البلاغة، ص ٥١٢.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية...

الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرَ<sup>(١)</sup> بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا... ابْتِلَاءً عَظِيمًا وَاِمْتِحَانًا شَدِيدًا وَاخْتِبَارًا مُبِينًا وَتَمْحِصًا بَلِيغًا جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ وَوُضْعًا إِلَى جَنَّتِهِ<sup>(٢)</sup>، فالحجارة التي لا تضر ولا تنفع وموضعها في الصحراء بأوعر بقاع العالم، فهو امتحان عظيم واختبار لاحتمال المشاق الكثيرة المتعبة في الأسفار من المسافات البعيدة وترك مفاخر الدنيا حتى يتبين المطيع من العاصي وجعله سببًا لرحمته وطريقًا إلى جنته<sup>(٣)</sup>، فمن خلال تلك العبادات يختبر الله عباده، إذ يترتب على النجاح في أداء هذه الفرائض آثار ايجابية مادية ومعنوية يقطف ثمارها الإنسان من تطهير القلب والإخلاص في النية والرجوع إلى الله وعدم التكبر لذلك بين الإمام (عليه السلام) هذه العبادات، فهي ليست سننًا وإنما هي واحدة من عدة اختبارات في سنة الابتلاء التاريخية<sup>(٤)</sup>.

ومن المظاهر الأخرى للابتلاء هي ضيق العيش أو سعة الرزق، فمن الابتلاءات التي يبتلي بها الإنسان هي صعوبة الرزق أو وفرته، وهذه من أفسى الاختبارات على بني البشر لقياس مدى طاعتهم لله عز وجل ليتبين الساخط برزقه والراضي بقسمته، إذ قال الإمام علي (عليه السلام): ((قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا وَقَسَمَهَا عَلَى الضَّيْقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا وَلِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَيْبِهَا وَفَقِيرِهَا))<sup>(٥)</sup> أي أن قلة العيش

(١) الوعر: المكان ذو الوُعُورَةِ ضدَّ السَّهْلِ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٢٨٥؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ٢/ ١٤٥.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٩٣.

(٣) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٨١؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٣١٦.

(٤) ينظر: حميد سراج جابر، فلسفة الأحكام في نهج البلاغة، ص ٨٢.

(٥) نهج البلاغة، ص ١٣٤.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

ابتلاء للناس ومقياس للتحمل والصبر وعدم الاعتراض على حكمة الله، كذلك سعه الرزق فهي قياس أيضًا للشكر وعدم التكبر وصيانة هذه النعمة وإعطاء المستحقين منها وعدم تبذيرها وإنفاقها في مواردها.

وتعد الفتن<sup>(١)</sup> من أشد البليات على الإنسان، إذ تختلط فيها الأمور على المخلوق في تشخيص الحق من الباطل، وهذا الاختلاط إنما يعود بالأساس إلى طبيعة ثقافة المبتلى واتصاله بالله سبحانه، وهو ما أشار إليه الإمام علي (عليه السلام) بقوله: ((إِنَّ الْفِتْنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرُنْ مُقْبِلَاتٍ وَيُعْرَفُنْ مُدْبِرَاتٍ يُحْمَنُ حَوْمَ الرِّيحِ يُصْبِنُ بَلَدًا وَيُحْطِنُ بَلَدًا أَلَا وَإِنَّ أَحْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ<sup>(٢)</sup> فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ حُطَّتْهَا وَخَصَّتْ بَلِيَّتَهَا وَأَصَابَ

(١) الفتن: مجاعٌ معنى الابتلاء والامتحان والاختبار وقيل انها: الضلال، والذي يفتن هو المخادع الذي يزين المعاصي وهذه المعاني هي التي نقصدها في طرحنا هذا. ينظر: الجوهري، الصحاح، ٢١٧٦/٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ٣١٧/١٣.

(٢) فتنة بني أمية: يقصد بها ما قام به بنو أمية من ثورات وحروب في عهد الإمام علي السلام مثل وقعه الجمل وحروب صفين وأشغال فتيل موقعه النهروان حتى بشوا بذور النفاق والفرقة والشقاق في صفوف الأمة الإسلامية إلى ان تولوا الحكم، إذ كانت حكومة بني أمية من اعظم وأعقد الفتن التي عصفت بالمسلمين منذ انبثاق الدعوة الإسلامية إذ قلبت الحضارة الإسلامية رأسًا على عقب وصبغت الحكومة الإسلامية بصيغة الاستبداد والتسلط والغطرسة، فقد استمرت لأكثر من ثمانين عامًا قاموا بأعظم الفتن فيها ومنها هتكهم حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقتل الإمام الحسين عليه السلام وذريته، وهتك حرمة الإسلام بهدم الكعبة وحرقتها، وسب الإمام علي عليه السلام ثمانين سنة، وما انتشر من البلاء بتوليتهم الحجاج وإراقة دماء المسلمين، فقد كانت فتنة عامه شاملة ولكن حظ أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم من بليتها أعظم، ونصيبهم فيها أوفر. ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٣/٧؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٩٢/٢؛ حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ٨٨/٧؛ مكارم شيرازي، نفحات الولاية، ١٤٤/٤.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا))<sup>(١)</sup> إذ تكون في مبدئها متشبهة بالحق في أذهان الخلق وإذا أدبرت نبّهت لأذهان الخلق على كونها فتنة بعد وقوع الهرج والمرج بين الناس واضطراب أمورهم بسببها وأكثر ما يكون ذلك عند إدبارها، كالفساد في الدول مثلاً الذي يعرف به عامّة الخلق كونها فتنة وضلال عن سبيل الله أكثر ما يكون في آخرها فيكون مؤذناً بزوالها وعلامة مبشرة<sup>(٢)</sup>.

ولعل شكل هذه الفتن وتكاملها إنما يقوم على طبيعة تنميقها وزخرفتها وإعدادها بشكل مغر ويستدرج الناس، فلأنها فتنة فهي غامضة لا يرى منها سوى الظاهر الخداع، لذا فإن الشيخ ناصر مكارم شيرازي يقول: إن الفتن مجهولة عند الأقبال لأن أصحاب الفتن يحاولون تنميق ظاهرهم لإخفاء صورتهم الكريمة بإطار الحق ليستقطبوا الناس اليهم وعلى أهل الحق الحيطة والحذر من هذه الفتن ومن أبرزها التي امتحن بها أهل البيت (عليهم السلام) هي فتنة بني أمية لأنها تتجاوز كل القيم والمفاهيم والمثل والأشخاص دون الالتفات إلى سوابقهم ومواقفهم<sup>(٣)</sup>.

وقد شخّص الشارحون من يسقط بالفتنة، إذ قال بعضهم: إن البلاء هو الأثم ويصيب العالم بارتكابهم المنكر إذ لم ينكر، والجاهل بذلك لا إثم عليه إذا لم ينههم عن المنكر لأنّ من لا يعلم المنكر منكرًا لا يلزمه إنكاره<sup>(٤)</sup>، ويتضح من هذا الفهم أن البلاء فقط معنوي لا مادي ويتمثل بالآثم إذ لم ينكر الفتنة من يعلم بها وهذه الأمر بعيد ولا يتطابق مع ما أصاب أهل البيت (عليهم السلام) من آذى بعد رفضهم ومعارضتهم لبني أمية، فالبلاء يكون عامًا شاملًا ولا يكتفي بالآثم، وهذا ما أكدته

(١) نهج البلاغة، ص ١٣٨.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٩١/٢. وينظر: حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٧٨/٧.

(٣) نفحات الولاية، ١٤٢/٤.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥٣/٧.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

الشارح محمد جواد مغنية، إذ قال: ان أهل العلم والإخلاص يصيبهم من عدوانها السهم الأوفر لصدقهم ومعارضتهم، ويشاهدون المنكر هنا وهناك، ولا يملكون من أمره وأمرهم شيئاً، وأخطأ البلاء من عمي عنها وبارك فيها سواء كان عن جهل وعمي أو عن قصد وطمع<sup>(١)</sup>، فهي ابتلاء للصادقين المعارضين لها لذلك سميت الفتنة امتحاناً واختباراً لأن فيها يختبر الشجاع والجبان والجازع والصابر<sup>(٢)</sup>.

غير أن طرق التصدي والتعامل مع الابتلاء لا تخرج عن نطاق عملي علمي حدده الإمام علي (عليه السلام) بتوصيات هادفة تتلاءم مع طبيعة الطرح الإسلامي، وأول تلك الوصايا هي الحث على الدعاء فهو وسيلة التصدي المثلى للبلاء وهو ما جسده الإمام (عليه السلام) بقوله: ((ادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ))<sup>(٣)</sup>، فالبلاء مهما كان عظيماً وقريب الوقوع فإنه يدفع بالدعاء والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى لأن المخلوق في الدعاء يسلم أمره إلى الله وبذلك يتم دفعه بقدرته الله، وقد أكد الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) ذلك بقوله: ((إن الدعاء والبلاء ليرافقان إلى يوم القيامة، إن الدعاء ليرد البلاء وقد أبرم إبراهيم))<sup>(٤)</sup> فهذا تأكيد وإبرام مطلق من المعصوم على أهمية الدعاء والتخلص من البلاء بواسطة، والدعاء هنا لا يتعارض مع القدر بل يردده كما قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله): ((لا يرد القضاء إلا الدعاء))<sup>(٥)</sup>، فالإنسان يستطيع تغيير

(١) في ظلال نهج البلاغة، ٥٨/٢.

(٢) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ص ٤٣٤. وينظر: الكيذري البيهقي، حدائق الحقائق، ٤٨٧/١.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٩٦.

(٤) الكليني، الكافي، ٤٦٩/٢؛ الفيض الكاشاني، الوافي، ١٤٧٧/٢؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة،

٣٦/٧.

(٥) الترمذي، سنن الترمذي، ٣/٣٠٣؛ الحاكم النيسابوري، المستدرک، ١/٤٩٣.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية...

مصيره بالأعمال الصالحة ومنها الدعاء الخالص الذي لا تشوبه شائبة لله .  
ومن الحلول التي طرحها الإمام (عليه السلام) لمقاومة البلاء والخلاص منه هو الصبر على الامتحان حتى يتخلص منه وينال الظفر، وهو ما نفهمه من قوله (عليه السلام): ((وإِنْ ابْتُلِيْتُمْ فَاصْبِرُوا فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ))<sup>(١)</sup> فالصبر على البلوى يترك أثراً مهماً يتمثل بدفع البلاء والخلاص منه، إذ إن الصبر الذي أشار إليه الإمام علي (عليه السلام) يتمثل بالعمل للخلاص ولا يتدمر ولا ييأس من روح الله وإن طال البلاء إذ يستمر بأداء العبادات وعدم الانحراف وشكر الله والدعاء إليه وغيرها من الأعمال الصالحة التي توجب الجزاء والظفر.

وكذلك الحال بالنسبة للشكر فهو وسيلة المتبلى بحمد الله تعالى والثناء عليه والتسليم لأمره إذ حدد الإمام (عليه السلام) ذلك ورتب عليها أثراً بقوله: ((حَمْدُ اللَّهِ الْوَأَصْلُ الْحَمْدُ بِالنَّعْمِ وَالنَّعْمُ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى الْآيَةِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ))<sup>(٢)</sup>، إذ أن كل ما يصل إلينا من محن وبلوى في دار الدنيا هو منح ونعمة من الله لمن يتحمل أعباءه، فلذلك يستحق الله سبحانه الشكر على المحن كما يستحق على المنح<sup>(٣)</sup>، فالإمام (عليه السلام) حث على الحمد والشكر في اوقات الشدة وأراد من ذلك أن يربي المجتمع على القيام بهذا العمل الصالح وتقوية العلاقة مع الخالق حتى تدفع البلياء وأكد عليه في موضع آخر بشكل تشخيصي بين مرحلة المواجهة والتحمل للابتلاءات، إذ قال (عليه السلام): ((حَمْدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى))<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة، ١٤٤. وفي هذا النص إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هود/٤٩.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٦٩.

(٣) الكيذري البيهقي، حقائق الحقائق، ١/٥٥٠.

(٤) نهج البلاغة، ص ١٣٩.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

وهذه الوسائل التي ذكرها الإمام (عليه السلام) تشترك فيما بينها بعدة عوامل، فهي مترابطة ولا تنفصل عن بعضها، فالصبر تتخلله عدة أعمال منها الصدقة والدعاء لدفع البلاء وهي جميعها عبادات وأعمال يجب أن تكون خالصة لله وتعبر عن ضعف المخلوق ورجوعه إلى الخالق الذي يجزي من يعمل صالحاً، والحال ينطبق على الدعاء الذي هو مفهوم شمولي يتعدى القيام بالصلاة والخضوع والتذلل وغيرها، وكذلك الشكر الذي يجمع بين الإطار المعنوي المتفرع والإطار المادي اللفظي، فجميع تلك الوسائل هي كاشفة عن طبيعة ثقافة المتلى ودرجته عند الباري عز وجل.

### ثالثاً: سنة التمكين والنصر.

وهي من السنن التاريخية التي تجري على الأمم والمجتمعات ولا تتوقف أو يعثرها التعطيل والقدم، فالتمكين يعني المنزلة والقدرة والتسلط إذ يقول الزمخشري (٥٣٨هـ): (مكته من شيء وأمكته منه واستمكن وهو مكين عند السلطان وهو امكن من غيره)<sup>(١)</sup> والمرادف للتمكين في المعنى الاصطلاحي للسنة هي كلمة النصر، وهي من السنن التي تحدث بتوافر الشروط والأسباب لتطبيقها، من غير أن يكون تمكين السلطان وتسليطه هو جريان طبيعي لتلك السنة، وإنما ورد من معنى هو صيغة لغوية بحتة ولكن حين جمعها بالمعنى الاصطلاحي الذي يعني القدرة والتمكين حتى تتضح الأمور أكثر.

ولقد أكد الإمام علي (عليه السلام) على هذه السنة إذ احتلت مساحةً واسعة في فكره (عليه السلام) ولاسيما الخطب التي كان يلقيها في ساحه المعركة من أجل استنهاض الهمم على الثبات والتعبئة حتى يتحقق النصر، ولاسيما ما ذكره (عليه

(١) أساس البلاغة، ص ٩١٠.

(السلام) ليله الهيرير بمعركة صفين حينما قال: ((معاشرَ المسلمين استشعروا الخشية وتجلّبوا السكينة وعضوا على النواجذ فإنه أنبى للسيف عن الهام وأكملوا الأمة وقلقلوا السيف في أعمادها قبل سلّها والحظوا الخزر وأطعنوا الشزر ونافحوا بالظبي وصلوا السيف بالخطا واعلموا أنكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله فعادوا الكر واستحيوا من الفر فإنه عار في الأعقاب وناز يوم الحساب وطيبوا عن أنفسكم نفسا وامشوا إلى الموت مشيا سجحا وعليكم بهذا السواد الأعظم والرواق المطب فاضربوا ثبجه فإن الشيطان كامن في كسره وقد قدم للوثبة يدا وأخر للتكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق: ﴿وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾<sup>(١)</sup>))<sup>(٢)</sup> بين أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا الطرح الأسباب والعوامل المساعدة لتحقيق سنة التمكين وهي أسباب تختلف عن المحددات والضوابط لأن الجانب المادي يدخل فيها بشكل مؤثر، إذ تعد الأسباب المادية من اهم الأسباب والأكثر حسماً للمعركة فهي مكملة للنصر الإلهي، ومن بين تلك العوامل التي أشار إليها الإمام (عليه السلام) هي:

### عوامل تحقيق سنة التمكين.

#### أولاً: أعداد العدة والسلاح.

من العوامل المادية التي أمر بها الإمام علي (عليه السلام) أصحابه أعداد جميع الأسلحة والملابس العسكرية والدروع وآلات الحرب وهو ما جسده قوله (عليه السلام): ((وأكملوا الأمة وقلقلوا السيف في أعمادها قبل سلّها))<sup>(٣)</sup>.

(١) محمد/٣٥.

(٢) نهج البلاغة، ص ٩٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٩٧.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

إذ أمر بإكمال اللأمة، وإكمال الدرع البيضة والسواعد ويحتمل أن يريد باللامه جميع آلات الحرب وما يحتاج إليه فيه وفائدته شدة التحصن<sup>(١)</sup>، وكذلك تحريك السيوف كيلا تستعصي عن الخروج<sup>(٢)</sup>، وكلام الإمام (عليه السلام) هو مصداق لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مَنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وكل ما يتقوى به على حرب العدو وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة<sup>(٤)</sup>، فهذا الاستعداد مقدمة مادية مهمة لتحقيق النصر.

### ثانياً: التخطيط وتحديد الهدف.

وهي من الأسباب المهمة التي ذكرها الإمام (عليه السلام) للمؤمنين وبها يتحقق النصر والغلبة فلا بد من تحديد الهدف والتخطيط لخوض المعركة حتى يتم النصر وهو ما نفهمه من قوله (عليه السلام): ((وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَالرَّوَاقِ الْمُطَنَّبِ فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ))<sup>(٥)</sup> أي اتبعوا ما اجتمع عليه العدد الكثير يعني أجماع الأمة<sup>(٦)</sup>، ويقصد بهم أهل الشام المجتمعين حول معاوية الذي وصفه بالشيطان<sup>(٧)</sup>، فتحديد المقصد أمر مهم لكي تتم خطة

(١) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢ / ١٨٠. وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥ / ١٦٩.

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١ / ٣٣٧.

(٣) الأنفال / ٦٠.

(٤) الرازي، تفسير الرازي، ١٥ / ١٨٥.

(٥) نهج البلاغة، ص ٩٧.

(٦) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ٣٤٩. وينظر: الكيذري البيهقي، حقائق الحقائق، ١ / ٣٣٨.

(٧) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢ / ١٧٨.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية...

المعركة على ضوء الهدف وبذلك يتم النصر ويجري القانون الالهي.

ولا ننسى الأسباب المادية المعنوية التي تحقق التكامل مع الإطار المعنوي لأنها ضمن مبادئ الحرب فهي مادية من جانب ومعنوية من جانب آخر ومعروفة أهميتها للظفر والنصر، وقد اعتنى الإمام (عليه السلام) بها وأرشد المقاتلين إليها لأنها الأساس في رفع الروح المعنوية التي تنزل النصر من الله وتزيد الثقة فيهم وتطمئن قلوبهم بالوعد الإلهي بالنصر ومن تلك العوامل:

### عوامل تحقيق النصر.

أولاً: الإيمان بالله والتوكل عليه.

يعد من اهم العوامل الكفيلة بالنصر فهو شرط أساسي في أعداد المقاتل المسلم في المعارك والحروب لما له من أثر في قلب المؤمن وهو ما عمل عليه الإمام (عليه السلام) في طرحه حينما قال: ((مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخُشْيَةَ وَتَجَلَّبُوا السَّكِينَةَ))<sup>(١)</sup> أي اجعلوا خشية الله شعاركم<sup>(٢)</sup> لأن هذا الخوف أساس الإتقان والإخلاص في العمل<sup>(٣)</sup>، فالرجوع إلى الله تعالى والتوكل عليه أمر مهم في تحقيق النصر لأن الله عز وجل لا يخذل من توكل عليه كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٤)</sup> إذ أن من نصره الله فلا غالب له وإن الأمر كله بيد الله

(١) نهج البلاغة، ص ٩٧.

(٢) الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ٢٩٠. وينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٦٨؛ البحراني،

شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٧٩؛ حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ٥/ ٢٥.

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ٣٣٧.

(٤) ال عمران/ ١٦٠.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

ووجب على المؤمن أن لا يتوكل إلا عليه<sup>(١)</sup>، ومن ذلك فإن التوكل كان سبباً في نصره المؤمنين والعكس صحيح بالنسبة للكافرين فقد كان سبباً في هزيمتهم كما حدث في معركة بدر<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً- الثبات والصبر.

إن ثبات القلب والقدم في مواقع الحروب سبب رئيس ومهم ومكمل للتجهيز المادي في تحقيق النصر وعندما تتوافر هذه الصفة في المجاهد يصبح مؤهلاً للتصدي، لذلك جاء تأكيد أمير المؤمنين (عليه السلام) على الثبات عند طرح سنة النصر التاريخية من أجل ترسيخه في نفوس المقاتلين وذلك حينما قال: ((فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ))<sup>(٣)</sup> أي اثبتوا واصبروا<sup>(٤)</sup>، وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى الثبات في موضع آخر عندما أعطى إلى ابنه محمد ابن الحنفية<sup>(٥)</sup>

(١) الرازي، تفسير الرازي، ٦٨/٩. وينظر: الطبري، جامع البيان، ٢٠٥/٤.

(٢) انتصر المسلمون في معركة بدر على الرغم من الفارق في الإمكانيات المادية إذ بلغ عدد المقاتلين المسلمين (٣١٣) مجاهد في مقابل (٩٥٠) مشرك، ولكن روح المسلمين المعنوية العالية وأيمانهم بقدرتهم ودينهم ساهم بالنصر. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٨/٢؛ المسعودي، التنبيه والأشرف، ص ٢٠٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١١٨/٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٩٧.

(٤) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣٣٧/١.

(٥) محمد ابن الحنفية: هو محمد بن علي بن أبي طالب كنيته أبو القاسم وقيل أبو عبد الله، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية كان مولده لثلاث سنوات بقيت من حكم عمر بن الخطاب، واتهم البعض محمد بأنه ادعى الإمامة بعد الإمام الحسين (عليه السلام) بل قيل ادعى المهديّة الا انه من الثابتين والمعتقدين بالإمام زين العابدين (عليه السلام) وكان ملازمًا له ولم ينحرف، إلا ان جماعة انحرفت باسمه دعوا بالكيسانية فادعوا إمامته وهو بريء منهم ومن ادعائهم، ومن الشواهد الحية على رفعتة ومكانته وعلو منزلته ان الإمام الحسين (عليه السلام) حين أراد الخروج من المدينة إلى مكة جعله خليفته ووصيه في المدينة ليطلع على الأخبار. وتوفي برضوى سنة ثلاث

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

الراية يوم الجمل: ((تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُولُ عَضُّ عَلَى نَاجِدِكَ أَعْرَ اللَّهُ مُجْمَمَتَكَ تَدُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ أَرَمَ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَغَضُّ بَصْرِكَ وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ))<sup>(١)</sup> فقد بيّن الإمام (عليه السلام) الثبات في الحرب، فالإعراض عن الأدبار تشبيهاً بالجبال فإنها لا تزول من مكانها والعض على الناجذ يدفع الضرر، وثبات القدم سبب لانهزام العدو، وغض البصر يزيل الجبن، ورمي البصر يشجع الفؤاد والنصر يتحقق من عند الله سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>، فالصمود في الميدان مقدمة مهمة للنصر لذلك جاء تأكيده (عليه السلام) على الثبات مهما كانت الظروف شديدة من أجل جريان سنة الله في النصر.

وهناك حافز مهم للنصر يرتبط بالثبات أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلامه المتقدم وهو الصبر إذ يعد عنصرًا رئيسيًا يقف وراء النصر، فالصبر تكتمل به قوة المؤمن النفسية وشجاعته ويأتي معه النصر والظفر وهذا ما دعا له الإمام علي (عليه السلام) حينما قال: ((وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ))<sup>(٣)</sup>، وأيضًا نقل عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ((فاصبروا تظفروا))<sup>(٤)</sup>، ولا ريب في أن قاعدة هذا الكلام مثلها القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وهنا الشرط

وثمانين ودفن بالقيع. ينظر: ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار، ص ١٠٣؛ المفيد، الجمل، ص ١٧٩؛ الحلبي، تقريب المعارف، ص ٢٥٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤/ ١١٠.

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥.

(٢) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ٢٥٢، الكندري البيهقي، حقائق الحقائق، ١/ ١٩٢.

(٣) نهج البلاغة، ٦٨.

(٤) الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص ٥٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٦٨/ ٩٦.

(٥) الأنفال/ ٦٥.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم أن صبروا غلبوا بعون الله وتأييده<sup>(١)</sup>، فهذه الغلبة والنصر تقع بإذن الله وتيسيره لأنه من تكفل بالنصر، إذ يقول الإمام (عليه السلام) بشأن ذلك: ((وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ))<sup>(٢)</sup> وكلامه هنا إشارة إلى وقوفهم بجانب الحق المتمثل بالإمام علي (عليه السلام) نفسه: ((علي مع الحق والحق مع علي))<sup>(٣)</sup> فأنتم على حق في هذه الحرب تماما كما لو كنتم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) والله يشملكم بعونه وعنايته<sup>(٤)</sup> ويراكم ويعلم أعمالكم<sup>(٥)</sup> لأنهم أهل الحق الذي ينصر من نصره و يهلك من وقف ضده كما جاء في قول الإمام علي (عليه السلام) في موضع آخر: ((من صارع الحق صرعه))<sup>(٦)</sup> لذا فإن الثبات يتم بإيمان الفرد بقضيته وهو مقدمة لتحقيق النصر.

لقد تعددت وتنوعت مصاديق التمكين في طرح الإمام علي (عليه السلام) ولعل أبرزها تمكين الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) في تحقيق الانتصار للدين الإسلامي واستقراره وانتشاره على مدى واسع، وقد ذكر الإمام ذلك يوم صفين من اجل التعبئة وشد الأزر والثبات وتذكير أصحابه بنصر الله لهم إذ قال: ((وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا))<sup>(٧)</sup>

(١) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٣/ ١٢٠.

(٢) نهج البلاغة، ص ٩٧.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٤/ ٣٢٢؛ ابن شهر شوب، مناقب ال أبي طالب، ٣/ ٥٠.

(٤) مغنية، شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٣٧.

(٥) الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ٢٩١. ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٧٣.

(٦) نهج البلاغة، ص ٥٤٨.

(٧) لقد حدثت مثل هذه الحالات الكثيرة في حروب صدر الإسلام بقتلهم الأقارب في ذات الله، ومنها قتل الإمام علي (عليه السلام) الوليد بن عتبة في معركة بدر وكذلك الجهم الغفير من بني عبد

مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ<sup>(١)</sup> وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَلْمِ  
وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ  
الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ<sup>(٢)</sup> فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا  
وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ<sup>(٣)</sup> وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ  
حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًّا جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ<sup>(٤)</sup> وهنا رسم أمير المؤمنين  
(عليه السلام) صورة حية لتكامل الأسباب المؤدية للنصر مع الرسول (صلى  
الله عليه وآله) لثبات الدين وإخلاصه واستقراره في قلوب أصحابه والجدية في

مناف وبنو عبد الدار في يوم بدر وأحد، وهم عشيرته وبنو عمه، وقتل عمر بن الخطاب يوم  
بدر خاله العاص بن هشام بن المغيرة، وقتل حمزة بن عبد المطلب شبيهة بن ربيعة يوم بدر، وهو  
ابن عمه، لأنها أبناء عبد مناف. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ١٣٥؛ ابن أبي الحديد؛  
شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٤.

(١) مضيا على اللقم: على الطريق الواضح. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٢٦٠.  
(٢) ونذكر هنا ما حدث بين الإمام علي (عليه السلام) وعمرو بن ود العامري يوم الخندق، عندما  
أصر الإمام (عليه السلام) على مبارزة عمرو، فقد نزل عمرو عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم  
أقبل على علي فتنازلا وتجاولا وثارَت بينهما غبرة، وسمع التكبير تحتها، فعلم المسلمون أن عليا  
(عليه السلام) قد قتله، وانكشف أصحابه حتى طفرت خيولهم الخندق، وثوران الغبرة بينهما  
حتى حجبتهما عن الأبصار دليل شدة المنازلة والمجاولَة وإنما بلغت أقصى درجات الشدة حتى  
أثارت ذلك الغبار الذي حجبهما عن الأبصار، وكذلك بينه وبين مرحب اليهودي عندما التقيا  
في غزوة خيبر عام سبعة للهجرة، إذ خرج مرحب صاحب الحصن الذي لم يكن في أهل خيبر  
أشجع منه وعليه مغفر معصفر يما وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، فاختلف هو وعلي  
بضربتين فضربه علي على هامته حتى عض السيف منها بأضراسه وسمع أهل العسكر صوت  
ضربته فما تمام آخر الناس مع علي (عليه السلام) حتى فتح الله له وهم. ينظر: اليعقوبي، تاريخ  
اليعقوبي، ٢/ ٥٦؛ الطبري، تاريخ الملوك والرسل، ٢/ ٢٤٠ و ٣٠١؛ المفيد، الإرشاد، ١/ ١٠٣.

(٣) الكبت: الازدلال. ينظر: الجوهري، الصحاح، ١/ ٢٦٢.

(٤) نهج البلاغة، ص ٩٢.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

القتال وهي العوامل التي تطرقنا إليها لأنَّ الوعد الإلهي بالنصر لا يتحقق بمجرد ادعاء الإيمان بل حركة فعالة واستعداد، فقد ذكره الإمام علي (عليه السلام) لأصحابه ليطمئنهم ويعيد لهم الثقة بالنفس حتى يشبثوا على إيمانهم، لأن الجود الإلهي لا ينقطع ولا يخل فيه ولا يمنع بل هو عام الفيض على كل قابل استعداد لرحمته وأشار برؤية الله صدقهم إلى علمه باستحقاقهم واستعدادهم بالصبر الذي أعدّه لهم به، وبإنزال النصر عليهم والكبت لعدوهم إلى إفاضته على كل منهم ما استعدّ له<sup>(١)</sup>، وذلك لأن الله يجري المسببات على أسبابها ويربط النتائج بالمقدمات، فمن صدق من العزم وعمل جاهداً مخلصاً في عمله حصل على الغاية بتوفيق الله وعنايته<sup>(٢)</sup>، إذ أن وعد الله لا يمكن أن يتخلف: ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وجاء تمكين أهل البيت (عليهم السلام) واستخلافهم في الأرض ونصرهم بعد الظلم الذي واجهوه من الحكام والناس على حد سواء كمصداق آخر وهو الأمر الذي سلط الإمام (عليه السلام) الضوء عليه حينما قال: ((لَتَعَطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٤)</sup>))<sup>(٥)</sup> والضروس هي الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ليقى لبنا لولدها وذلك لفرط شفقتها عليه واستعار الإمام (عليه السلام) لفظة الشماس للدنيا باعتبار اعدادها للمنعة وشبها بالفرس الذي يمنع ظهره أن يركب وشبه عطفه بعد ذلك

(١) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٤٨.

(٢) مغنیه، في ظلال نهج البلاغة، ٥/ ٣٤٩.

(٣) الروم/ ٦.

(٤) القصص/ ٥.

(٥) نهج البلاغة، ص ٥٠٦.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

عليهم واعدادها لتمكنهم من الحكم فيها بعطف الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة العطف<sup>(١)</sup>، وجاء تأكيد الإمام (عليه السلام) على التمكين من خلال استشهاده بالآية القرآنية التي قيل في تفسيرها إنها نزلت في حق بني إسرائيل بعد استضعافهم من قبل فرعون<sup>(٢)</sup>، وقيل أن الآية نزلت في شأن الإمام المهدي (عليه السلام) وأن الله تعالى يمن عليه بعد أن استضعف ويجعله إماما مكمنا، ويورثه ما كان في أيدي الظلمة<sup>(٣)</sup>، ومؤكد ان آيات القرآن الكريم غير محددة بزمن صلاحية وإنما هي عامة وشمولية من حيث الزمان والمكان فما ينطبق على أهل البيت (عليهم السلام) ينطبق على الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) أيضًا.

وقد قرب الطبرسي الصورة حينما قال بعد ذكر كلام أمير المؤمنين المتقدم: إنَّ بني إسرائيل وأهل البيت (عليهم السلام) هم بمنزلة واحده استنادًا لقول الإمام السجاد (عليه السلام): ((والذي بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا إن الأبرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته وإن عدونا وأشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه))<sup>(٤)</sup>.

ومما تقدم يتضح أن الإمام (عليه السلام) طرح الآية لتشابه الأحوال وثبات الحكم الإلهي الذي لا يتغير، فالمستضعفون في الأرض هم الذين يضطهدهم الأقوياء، ويتسلطون على أقواتهم ومقدراتهم ظلما وعدوانا، والله سبحانه يمن عليهم بالحرية والخلاص من الاضطهاد إذا جاهدوا وثابروا واستماتوا من أجل

(١) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٣٤٩.

(٢) الطبرسي، جامع البيان، ٢٠/ ٣٥، الثعلبي، تفسير الثعلبي، ٧/ ٢٣٣، الواحدي، تفسير الواحدي، ٨١٣/٢.

(٣) الطوسي، التبيان، ٨/ ١٢٩.

(٤) مجمع البيان، ٧/ ٤١٤.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

حياتهم وكرامتهم تماما كما يمن سبحانه على المريض بالشفاء إذا استعمل العلاج الصحيح وعلى الفلاح بالثمر إذا عمل واتفق عمله، إذ إن الله سنة في خلقه وهي ان تجري الأمور على أسبابها والغايات على وسائلها: ((وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا))<sup>(١)</sup> (٢).

لقد جاء تمكين أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعد ما أصابهم البلاء والامتحان والاختبار والضيق والجور من الحكام والفتن ومنها فتنة بني أمية وفتنة بني العباس، إذ قال (عليه السلام) في ذلك: ((إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمِيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ حُطَّتْهَا وَخَصَّتْ بِلَيْتِهَا وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا))<sup>(٣)</sup> ويأتي بعد هذه المحن الخلاص والنصرة وجريان سنة الله عليهم بالتمكين ووراثة الأرض التي تأتي على يد الإمام القائم المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ))<sup>(٤)</sup> وهو إقرار بالنصر الإلهي وتمكين أهل البيت (عليهم السلام) بتحقيق الوعد لهم نتيجة صبرهم ووثباتهم على طاعتهم لله وعدم تذرهم وتسليمهم لأمر الله تعالى وعملهم بأسباب الخلاص من المحن والبلايا عندئذ لا بد أن تكون النتيجة ثابتة وهي تمكينهم وهذه سنة الله التي لا تختلف أو تتخلف.

(١) الأحزاب / ٦٢.

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤٨ / ٦.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٣٨.

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٠٤.

### رابعاً: سنة الاستدراج.

هي إحدى السنن الإلهية الحاكمة على المجتمعات إذ تجري على الأفراد والأمم على حدٍ سواء، وهو قانون يضرب كل مفتون جبار يرفض التوبة والاستغفار<sup>(١)</sup>، والاستدراج من كلمة درج والدرجة هي الرفعة والمنزلة والدرجان مشيه الصبي والشيخ<sup>(٢)</sup> واستدراجه أي ادناه من التدريج ودرج الرجل أي مشى<sup>(٣)</sup>، إذ يتضح من ذلك إن الاستدراج هو الانتقال من منزلة أو مرحلة إلى أخرى، أي كلما جدد العبد خطيئته جدد الله له النعمة وأنساه الاستغفار إلى ان يأخذه قليلا ولا يباغته، إذ قال الله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup> وقد ورد أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال عن هذه الآية (إنها تعني أن العبد يذنب الذنب فتجدد له النعمة معه، تلهيه تلك النعمة عن الاستغفار من ذلك الذنب)<sup>(٥)</sup>.

وقد أوضح الإمام الحسين (عليه السلام) هذا المعنى عندما سأل عن الاستدراج فقال: ((الاستدراج من الله سبحانه وتعالى لعبده ان يسبغ عليه النعم ويسلبه الشكر))<sup>(٦)</sup> إذن يتضح من ذلك ان الاستدراج هو استمرار وتواصل تدفق النعم على الأفراد والأمم الكافرة على الرغم من استمرارهم بارتكاب المعاصي وبعد ذلك يتم الإيقاع بهم إلى الهاوية بعقاب شديد يستحقونه.

ومن هنا جاءت تحذيرات الإمام علي (عليه السلام) من الاغترار بالدنيا

(١) ايوب، الانحرافات الكبرى، ص ١١٣.

(٢) الفراهيدي، العين، ٦/ ٧٧.

(٣) الجوهرى، الصحاح، ١/ ٣١٣.

(٤) القلم / ٤٤.

(٥) الكليني، الكافي، ٢/ ٤٥٢؛ المجلسي، روضة المتقين، ص ٥٢؛ الفيض الكاشاني، الوافي، ٥/ ١٠٤٣.

(٦) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٢٤٦، المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ١١٧.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

والنعم وعدم التوبة عن ارتكاب المعاصي، فقد أشار بصورة مباشرة إلى الاستدراج وكثرة المستدرجين من الله عز وجل حينما قال (عليه السلام): ((كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَمَغْرُورٍ بِالسَّيْرِ عَلَيْهِ وَمَقْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ))<sup>(١)</sup> وبين هنا (عليه السلام) عدة أنواع من الاستدراج منها:

أولاً. الإحسان إليه: إذ يتوهم الإنسان أن النعم التي تصيبه ناتجة عن مرضاة الله لكنه في الحقيقة استدراج له وعاقبته الهلاك، إذ نبه الإمام (عليه السلام) على وجوب شكر النعم وأن لا يغفل عنها لأن الإنسان كثير ما يستدرج<sup>(٢)</sup>، إذ إن الاستدراج يعني أخذ الكافرين والمنافقين والإيقاع بهم تدريجياً من حيث لا يعلمون فكلما ازدادوا في المعاصي زادت عليهم النعم، وهكذا حتى تنتهي مهلتهم و يتفاجؤا بالعذاب الذي يستحقونه وقد أحاط بهم وهم في ذروة سكر النعم وأقبال الدنيا<sup>(٣)</sup>، وهذه النوع من الاستدراج أكد عليه الإمام (عليه السلام) فيما نقل عنه: ((رُبَّ مَنْعَمٍ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ))<sup>(٤)</sup>، إذ أن تواصل تدفق النعم على الإنسان العاصي لله إنما هي تحذيرات له لكي يشكر ويرجع إلى ربه لأن أعماله لا توحى بهذا الإحسان.

ثانياً. ستر المعاصي: وهو من أخطر أنواع الاستدراج الذي يصيب الفرد المستمر في ارتكاب الفواحش، إذ يكون الفرد مخدوعاً بالستر من جهة الله تعالى الذي ينزل عليه ستره فيكون ذريعة في تهالكه في المعصية والإغراق فيها<sup>(٥)</sup>، إذ إن

(١) نهج البلاغة، ص ٤٨٩.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٠٤ / ٥.

(٣) الشيخ محمد يعقوبي، سنة الاستدراج، ص ١.

(٤) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ١٥٦، الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص ٢٦٦.

(٥) الحسيني، ديباج الوضي ٦ / ٢٨١٠.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

ستر الله له من أجل أن يتوب أو يرجع عن ارتكاب الذنوب لكنه يتهادى ويزداد في ائمه<sup>(١)</sup>، فالاستدراج بالستر نعمة من نعم الله على الفرد إلا أن استمرار عصيانه يؤدي به إلى التهلكة على الرغم من ستر الله له.

ثالثاً. حُسن القول فيه: واحد من أنواع الاستدراج التي طرحها الإمام علي (عليه السلام)، إذ يستجيب الإنسان لتصوراته فإذا كذب في مدحه منافق قالوا هذا من السماء<sup>(٢)</sup>، فيتعجب بنفسه ويتفاخر ويتكبر على غيره وهذه الأمور تكون سبباً في نهايته وهلاكه، فهذا النوع من الاستدراج يمثل الغرور بالنفس وعدم التواضع.

رابعاً. الإملاء: ومن أشد الابتلاءات التي تصيب الإنسان الابتلاء بالإملاء، فالإملاء يعني الإمهال والتأخير وإطالة العمر<sup>(٣)</sup>، وإن طبيعة الاستدراج تكمن في الإملاء لأن الاستدراج درجة قررها الله لمن يريد استدراجه ثم يطيل الله مدة الاستدراج فيصير أملاء<sup>(٤)</sup>، إذ يمد الله الإنسان بالعطاء حتى يزداد أثماً وتتضاعف عقوبته وكلام الإمام (عليه السلام) هنا امتداد لقلوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾<sup>(٥)</sup> أي ان الإمهال ليس زيادة خير وإنما أصبحت إطالة أعمارهم صورة لبيان عاقبة أمرهم بازدياد الإثم<sup>(٦)</sup> واللام في ليزدادوا هي لام العاقبة وليس لام الإرادة

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٩٤.

(٢) مغنيه، في ظلال نهج البلاغة، ٤٨٩.

(٣) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث الأثر، ٤/ ٣٦٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٥/ ٢٩٠.

(٤) رشيد كهوس، معلمة السنن الإلهية، ص ٧٢.

(٥) ال عمران/ ١٧٨.

(٦) الطبرسي، مجمع البيان، ٢/ ٤٥٤.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

والغرض، أي نحن نمهلهم لتكون عاقبة أمرهم ازدياد ذنوبهم وأوزارهم من الإثم، فالآية لا تدل على الجبر مطلقاً، بل هي خير دليل على حرية الإنسان واختياره، لأنَّ هؤلاء فقدوا كل قابلية للتغيير والإصلاح، وهم بالتالي من الذين تقتضي سنة الخلق ومبدأ حرية الإنسان واختياره أن يتركوا لأنفسهم، ويوكلوا إلى أنفسهم ليصلوا إلى مرحلة السقوط الكامل، ويستحقوا الحد الأكثر من العذاب والعقوبة<sup>(١)</sup>.

ولعل الأمر يتوضح أكثر فيما أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾<sup>(٢)</sup> أي اغترهم بالإمهال والإملاء وعدم التعجيل بالعقوبة على الذنوب (واملي لهم) الذي هو رحمة وشفقة وإعطاء المزيد من الفرص للتوبة وليس عجزاً أو ضعفاً، لأنَّ الاستعجال ديدن من يخاف من الفوت فيتوهمون أنهم على خير ولم يصدر معهم شيء سيء وأنهم يستحقون من الله تعالى اغداق النعم<sup>(٣)</sup>.

لذا عمل أمير المؤمنين (عليه السلام) على تحذير الناس عند أقبال النعم عليهم وهم في حالة ارتكاب المعاصي لأن ذلك امهالٌ وليس إهمالاً، فالتحذير جاء بشكل مباشر من الإمام علي (عليه السلام) عندما قال: ((يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَأَحْذَرُهُ))<sup>(٤)</sup>، فقد تكون هذه النعم هي استدراج مما يوجب عليك المبادرة إلى الطاعة والشكر لله سبحانه وتعالى، فقد هدف الإمام علي (عليه السلام) إلى تنبيه النفس والمراقبة الدائمة للنعم التي تحيط به وكيفية التعاطي معها، فهذه النعم تقودك إلى المهالك ما دامت هناك معاصٍ

(١) مكارم شيرازي، التفسير الامثل، ١٧/٣.

(٢) الأعراف / ١٨٣.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، سنة الاستدراج، ص ٣.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٧٢.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

ترتكبها وتنسى الإنسان الاستغفار وتبعده كلياً عن الله، إذ إن ترادف النعم على الفرد هو للتنبية حتى يدرك سوء أعماله لكنهم لا يعرفون أن هذه النعم هي استدراج لهم كما قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup> أي سندينهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم<sup>(٢)</sup>.

لقد ثقف الإمام (عليه السلام) الإنسان على الخوف والوجل من النعم وأن يقابلها بالشكر مثلما يقابل الابتلاء بالصبر حتى لا تكون استدراجاً عليه لأن الاستدراج بعدم الشكر للنعم من أخطر أنواع الاستدراج ولعل هذا ما يفهم كلام الإمام (عليه السلام): ((أَيُّهَا النَّاسُ لِيَرْكُمُ اللَّهُ مِنَ النَّعْمَةِ وَجِلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النَّقْمَةِ فَرَقِينَ إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفًا وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَارًا فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولًا))<sup>(٣)</sup>، فقد أراد الإمام (عليه السلام) من ذلك تربية الإنسان على الشكر حتى لا يستدرج ويقع في الهاوية، لأن طبيعة الاستدراج لا تعني قصد إيقاع الشر بالعباد إنما كان الاستدراج لمن صد عن منهج الله وأصر على ذلك والله لا يظلم العباد ولكن الناس انفسهم يظلمون<sup>(٤)</sup> لأن سنة الاستدراج تأتي بعد الموعدة والتذكير والإنذار والتحذير والتعريض لبعض الابتلاءات لعله يصحو من غفلته وينتبه إلى نفسه فإذا تواتر عليه النعم فينسى ربه وينسى نفسه<sup>(٥)</sup>.

(١) الأعراف / ١٨٢.

(٢) الزمخشري، الكشاف، ١٣٣/٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٦٧.

(٤) رشيد كهوس، معلمة السنن الإلهية، ص ٧٣.

(٥) الشيخ محمد اليعقوبي، سنة الاستدراج، ص ٣.

### خامساً: سنة التدافع.

وهي سنة تاريخية عظيمة ثابتة وحتمية ومستمرة لا تقتصر على زمان ومكان محددين لأنها مرتبطة بالوجود على هذه الأرض وهي تعني، دفع الشر بالخير، والكفر بالإيمان، والفساد بالصلاح، والباطل بالحق، والمنكر بالمعروف<sup>(١)</sup>، ولا يمكن أن تخلو حياة فرد أو أمة من الأمم من لون من ألوان التدافع لأنه الطريق إلى دفع الفساد عن الأرض<sup>(٢)</sup>، ويكشف عن هذه السنة التاريخية قوله تعالى: ﴿لَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقد قيل في تفسير هذه الآيات معنيين، المعنى الأول: لولا دفع الله بجنود المسلمين وسراياهم ومرابطيهم لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخرّبوا البلاد والمساجد<sup>(٥)</sup>، ومعنى الدفع في هذا المعنى يختص بالجانب العسكري ودفع المشركين بالمجاهدين عن طريق القتال والحرب، أما المعنى الثاني فهو أن يدفع الله بالبر عن الفاجر الهلاك<sup>(٦)</sup> أي ولولا دفع الله بالبر عن الفاجر، ودفعه ببقية أخلاف الناس بعضهم عن بعض لفسدت الأرض بهلاك أهلها<sup>(٧)</sup>، ويعني دفع الكفار بالمؤمنين وهذا المعنى يشير إلى الجانب الديني.

(١) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ٨ / ٤٤١.

(٢) حسن بن صالح الحميد، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن، ص ٢٢٦.

(٣) البقرة / ٥٢١.

(٤) الحج / ٤٠.

(٥) الثعلبي، تفسير الثعلبي، ٢ / ٢٢٤؛ الواحدي، تفسير الواحدي، ١ / ١٨١. وينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ٢ / ١٥٢.

(٦) الطوسي، التبيان، ٢ / ٣٠١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ٢ / ١٥٢؛ الكاشاني، التفسير الأصفي، ١ / ١١٩.

(٧) الطبري، جامع البيان، ٢ / ٨٥٤؛ النحاس، معاني القرآن، ١ / ٢٥٥.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

وهذا المعنى هو تصديق لقول الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنَّ الله يدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا، ولو اجمعوا على ترك الصلاة لهلكوا، وإن الله يدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي من شيعتنا ولو اجمعوا على ترك الزكاة لهلكوا، وإن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج من شيعتنا ولو اجمعوا على ترك الحج لهلكوا))<sup>(١)</sup> ونلاحظ من ذلك أن الدفع لا يقتصر على جانب القتال فقط بل هو عام لكل وجوة في كافة شؤون الحياة وكل موقع من مواقعها وهذا هو الذي ينمي الحياة ولولا ذلك لأسنت الحياة وتعفت<sup>(٢)</sup>.

وهو الأمر الذي أكد عليه الإمام علي (عليه السلام) عندما طرح سنة التدافع بجانب آخر غير العسكري والديني ولكن المعنى والهدف والغاية واحدة لا تختلف، فقد ثقف لها في مجال التكريم والإحسان للعاملين المجدين إذ قال (عليه السلام) في ذلك المعنى: ((أزجر<sup>(٣)</sup> المسيء بثواب المحسن))<sup>(٤)</sup> أي إذا كافأت المحسن على إحسانه اقلع المسيء عن أسأته طلباً للمكافأة<sup>(٥)</sup> لأن ذلك بطبيعة الحال تأنيب وتقريع للمسيء على إساءته<sup>(٦)</sup>، فلا ريب في إن الأثر والنتيجة من ذلك الدفع

---

(١) القمي، تفسير القمي، ١ / ٨٤. وقد ورد عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله: ((يحمل هذا الدين في كل قرن عدول ينفون عنه تأويل المبطلين وتحريف الغالين وانتحال الجاهلين كما ينفي الكير خبث الحديد)). ينظر: الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ١ / ١١؛ الكيذري البيهقي، إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، ص ٤.

(٢) شهوان، السنن الربانية في التصور الإسلامي، ٢ / ١٤٦.

(٣) الزجر: المنع والنهي والانتهاز. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤ / ٣١٨.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٠١.

(٥) نهج البلاغة، ص ٧١٨.

(٦) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤ / ٣٢٨.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

تمثل طريق الحق والسداد<sup>(١)</sup>، وهنا نجد أن طرح هذه السنة من قبل الإمام (عليه السلام) من أجل عدة أمور هي:

١- تحفيز الطاقات وتفعيلها وجعل الجميع يعمل ليدفع الفاسدين وغير العاملين، لأنَّ سنة التدافع تعمل على ذلك الأمر<sup>(٢)</sup>، وهذه هي صفات الحركة التي تتمتع بها السنن حين جريانها حال توافر الشروط.

٢- الدفع بطريقة غير مباشرة وبصورة تقريع النفس وردعها وبذلك فإن التغيير يأتي من الفرد نفسه.

٣- مناسبة الآلية التي طرحها الإمام (عليه السلام) لموضوع الدفع وهي ثواب المجتهدين لدفع المتكاسلين، وهو أمر تقره هذه السنة التاريخية فكل أمر لا يقابل بمثله وغير ذلك لا يعد دفعًا ولا تدافعًا، فإذا كان عمل العدو وهدمه فكريًا فلا بد من دحضه بفكرة مثله، وإن كان إفساده أخلاقيًا فلا بد من مواجهته بحملة مثلها، وهكذا إن كان سياسيًا أو اقتصاديًا أو اعلاميًا أو اجتماعيًا أو عسكريًا ونحو ذلك فإنه يقابل بمثله<sup>(٣)</sup>.

### سادسًا: سنة التداول.

وهي واحدة من السنن التاريخية الجارية في الأمم والأفراد التي لا تتبدل ولا تتغير، والتداول بالمعنى اللغوي هو انقلاب الزمان ودورانه والانتقال من حال إلى

---

(١) ولعل ما يدل على تحقق تلك النتيجة ما روي عن الإمام الحسن (عليه السلام) قوله: ((السداد دفع المنكر بالمعروف)). ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، ٣/ ٦٨؛ ابن عساکر، ترجمة الإمام الحسن، ١٦٣؛ العاملي، الدر النظيم، ص ٥٠٦.

(٢) هادف مصطفى، فقه السنن الإلهية واثرها في الدعوة الإسلامية، ٢/ ١٢٠.

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي، خطاب المرحلة، ٨/ ٤٤٥.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية...

حال<sup>(١)</sup>، وهو نفسه المعنى الاصطلاحي إذا لا يخرج عنه وإنما يسير بمساره.

وقد بين القرآن الكريم هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أي تكون مرة للمؤمنين ليعزهم الله عز وجل وتكون مرة للكافرين إذا عصى المؤمنون فأما إذا لم يعصوا فإن حزب الله هم الغالبون<sup>(٣)</sup>، ونلاحظ هنا إن التداول يحدث بإرادة الإنسان فإذا استمر في الطاعة والأخذ بأسباب النصر لا يهزم.

والمعنى الواسع لتفسير الآية يتضح من كلام الرازي وهو أن أيام الدنيا هي دول بين الناس لا يدوم مسارها ولا مضارها، فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه، ويوم آخر بالعكس من ذلك، ولا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها<sup>(٤)</sup>، فالأيام على قديم الدهر لا تبقى للناس على حالة واحدة<sup>(٥)</sup>، فالتداول لا يقتصر فقط على أيام الحرب والجانب العسكري بل يشمل مختلف مجالات الحياة ويجري على الأفراد جميعهم.

وهذا المعنى يفسر لنا ما طرحه الإمام علي (عليه السلام) حول تلك السنة

---

(١) الجوهري، الصحاح، ٤/ ١٧٠٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٢٥٢؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ٣/ ٣٧٧.

(٢) ال عمران/ ١٤٠.

(٣) النحاس، معاني القرآن، ١/ ٤٨٢؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤/ ٢١٨. ينظر: السمعاني، تفسير السمعي، ١/ ٣٦١.

(٤) الرازي، تفسير الرازي، ٩/ ١٥.

(٥) أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط، ٣/ ٦٨.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

التاريخية عندما قال في كتابه إلى ابن عباس<sup>(١)</sup>: ((وَاعْلَمَ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ دُولٍ))<sup>(٢)</sup> ومعناه أن الدهر لا ينفك عن ذلك وأن حكمه جار على هذه الحالة واليوم الذي يكون عليه هو ما يلحقه فيه من الضر والبؤس واليوم الذي له ما يلحقه فيه من النعماء والخير وهكذا الأحوال متداولة بين الخلق والأمور متعاقبة<sup>(٣)</sup>، إذ يتضح أن أحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة وإنما هو تغيير وانتقال من حال إلى آخر.

وقد ثقف الإمام (عليه السلام) هنا ابن عباس على أمرين، الأول: عدم الركون إلى الدنيا والاستبداد في الحكم لأنه ينتقل من حاكم إلى آخر، إذ وضعه أمام حقيقة من حقائق الدنيا وهي الدهر يومان يوم لك ويومًا عليك<sup>(٤)</sup>، والثاني: تحفيزه وتشجيعه على العمل من أجل مرضاة الله وخدمة المجتمع حتى لا يزول حكمه وينتقل إلى غيره.

وتجري هذه السنة على استحقاقات التداول وشروطه إذ هو تعاقب يجري على وفق سنن العدل الإلهية فوق الأرض لمن يستحقه فلا تسقط حضارة إلا إذا

---

(١) عبد الله بن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن هاشم عم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وهو والد الخلفاء العباسيين، ويقال له الخبر والبحر أخذ علمه من الصحابة ولازم الإمام (عليه السلام) واغترف من بحر علمه، وحضر معه يوم الجمل وكان على المسير يوم صفين وشهد قتال الخوارج، وولاه الإمام علي (عليه السلام) البصرة، وتوفي ابن عباس بالطائف سنة ثمان وستين للهجرة وصلى عليه محمد بن الحنفية. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٦٦-٣٦٧؛ المنزي، تهذيب الكمال، ١٥/١٥٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٦٢.

(٣) الحسيني، ديباج الوضي، ٥/٢٧٠١.

(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/١٨٤.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية...

فقدت أهليتها الحضارية ولا تحل محلها الا إذا استكملت الأهلية لذلك والأمر يشمل جميع الأمم والدول<sup>(١)</sup>، وهذه المعنى يفسر ما قاله الإمام (عليه السلام) حول زوال دولة بني أمية وتداول الأيام وانتقالها إلى غيرهم: ((فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَّيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفَهُ أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّنْذِيرَ وَقِيلَهُ))<sup>(٢)</sup> وهو ما تحقق فعلا بعد أن أقامت هذه الدولة على حساب الناس واغتصب الأمويون حق غيرهم لذلك فقدت أهليتها وبذلك زالت وانتقلت إلى غيرهم، لأن سلطان الجور لا يدوم، وإن دعوة الحق لا تموت<sup>(٣)</sup>.

### سابعاً: سنة الله في هلاك الأمم.

وهي سنة تاريخية عامة من سنن الله ونواميسه لا تتخلف ولا تتأجل ولا تخص جيلاً دون آخر، بل تنطبق على جميع الأمم ولا تقتصر على قوم أو تتوقف في عصر، فهي سائدة على كل من عاند منهاج الله وصراطه المستقيم<sup>(٤)</sup>، والهلاك في الاصطلاح هو ما ينزله الله بأعدائه من العذاب المستأصل<sup>(٥)</sup>، وقد بين الله سبحانه وتعالى من خلال آيات القرآن الكريم هذه السنة وذكر الأقوام والأمم التي طبق عليها القانون الإلهي.

(١) عادل بن بوزيد عيساوي، فقه السنن الإلهية، ص ٢٢٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٥٢.

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١١٣/٢.

(٤) رمضان خميس زكي، سنة الله في هلاك الأمم، ص ٢٤.

(٥) بابا سيلا، اسباب هلاك الأمم السالفة، ص ٥٧.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

ومن تلك الآيات القرآنية التي ذكرت هذه السنة بصورة صريحة قوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup> أي عاقبناهم بتكذيبهم الرسل فمنهم بالحجارة وهم قوم لوط، وقيل قوم عاد ومنهم أخذته الصيحة وهم ثمود وقوم شعيب، ومنهم من خسفت به الأرض وهو قارون، ومنهم أغرقنا يعني قوم نوح وفرعون وقومه ولم يعذبهم من غير ذنب أو قبل إزاحة العلة ولكن بكفرهم وتكذيبهم الرسل، وفي هذا دلالة واضحة على فساد مذهب أهل الجبر، فإن الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمون، لما كان هؤلاء هم الظالمون لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك<sup>(٢)</sup>، فهذه الآية جامعة للأمم والأقوام التي اهلكها الله نتيجة أعمالهم التي كانت مقدمة لهلاكهم وهي حقيقة ثابتة أكدها القرآن الكريم.

وقد سائر الإمام علي (عليه السلام) هذه الحقيقة الربانية المتفاعلة مع الأمم المختلفة وبين أسباب انهيار تلك الأمم لأنهم منعوا الحق وعملوا بسلك أهل الباطل فيقول في ذلك: ((إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ))<sup>(٣)</sup> فقد نفرهم عن منع الحق أهله، ومعاملتهم الناس بالباطل، لأن ذلك هو سبب هلاك من كان قبلهم من أمثالهم إذ باعوه وتعوّضوا عنه بالباطل لما منعوا منه، أي اقتدوا بالباطل وسلكوا فيه مسلك من أخذهم<sup>(٤)</sup>،

(١) العنكبوت/ ٤٠.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان، ٢٦/٨. وينظر: الرازي، تفسير الكبير، ٦٧/٢٥؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٤٥/١٣؛ مكارم شيرازي، التفسير الأمثل، ٣٩١/١٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٦٦.

(٤) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢٣٧/٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٤٨٧/٣٣؛ حبيب الله الخوئي،

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ...

فقد بين الإمام (عليه السلام) سبباً من أسباب الهلاك وحذرهم منه وأمرهم بالابتعاد عنه والعمل على أداء الحق والوقوف إلى جانبه.

لقد طرح القرآن الكريم قصص هذه الأمم وهلاكهم نتيجة أعمالهم مثل قصة هلاك فرعون ومحاربتة للحق ولموسى وكيف نزل به العذاب وتمت ابادته بحكم السنن التاريخية كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾<sup>(١)</sup> ومعناه فصلنا بكم البحر وأهلكنا فرعون وقومه وانتم تنظرون إلى مصارعهم وهلاكهم<sup>(٢)</sup>، فهذه القصة عبارة عن تطبيق عملي لتلك السنة التاريخية لأن القصص القرآني يدور على أساس القواعد والثوابت التاريخية وذكرها جاء من أجل استخلاص الجانب المشرق منها وصرف الجانب المظلم وأخذ العبرة ومعرفة إرادة الإنسان في تلك القصص.

وهذا هو سر تكرار القرآن للقصة عدة مرات<sup>(٣)</sup> وطرحها كشاهد والهدف منها هو ابراز السنة التاريخية إذ ذكرت في موضع آخر لقوله تعالى: ﴿كَذَّابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ

منهاج البراعة، ٢٠ / ٤١١ .

(١) البقرة / ٥٠ .

(٢) الثعلبي، تفسير الثعلبي، ١ / ١٩٤؛ السمعاني، تفسير السمعاني، ١ / ٧٨؛ الطبرسي، مجمع البيان / ١ / ٢٠٧

(٣) من الأقوام التي جرت عليها سنة الله في الهلاك وطبقت عليها العقوبة الإلهية وقد ذكرها القرآن الكريم كتطبيق لتلك السنة هم بنو إسرائيل وذلك عندما اقترحوا على نبيهم موسى (عليه السلام) ان يروا الله ويشاهدوا جهرة لكي يصدقوا بما اخبرهم، إذ نزل عليهم العذاب الالهي كما جاء في قوله تعالى: ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ)) البقرة / ٥٥ .

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

فَرَعُونَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١﴾ أي كسنة آل فرعون وعادتهم، وفعلهم بموسى نبي الله في تكذيبهم إياه، وتصديهم لحربه وعادة من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وصنيعهم، فأهلكناهم بذنوبهم أغرقنا وكل هؤلاء الأمم التي أهلكتها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته<sup>(٢)</sup> وهذه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار المشركين في الكفر بمحمد (صلى الله عليه وآله) كعقوبته لآل فرعون<sup>(٣)</sup>.

وفضلاً عن ذلك فإن الظلم من أسباب جريان هذه السنة التي طرحها الإمام كما جاء في قوله (عليه السلام): ((وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَّهِدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمُرْصَادِ))<sup>(٤)</sup>، فقد نبه الإمام (عليه السلام) على ترك الظلم لكونه سبباً رئيساً في زوال النعم وتعجيل العقوبة والعذاب<sup>(٥)</sup> لأن من ظلم وجار فقد عاند الله بالذات، واستحق منه المقت والهوان دنيا وآخرة<sup>(٦)</sup>.

وهذه القانون الإلهي الصارم في هلاك الأقسام بسبب الظلم هو ما أكد عليه الإمام (عليه السلام) بمناسبة أخرى حينما قال: ((الظلم يزل القدم، ويسلب

(١) الأنفال / ٥٤.

(٢) الطبري، جامع البيان، ٣٣/١٠.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٤/٤٨١. وينظر: ابن الجوزي، زاد الميسر، ٣/٢٥٢.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٢٩.

(٥) ينظر: الحسيني، ديباج الوضي، ٥/٢٥١٣؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/١٤٤؛ حبيب الله

الحوثي، منهاج البراعة، ٢٠/١٥٨.

(٦) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/٥٢.

## ... المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية...

النعم ويهلك الأمم))<sup>(١)</sup> والظلم هنا يشمل كل أنواع الفساد والذنوب، كما أن الهلاك هو الآخر لا يتعلق بجانب دون آخر وإنما شامل للجميع.

وهنا نلاحظ التناغم بين كلام الإمام (عليه السلام) والقرآن الكريم من خلال القصص القرآني عن الأقوام الهالكة<sup>(٢)</sup> وتذكير الله سبحانه المسلمين بها كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَا ظَلَمُوا﴾<sup>(٣)</sup> يعني الأمم الماضية من قبل أهل مكة أهلكتناهم لما كفروا وأشركوا وظلموا<sup>(٤)</sup>، وهنا إشارة إلى معاقبة الأفراد الظالمين والمجرمين في هذه الدنيا، وقد نبهت المسلمين بعد أن أطلعتهم على تاريخ من قبلهم إلى أنهم إذا سلكوا طريق هؤلاء نفسه فسيظهرهم المصير نفسه<sup>(٥)</sup>، وذلك لأن السنة الإلهية جارية على جميع الأمم والأفراد ولا تحابي

(١) الأمدى، غرر الحكم، ص ١٨٧.

(٢) ومن الأقوام الهالكة بسبب الظلم الذي يشمل عصيان الله تعالى والتماهي في ذلك لأن الظلم المهلك هو الذي يصر أصحابه عليه وليس أي ظلم ومنهم طائفة من بني إسرائيل عندما عصوا الله من خلال اصطياد الأسماك يوم السبت الذي جعل محرماً عليهم فتنه وبلاء فكان ذلك سبباً في هلاكهم بالسخ على هيئة قردة وخنازير كما قال عز وجل: ﴿وَأَسْأَلُكُمْ عَنِ الْفَرِيحَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّنٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قَرَدَةً حَاسِيَةً﴾ (الأعراف/ ١٦٣-١٦٦). ينظر: حميد سراج جابر، أحمد فاضل، فلسفة ائمة أهل البيت الإصلاحية في تشخيص أسباب سقوط الحضارات، ص ١٥٩؛ رمضان خميس زكي، سنة الله في هلاك الأمم، ص ٩٦-٩٨.

(٣) يونس / ١٣.

(٤) الثعلبي، تفسير الثعلبي، ١١٩/٥، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣١٧/٨.

(٥) مكارم شيرازي، التفسير الأمثل، ٣١٧/٦.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

احد وبتوافر الأسباب يصبح المصير واحداً.

والملاحظ أنَّ الإمام علي (عليه السلام) سار على ما أراده القرآن الكريم في التثقيف والتخويف من جريان هذه السنة، والأمر ينطبق على أئمة أهل البيت (عليه السلام) على وجه العموم وهدفهم الإصلاحية في ذكر عقوبات الأمم الماضية وتشخيص أسبابها<sup>(١)</sup>.

---

(١) ينظر: حميد سراج جابر، أحمد فاضل، فلسفة أئمة أهل البيت الإصلاحية في تشخيص أسباب سقوط الحضارات، جميع صفحاته.

## المبحث الثاني

### ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها

#### ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها:

ترتكز السنن التاريخية على ضوابط ومحددات عدة تمثل شروطاً أساسية لجريان تلك السنن، إذ أن هذه الشروط هي التي تتحكم بثبات السنة وحتميتها، ولاسيما أن أهم الأشكال التي اتخذتها السنن التاريخية هي شكل القضية الشرطية<sup>(١)</sup>، ويبنى الشرط بالأساس على إرادة الإنسان فهو الذي يختار تحقيقه لارتباطه بتحصيل الآثار والنتائج الإيجابية التي هي سمة القوانين الإلهية، ومثل هذه القوانين تقدم خدمة كبيرة للإنسان في حياته الاعتيادية تؤدي دوراً في توجيهه بوصفها موجهاً علمياً للإنسان في حياته<sup>(٢)</sup>.

إن مجيء السنن على نحو أسلوب الشرط الذي يربط بين الشرط والجزاء هو توجيه من الله تعالى للإنسان في سلوكه وتبصرة بالطريق الصحيح للوصول إلى غاياته رحمة من الله تعالى بخلقه أن هداهم إلى المقدمات المطلوبة للحصول على الغايات والنتائج المرجوة أو المطلوبة لتوقي الآثار غير المرغوبة<sup>(٣)</sup>.

وإن المتتبع لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة يجد ذلك التنوع في المحددات والشروط التي تتحكم بالسنن وجريانها، ولعل هذا التنوع يعكس التكامل في الجوانب التي تمثلها تلك القواعد، وهي ما يمكن دراستها وبيانها في هذا المقام.

(١) الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص ٨٧.

(٢) الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، ص ٨٧.

(٣) يوسف، السنن الاجتماعية في الميدان الاقتصادي، ص ٢١٠.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

ولعل أول هذه المحددات التقوى<sup>(١)</sup> التي برزت بوصفها نموذجاً دالاً على الضوابط في السنن التاريخية التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، إذ تكاد تكون من أكثر الموضوعات التي تناولها (عليه السلام)<sup>(٢)</sup> وذلك لأن تقوى الله تعالى من اعظم الصفات التي يجب ان يتحلى بها الإنسان المؤمن، فأكرم الناس عند الله هم المتقون كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> فهذه منزله عظيمه ذكرها القرآن الكريم للمتقين، وأيضاً قيل في التقوى إنها شرف الآخرة كما جاء في قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله): ((شرف الدنيا الغنى وشرف الآخرة التقوى))<sup>(٤)</sup>.

من هنا يتضح سبب جعل التقوى محدداً للخروج من الفتن والمصاعب كما عدها الإمام علي (عليه السلام) حينما قال: ((واعلموا أنه ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾<sup>(٥)</sup> مِنَ الْفِتَنِ وَنُورًا مِنَ الظُّلْمِ وَيُجَلِّدَهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ وَيُنزِلَهُ مَنزِلَ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُ فِي دَارِ اضْطِنَعَهَا لِنَفْسِهِ ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ وَرُؤُوسُهَا مَلَائِكُ))<sup>(٦)</sup> أي أن من خاف ربه ونهى نفسه عن الهوى يبتعد تلقائياً عن المزالف

(١) التقوى: الحذر، والاتقاء: الامتناع من الردى باجتناوب ما يدعو إليه الهوى، التَّقْوَى في الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور. ينظر: الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم،

ص ٨٨٢؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٤/ ٤٠١؛ الطريحي، مجمع البحرين، ١/ ٤٤٩

(٢) ييوضون، تصنيف نهج البلاغة، ص ٨٥٨-٨٥٢؛ انصاريان، الدليل على موضوعات نهج البلاغة،

ص ٩٣٦؛ اويس كريم، المعجم الموضوعي نهج البلاغة، ص ١٥١-١٦٩.

(٣) الحجرات/ ١٣.

(٤) المتقي الهندي، كنز العمال، ٣/ ٩٢.

(٥) الطلاق/ ٢.

(٦) نهج البلاغة، ص ٢٦٦.

## ... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

والمهالك ومنها الفتن وأسبابها ويتتفع المتقي بنور عقله وإيمانه<sup>(١)</sup>، إذ تعمل هذه الضابطة على إخراج من يعمل بها من كل الفتن والمصاعب لذلك نجد الإمام (عليه السلام) أكد عليها خلال الاستشهاد بالآية القرآنية التي قيل في شرحها: أي يجعل له مخرجا من الشدة إلى الرخاء ومن الحرام إلى الحلال ومن النار إلى الجنة فمن صبر واتقى جعل الله له مخرجا من الضيق<sup>(٢)</sup> ونجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>، لذلك فإن المخرج الذي يترتب على العمل بالتقوى هو الخروج من الفتنة والانتصار فيها، فالمتقي يخرج من الفتنة سليماً<sup>(٤)</sup>، وأيضاً الفسحة والخير بعد الضيق والشّر وضمان الكرامة الإنسانية بعد الخلاص من ظلم الجهل بأنوار العلوم الحاصلة عن الاستعداد بالتقوى<sup>(٥)</sup>، وكذلك الخلود الأخروي في دار اصطنعها لخصّ أوليائه<sup>(٦)</sup>، فالتقوى والمخرج حادثان مترابطان أحدهما شرط وهو التقوى والآخر جزاء وهو المخرج، وتحقق الجزاء يكون نتيجة حتمية لتحقيق الشرط، هكذا تعمل السنن التاريخية ومن ثم ما يتبعها من آثار إيجابية نتيجة رعايتها.

لذلك نجد الإمام (عليه السلام) في كلامه عن ضابطة التقوى حدد أمرين حركيين أولهما منزلة التقوى العظيمة التي يستطيع الإنسان بها الخلاص من كل الفتن وثانيهما بيان ضابطة التقوى ونتائجها التي تبنى عليها لأن التقوى حاجز

(١) مغنيه، في ظلال نهج البلاغة، ٤٥ / ٣ .

(٢) الواحدي، تفسير الواحدي، ١١٠٧ / ٢ . وينظر: الكاشاني، زبدة التفسير، ٨٨ / ٧ .

(٣) الطبري، الجامع لأحكام القرآن، ١٧٦ / ٢٨ .

(٤) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١١٠ / ٣ .

(٥) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤٠٤ / ٣ .

(٦) الكيذري البيهقي، حقائق الحقائق، ١٢٤ / ٢ . وينظر: حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٣٩٠ / ١٠ .

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

يستطع به الفرد الخلاص من كل شيء فقد نقل عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: ((التقوى حرز لمن عمل بها))<sup>(١)</sup>.

التقوى أيضًا سبيل للابتعاد عن الشبهات والبدع التي تقتحم الناس وترمي بهم إلى التهلكة، فالإنسان معرض للوقوع فيها لكن وجود التقوى شرط للخروج والتصدي لها كما قال الإمام علي (عليه السلام): ((ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ ﴿٢﴾ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ ﴿٤﴾ حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَّحُمِ الشُّبُهَاتِ))<sup>(٥)</sup> فالتقوى منعت من الدخول في موارد التهلكة<sup>(٦)</sup>، لأنَّ عرفان حقائق الأمور الدنيوية يمنع عن الوقوع في الشبهات<sup>(٧)</sup>، فعندما يعرف الإنسان الحقائق عن طريق العبرة ويرى الأمور باطلة والأطلال زائلة عندئذ يفيض الله على قلبه التقوى والخشية ويرفع التقوى شعارًا له ويمتنع عن أن يلقي نفسه في تلك الشبهات الباطلة لإشراق نور الحق الواضح على لوح نفسه بالاعتبار إذ جاء كلام الإمام (عليه السلام) في صورة شرطية متصلة<sup>(٨)</sup>.

إن الإنسان العاقل إذا اعتبر بما وقع من حوادث التاريخ على الأمم الماضية وعرف الأسباب والعلل وعرف أنَّ الله سننًا وقوانين تجري على الحاضرين كما

(١) الامدي، غرر الحكم، ص ١٠٩.

(٢) يوسف / ٧٢.

(٣) المثالات: العقوبات. ينظر: الجوهري، الصحاح، ١٨١٦/٥؛ الرازي، مختار الصحاح، ص ٣١٥.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٧.

(٥) الخراساني، مفتاح السعادة، ٢٠٥/٤.

(٦) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ص ٢٣٣. وينظر: الكيذري البيهقي، حدائق الحقائق، ٢٠١/١.

(٧) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢٩٩/١. وينظر: شارح من أعلام القرن الثامن، شرح نهج البلاغة، ص ١٨٤.

## ... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

جرت على الماضين فلا شك في أن هذا الاعتبار يمنع عن دخول الشبهات، ويتضح من ذلك أن الإمام (عليه السلام) بيّن مخرجاً آخر يترتب على التقوى لكنه محدد ومشروط بالعبر والمعرفة التي تأتي بالتقوى لتكون حاجزاً أمام الوقوع في الشبهات بعد مشاهدة الأمور وتمييزها.

لقد وصف الإمام (عليه السلام) التقوى هنا كونها حالة روحية معنوية من آثارها ضبط النفس وامتلاك أزمته، فالإمام (عليه السلام) أعطى المصداق والوعد في تحقق السنة بتوافر ضابطة التقوى في كلامه السابق بقوله (ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم) أي حتمية الحدوث بوجود الشرط وهي صفة السنة التاريخية إذ أن كل الأمور تجري بالمحددات المرتبطة بإرادة الإنسان.

ويمثل الشكر لله ضابطة وشرطاً آخر من الشروط التي حددها الإمام (عليه السلام) لجريان السنة، فالشكر هو عرفان الإحسان ونشره<sup>(١)</sup>، إذ يعد نعمة من نعم الله التي أنعمها على الإنسان وبأباً من أبواب العبادة لله سبحانه وتعالى، إذ فتحه الله لزيادة العلاقة بين العبد وربّه من خلال الاعتراف والخضوع، والله يجزي من يشكره فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup> أي نعطيهم جزاء الشكر<sup>(٣)</sup> وكان كلام الإمام علي (عليه السلام) حول ضابطة الشكر امتداداً لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي أن من انشغل بشكر الله زاده الله من نعمته<sup>(٥)</sup>.

وهذه الفلسفة والغاية هي التي أشار إليها الإمام علي (عليه السلام) نتيجةً

(١) الفراهيدي، العين، ٥/٢٩٢؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ٢/٦٢.

(٢) ال عمران، ١٤٥.

(٣) الطبرسي، مجمع البيان، ٢/٤٠٩. وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٤/٢٢٧.

(٤) ابراهيم، ٧.

(٥) الرازي، تفسير الرازي، ١٩/٨٦.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

للشرط وذلك حينما قال: ((وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ))<sup>(١)</sup>، فالإمام بيّن منزلة الشكر وفلسفته بدوام زيادة النعم على الإنسان والحث على استمرار تلك العلاقة والصلة عن طريق شرط الشكر والاعتراف لما في ذلك من بناء النفس عبر تلك العلاقة المتبادلة من عطاء وشكر بين الخالق والمخلوق وهو ما أشار إليه الإمام الباقر (عليه السلام): ((لا ينقطع المزيد من العطاء حتى ينقطع الشكر من العباد))<sup>(٢)</sup> وقيل في شرح كلام الإمام علي (عليه السلام): إذا كان الشكر بإخلاص كان سببا في أعداد النفس لقبول الصورة الإلهية من واهبها وهو شاهد إلهي ناطق بذلك على وفق مقتضى العمل<sup>(٣)</sup>.

يتضح من كلام العلامة البحراني أن ضابطة الشكر هي شرط إلهي تتحقق به السنة على وفق العمل به، وبلا استمرار عليه تدوم النعم وهو ما يؤيد كلامنا حول ضابطة الشكر وشرطه في جريان السنة التاريخية، إلا إن جواب الشكر وهو الزيادة مشروطة بالصلاح لا أن تكون الزيادة فيها مفسدة، ففي هذا الحالة يمنع من الزيادة<sup>(٤)</sup>، ويظهر من ذلك شرطية الشكر لله حتى في الإجابة، فتوافر الضوابط تصبح مطلقة في الجريان ومستمرة وهو حال السنن التاريخية.

ومن ذلك فإن نعم الله تعالى جميعاً يترتب عليها حق الله عز وجل وهذا الحق هو الشكر، وأداؤه كفيل بدوامها وعدم العمل به كفران بتلك النعمة ومن

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٩٤. وتصديق ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((قَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي

أَسْتَجِبْ لَكُمْ)) غافر/ ٦٠

(٢) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٤٥٧؛ الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص ٦٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٥٦/٦٨.

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣١٧/٥.

(٤) الحسيني، ديباج الوضي، ٢٨٣٢/٦.

## ... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

ثم إيدان بذهابها وهو ما عكسه الإمام (عليه السلام) بقوله: ((إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا وَمَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ))<sup>(١)</sup>، ومعنى شكر النعمة أن لا يغتر بها المنعم عليه ويطغى، وأن يحسن الأنفاق منها على نفسه وأهله، وإن بقيت بقية أغاث بها ملهوفاً، ونفس كربة عن بائس<sup>(٢)</sup> وهي دعوة إلى أداء الوظائف من قبل الإنسان ومنها وظيفة الشكر التي لا تقتصر على ما يقوله اللسان فقط، وإنما تتعدى الأفعال، مثلاً في إخراج حق الواجب من النعم واعطائها إلى مستحقيها حيث تنفقه على الفقراء والمحتاجين وفي الأمور التي تحقق رضا الله عز وجل، وفي هذا الأمر حث على التكافل الاجتماعي والتعاون ما بين أفراد المجتمع عن طريق العمل بالشكر الذي يوفر النعمة وتستمر به على وفق مبدأ الشرطية التي تجري بها السنن التاريخية، إذ أكد الإمام (عليه السلام) ذلك في مناسبة أخرى بقوله ((إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ اللَّهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَّلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ))<sup>(٣)</sup> فهذه النعم مشروطة البقاء والدوام والاستمرار مادام البذل مستمراً فإذا بخل العبد بهذا النعم وامتنع عن البذل سحبها الله من عنده وحولها إلى غيره<sup>(٤)</sup>، إذ نلاحظ العلاقة الموضوعية بين الشكر والزيادة ومتى ما تحقق الشكر تحققت الزيادة وهذه الأمر يحدث على وفق المنهج الإلهي السائر على الخلق جميعهم.

من الضوابط والمحددات الأخرى التي تعتمد بالأساس على إرادة الإنسان في نفاذ السنة التاريخية هو شرط الصبر الذي يعد ركيزة دالة على مبدأ الشرطية

(١) نهج البلاغة، ص ٥١٢.

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٣٦٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٥.

(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٥١٤.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

في جريان السنة التاريخية وتطبيقها، فقد بيّن القرآن الكريم هذه الضابطة ووضح آثارها وما يترتب على العمل بها ووجه الإنسان لذلك في طريقه لتحقيق مبتغاه كما جاء في قوله تعالى: ((أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ))<sup>(١)</sup> وهنا الاستعانة بالصبر في توطين النفس على الأمور تسهيلاً لها واستشعار الصبر إنما هو توطين النفس<sup>(٢)</sup>، فالصبر يحتاج إلى ثبات النفس ومقاومتها واطمئنانها حتى يتم الظفر. وهذا الظفر هو غاية وفلسفة الإمام علي (عليه السلام) من طرح الصبر كمحدد لتطبيق القوانين والنواميس التاريخية وذلك حينما قال (عليه السلام): ((لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفْرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ))<sup>(٣)</sup> وقد اتفق أغلب الشارحين لنهج البلاغة على معنى الصبر وعاقبته كشرط لتفعيل السنة التاريخية الحتمية إذ يحصل العامل به على مرادة<sup>(٤)</sup>، فطالب العلم ينجح إذا ثابر وصبر، والشعب التائر من أجل حريته يتحرر إذا استمر في الثورة<sup>(٥)</sup>، ومن ذلك كانت غاية الإمام علي (عليه السلام) الحث على الاستمرار بالصبر والعمل به عبر تبشير الصابرين بالظفر حتى تطمئن أنفسهم للعمل وآثره الذي يتطلب الثبات والقوة لكي تجري السنن التاريخية ومنها سنة التمكين والنصر وسنة الاستخلاف وما شابهها من سنن. فالصبر من أقوى الأسباب الداعية للنصر كما قال الإمام علي (عليه السلام):

(١) البقرة/١٠٣.

(٢) الطوسي، التبيان، ٢/٣٣. وينظر: ابن الجوزي، زاد الميسر، ١/١٤٦.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٩٩.

(٤) الحسيني، ديباج الوضي، ٦/٢٨٥٨؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٢١/٢٣٧؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/٣٤٥.

(٥) مغنية، شرح نهج البلاغة، ٤/٣٢١.

## ... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

((وَأَسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ))<sup>(١)</sup> ومعناه اجعلوه شعاركم فهو من أقوى أسباب النصر<sup>(٢)</sup> ومهما كان قاسياً ومرّاً ومهما كان دربه طويلاً وشاقاً فإن لذة النصر والفوز بالمطلوب تهويه وتيسره على أهله، وما من أمة صبرت إلا وظفرت وفي التاريخ شواهد كثيرة وعلى رأسها امتنا الإسلامية في بداية تكوينها<sup>(٣)</sup>، إذ إن عاقبة الصبر ثابتة لا تتغير على مر العصور وهذا ما أكد عليه الإمام علي (عليه السلام) فيما نقل عنه في غرر الحكم: ((الصبر كفيل بالظفر))<sup>(٤)</sup> وكذلك ما نقل عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((الصبر يعقب خيراً فاصبروا تظفروا))<sup>(٥)</sup> ومن هنا يتضح أن سنن الله الجارية من تمكين واستخلاف وتغيير لا يمكن أن تطبق إلا بوجود محدد الصبر الأساسي لجريان تلك السنن، لذا كان تأكيد الإمام علي (عليه السلام) وتثيقه بهذا المحدد والشرط لتفعيل دور الإنسان في تطبيق القوانين وما توضحه من آثار كبيرة مهمة تخدم مصالحه.

ومن الضوابط والمسببات لحدوث السنن التاريخية ضابطة الاستغفار، إذ يترتب على وجوده آثار كثيرة ثابتة لا تتغير طالما استمر الاستغفار، فهذه الضابطة تعد دواء لكل ذنب وفيها رضا الله سبحانه، فقد دعا الله تعالى والرسول محمد (صلى الله عليه وآله) والأئمة الاطهار (عليهم السلام) إلى الاستغفار لما فيه من

(١) نهج البلاغة، ص ٦٨.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٢٨. وينظر: حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ٣/ ٣٧٦؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ١/ ١٤٧.

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٣٤١.

(٤) الأمدي، ص ١٧٣.

(٥) الطبرسي، مشكاة الأنوار، ص ٥٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٦٨/ ٩٦. وورد هذا الحديث في الكافي الشريف باختلاف ألفاظ: ((الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر تؤجروا)) الكليني، ٢/ ٨٩.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

أثر مهم في تركيب النفس البشرية وإبعادها عن كل الذنوب، إذ قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله): ((يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه فيني استغفر الله وأتوب إليه في اليوم مئة مرة))<sup>(١)</sup>.

فيما نجد أن الإمام علياً (عليه السلام) ذكر الاستغفار ودعا إليه كشرط لتحقيق السنن التاريخية وذلك في قوله: ((وَمَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ))<sup>(٢)</sup> فقد أراد أمير المؤمنين (عليه السلام) من ذلك تهذيب النفوس بالمواظبة على الاستغفار والتقرب من الله سبحانه وتعالى وكذلك محو السيئات وإدخال السكينة والاطمئنان إلى النفس وهذا الاستغفار المشار إليه من قبل الإمام الذي يذيب كل الذنوب أمامه يجب أن يكون خالصاً لله حتى يتقبل الرحمة الإلهية من واهبها<sup>(٣)</sup> أولاً، وأن يتنزه المستغفر عن كل شيء محرم نهى الله عنه إذ لا يعود إلى ارتكاب المعاصي مرة أخرى بل يمتنع عنها<sup>(٤)</sup> ثانياً، وأن لا يقتصر على القول فقط وإنما يبرهنه بالأفعال، فالاستغفار ليس ما اعتاد عليه الناس من لقلقة اللسان فحسب، ما في داخل القلب يترجمه اللسان<sup>(٥)</sup> ثالثاً.

وقد كان كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٦)</sup> والمراد بهذه الآية

(١) الطبراني، الدعاء، ص ٥١٤؛ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٦/ ٧٢؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ١/ ٤٨٤.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٩٤.

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٣١٧.

(٤) التميمي، صفوة شروح نهج البلاغة، ص ٧٨٨.

(٥) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٣١٦.

(٦) النساء/ ١١٠.

## ... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

العموم والشمول لجميع الخلق<sup>(١)</sup> وتظهر هنا سمات السنة التاريخية من شمول وعموم لكن هذا الاستغفار مشروط بالتوبة أي استغفار غير عائد، لأنه إذا عزم على العودة فليس بتائب<sup>(٢)</sup>.

إن الاستغفار هو وسيلة للنجاة والعبور في أوقات الضيق والشدة، إذ تترتب على العمل به نتائج إيجابية على وفق السنن التاريخية، فقد جعله الله عز وجل سبباً للرزق والرحمة والخلاص من كل شدة وهذا ما أكده الإمام علي (عليه السلام) في خطبة الاستسقاء<sup>(٣)</sup> إذ كانت الأمة تعاني من قلة المطر وذلك بقوله: ((وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِذُرُورِ الرَّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿اِسْتِغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾<sup>(٤)</sup> فَرَحِمَ اللهُ أُمَّرَةً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ))<sup>(٥)</sup> فقد بين الإمام جزاء شرط الاستغفار هو أن يجعل الرزق دائماً متواصلاً لا ينقطع<sup>(٦)</sup>، لأن الاستغفار والتوكل على الله مفتاح التوفيق إلى العمل ويدر الرزق الذي يحتاج إلى كد وعرق وعمل<sup>(٧)</sup> واستدل الإمام (عليه السلام) على ذلك بالآية التي أمر

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥ / ٣٨٠.

(٢) النحاس، معاني القرآن، ٢ / ٨٧. وينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ٣ / ٣٢١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ٣ / ١٨٦.

(٣) خطبة الاستسقاء: وهي واحدة من خطب الإمام علي (عليه السلام) التي كانت يخطبها بعد صلاة الاستسقاء في مقام طلب السقيا وتوفير المياه وعادة تكون في الصحراء والبراري أو في مساجد مكة. ينظر: المفيد، الهداية، ص ١٥٧، الطوسي، المبسوط، ١ / ١٣٤.

(٤) نوح / ١٢.

(٥) نهج البلاغة، ص ١٩٩.

(٦) الدخيل، شرح نهج البلاغة، ٢ / ١٨.

(٧) مغنیه، شرح نهج البلاغة، ٢ / ٣١٧.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

نوح (عليه السلام) فيها قومه بالاستغفار، يعني التوبة عن الذنوب، وقدم إليهم الموعد بما هو واقع في نفوسهم، وأحب إليهم من الأمور الآجلة فمناهم الفوائد العاجلة ترغيباً في الإيمان وبركاته والطاعة ونتائجها<sup>(١)</sup>.

لقد وظف (عليه السلام) النص القرآني لتأكيد الحتمية لمبدأ الشريعة لكنه مشروط بالعمل الذي يوفر النتائج الإيجابية، والآية تهدف إلى أن الرجوع إلى الله وإقامة دينه وأحكامه يسوق المجتمع إلى النظم والعدل والقسط وفي ظله تتركز القوى على بناء المجتمع على أساس صحيح، فضلاً عن أن العمل على خلاف هذه السنة ينتج خلاف ذلك<sup>(٢)</sup>، وتظهر هنا الرابطة المعنوية المادية بين الإيمان والخير والصلاح وبين الكفر والشر والفساد، لذلك يعد الاستغفار وسيلة للرجوع إلى الله والإيمان به والعمل والعودة إلى القانون الإلهي ومن ثم نزول الخيرات والأمطار على الإنسان إذ أرشدهم (عليه السلام) إلى الخلاص ووعدهم بالرزق شرط العمل بالاستغفار، ونستنتج من ذلك تأكيد الإمام (عليه السلام) على أمرين:

١- أهمية الاستغفار ومنزلته في بناء الإنسان الصالح إذ يكون سبباً في البناء وانفتاح أبواب الخيرات على عكس الكفر الذي يسبب الخراب.

٢- ثبات الأثر الذي يأتي نتيجة الاستغفار ومن ذلك استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) بالآية القرآنية التي تخص الاستغفار وأثره، لأنَّ مبدأ السببية قائم على التلازم بين السبب والمسبب على قاعدة شرطية.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٨/٨/٩.

(٢) السبحاني، الالهيات، ص ٥٣٦.

## ... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

وتعد الصدقة ضابطة أخرى لتفعيل السنة التاريخية، فالصدقة هي المحدد الذي يترتب عليه أن يكون الجزاء مناسباً للمسبب، إذ أن توافره يحدث السنن التاريخية سواء كانت سنة النصر أم التمكين وغيرها من السنن، فالعمل به يخلف آثاراً كثيرة جعلته من المواضيع التي أكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة وذكرها بوصفها سبباً لجريان السنة التاريخية من أجل تربية الناس على العمل وفعل الخيرات كما جاء في قوله: ((اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ))<sup>(١)</sup> إذ أراد الإمام علي (عليه السلام) من ذلك تربية المجتمع على المساعدة والصدقة فيما بينهم حتى تعود خيراتهم عليهم، فهي دعوة إلى الخير وكسب الرزق عن طريق الصدقة أولاً، والحث على الصدقة لأنها متاجرة مع الله سبحانه، فهي تجارة مربحة ومضاعفة حتى وإن كنت فقيراً ولا تملك إلا القليل ثانياً، وهو ما يفسر قوله في موضع آخر: ((إِذَا أَمَلَقْتُمْ<sup>(٢)</sup> فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ))<sup>(٣)</sup>.

وقد قيل في شرح ذلك: إن الصدقة سبب لاستئصال الرزق وقسمته من عند الله تعالى<sup>(٤)</sup> مع أن لكل نفس رزق مقدر<sup>(٥)</sup>، فقد قال الله عز وجل في معنى ذلك: ﴿أَنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفَهُ لَكُمْ﴾<sup>(٦)</sup> أي إن تنفقوا في طاعة الله متقربين

(١) نهج البلاغة، ص ٤٩٤.

(٢) املقتم: الفقر والحاجة. ينظر: الفراهيدي، العين، ٥/ ١٧٤؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٥/ ٢٣٦.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥١٥. ونذكر في هذا المقام قول الإمام الصادق (عليه السلام) في ذلك: ((إني لأملق أحياناً، فأتاجر الله بالصدقة)). ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ٢٠٦.

(٤) الحسيني، ديباج الوضي، ٦/ ٢٨٤٣.

(٥) القمي، شرح حكم نهج البلاغة، ٢١. وينظر: حبيب الله الخوثي، شرح نهج البلاغة، ٢١/ ٢١٠.

(٦) التغابن/ ١٧. وكذلك قوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ البقرة/ ٢٦١.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

إليه يجزكم بالضعف<sup>(١)</sup>، ويتضح من ذلك أن يكون العطاء من اجل التقرب إلى الله وفي سبيل مرضاته وكذلك مقرونًا بالإخلاص وطيب النفس<sup>(٢)</sup> وإن عطاء الله يزيد ويتضاعف للخلق كلما اعطي الله شيء وتصدق به لأنه المالك لكل شيء والقادر عليه.

وتكامل هذا القول مع قول آخر للإمام (عليه السلام): ((مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ))<sup>(٣)</sup> إذ قال الشريف الرضي في معنى ذلك: (إن ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير والبر وإن كان يسيرًا فان الله يجعل الجزاء عليه عظيمًا كثيرًا واليدان هنا عبارة عن نعمتين، ففرّق (عليه السلام) بين نعمة العبد ونعمة الرب ذكرهما بالقصيرة والطويلة فجعل تلك القصيرة وهذه الطويلة لأن نعم الله ابدأً تضاعف عن نعم المخلوق أضعافًا كثيرة إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها فكل نعمة إليها ترجع ومنه تنزع)<sup>(٤)</sup>، لكن العطاء هنا لا يقتصر على الأنفاق كما فهمه الشريف الرضي بل يمتد إلى العمل والجهد الذي يقوم به الإنسان في سبيل الخير<sup>(٥)</sup>، وهنا تظهر رمزية السنة التي هي شرط للإرادة الإنسانية التي يتوقف عليها نجاح الفعل أو فشله ومبدأ الشريعة في الفكر الإسلامي الذي يمثله أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو الفعل والأخذ بالأسباب لجران السنة التاريخية المطلقة.

(١) الرازي، تفسير الرازي، ٢٨/٣٠.

(٢) النسفي، تفسير النسفي، ٤/٣٥٣؛ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٥/٣٤٧؛ اللوسي، تفسير اللوسي، ٢٨/١٢٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٠٩.

(٤) عبده، شرح نهج البلاغة، ص ٦٧٦.

(٥) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/٢٥٥.

## ... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

وقد كان كلام الإمام (عليه السلام) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾<sup>(١)</sup> وهو تضعيف الجزاء في الطاعات أي من جاء بخصلة من خصال الطاعة فله عشرة أمثالها من الثواب<sup>(٢)</sup>، فهذا أقل درجات الثواب وذلك أن الحسنة تصدر بظهور القلب، والسيئة بظهور النفس، فأقل درجات ثوابها أنه يصل إلى مقام القلب الذي يتلو مقام النفس في الارتقاء تلو مرتبة العشرات للأحاد في الأعداد<sup>(٣)</sup>، هذا الأثر الذي يتحقق على القيام بالصدقة جاء على وفق مبدأ الشرطية وهو مبدأ سنني أقام الله عليه نظام الحياة وأجرى عليه مصالح العباد وقضايا الجزاء والثواب، فهو ثابت لا يتغير ومطردي في كل زمان ومكان.

وفضلاً عن الصدقة تعد الطاعة شرطاً أساسياً لجريان القواعد والنواميس التاريخية التي طرحها الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، فالطاعة مقدمة للوصول إلى الخير ومرضاة الله عز وجل وقد جاء التأكيد عليها من الإمام (عليه السلام) كونه محدد لنفاذ السنة التاريخية حينما قال: ((وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ))<sup>(٤)</sup> أي لا تنال الرضا بشيء من الأشياء إلا بطاعته التي تجب له وهو أهل لها دون غيره<sup>(٥)</sup>، إذ يستحيل على الإنسان الوصول إلى ما يريد من سعادة وسلام وطمأنينة إلا بطاعة الله واتباع منهجه وشريعته، وهذه الطاعة التي أشار إليها الإمام (عليه السلام) هنا تحمل عدة أمور:

(١) الأنعام/ ١٦٠. وكذلك قوله تعالى: ((مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا)). النمل/ ٨٩.

(٢) الطبرسي، تفسير البيان، ٤/ ٣٠٤.

(٣) ابن عربي، تفسير ابن عربي، ١/ ٢٤٩.

(٤) نهج البلاغة، ص ١٨٨.

(٥) الحسيني، ديباج الوضي، ٣/ ١٠٧٠.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

١- الطاعة الخالصة التي تختلف عن الظاهرة.

٢- الطاعة هنا الإخلاص بالعمل وعدم الفساد في الأرض والتقرب من الله

كما قال الإمام الباقر (عليه السلام): ((والله ما يتقرب إلى الله الا بالطاعة))<sup>(١)</sup>.

٣- بيّن حقاً من حقوق الله على العباد وهو الطاعة له والانتقياد إلى أوامره

كما أشار في قوله (عليه السلام): ((لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ  
وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفْضُلاً مِنْهُ))<sup>(٢)</sup>.

ويعد الدعاء مثل سائر الشروط الأخرى كالتقوى والصبر فهو محدد لحدوث

السنة التاريخية ويعد من الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان وليس هناك سبب

أفضل من الدعاء في جلب الرزق ودفع البلاء وقد أكد الإمام علي (عليه السلام)

على الدعاء كضابطة لحدوث السنة الإلهية في عدة مواضع ومنها قوله: ((مَنْ

أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُجْرَمِ الْإِجَابَةَ))<sup>(٣)</sup> والاستجابة هنا أيضاً مشروطة بخلوص النية

وصفاء القلب والتوبة وإصلاح النفس حتى يستجيب الله للعبد ويقضي حاجته،

فالدعاء لله عز وجل يعمق العلاقة بين الخالق والمخلوق ويجعله يسلم أمره إلى الله

تعالى ويدفعه نحو ربه، لذلك نجد الدعاء شرطاً مضمون الإجابة من قبل الخالق

فقد قيل في ذلك: (إذ دعا العبد ربه مع استجماع شروط الدعاء وأهمها أن يكون

قائماً بالواجبات مبتعداً عن المحرمات ملتزماً بأمر الله استجاب الله دعاءه)<sup>(٤)</sup>،

(١) الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، ١١٢؛ الفتال النيسابوري، روضة الواعظين، ص ٢٩٤؛ ابن

ادريس الحلبي، مستطرفات السرائر، ص ٦٣٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٣٣.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٩٤. وقول الإمام (عليه السلام) هنا ممثل لما جاء في كتاب الله تعالى في قوله:

((وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)). غافر/ ٦٠

(٤) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣١٦/٥.

## ... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

كذلك الإجابة مشروطة بالصلاح فإذا كانت فيها مفسدة في أمر الدين والدنيا لا يجاب الدعاء فيها<sup>(١)</sup> وعلى الداعي أن يفهم سنن الله تعالى التكوينية والتشريعية، وأن يدعو ضمن دائرة هذه السنن، فليس من مهمة الدعاء أن يتجاوز هذه السنن التي تمثل إرادة الخالق التكوينية ورحمته ولطفه<sup>(٢)</sup>.

وكلام الإمام (عليه السلام) هنا مصداق لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وللدعاء هنا آدابٌ وشرائط هي أسباب الإجابة ونيل الأمانة، فمن راعاها واستكملها كان من أهل الإجابة ومن أغفلها وأخل بها لم ينل شيئاً<sup>(٤)</sup>، وهذا تأكيد على شروط وضوابط الدعاء والإجابة، فعند توافرها يصبح الأمر مطلقاً في الجريان وهو سمة السنة التاريخية المستمرة الشاملة.

ولعل الإمام الصادق (عليه السلام) أكد هذا المفهوم بما ورد عنه أنه قال: ((كان في بني إسرائيل رجل فدعا الله ان يرزقه غلاما ثلاث سنين، فلما رأى ان الله لا يجيبه قال: يا رب أبعد منك فلا تسمعني ام قريب انت مني فلا تجيبني قال: فأتاه آت في منامه فقال: انك تدعو الله عز وجل منذ ثلاث سنين بلسان بذيء وقلب عاتٍ غير نقي ونية غير صافية فأقلع عن بذائك ولتق الله قلبك لتحسن نيتك، قال: ففعل الرجل ذلك ثم دعا الله فولد له غلام))<sup>(٥)</sup>، فأبواب الاستجابة التي يفتحها الله عز وجل للمخلوق لا تغلق مادام باب الدعاء مفتوحاً من

(١) الحسيني، ديباج الوضي، ٦/ ٢٨٣٢.

(٢) مركز الرسالة، الدعاء حقيقته وآدابه واثاره، ص ٨٨.

(٣) البقرة/ ١٨٦.

(٤) الثعلبي، تفسير الثعلبي. ٢/ ٧٦.

(٥) الكليني، الكافي، ٢/ ٣٢٥؛ المجلسي، روضة المتقين، ١٠٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٥٨/ ١٧٣.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

قبل العبد وهذا ما أشار إليه الإمام علي (عليه السلام) بقوله: ((مَا كَانَ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الإِجَابَةِ))<sup>(١)</sup> أي يوفقه لأن يدعو به جميع حوائجه ويقضيها له ولا يغلق عليه باب الإجابة لأن ذلك لا يليق بحكمة الله تعالى ولا بعدله<sup>(٢)</sup>، وهذا الدعاء مشروط بالعمل حتى ينال العبد ما يريده من رزق ونجاح وظفر، فجميع الحوائج لها وسائل لا بد من العمل بها من أجل أن يقضي الله تلك الحوائج ولا يحل الدعاء محل تلك العوامل بل يعقب العمل أو يسبقها لأن الدعاء قد يكون المقدمة التي تترتب عليها النتيجة، كما قال الإمام علي (عليه السلام): ((الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر))<sup>(٣)</sup>، أي أن الدعاء لا يصل إلى الهدف والاستجابة ما لم يوجهه ويدفعه العمل كالسهم الذي لا يصيب دون الوتر الذي يدفعه.

كذلك يعد اصلاح النفس شرطاً أساسياً في حصول حركية والتطبيق العلمي للقواعد والنواميس الإلهية التي تأخذ الطابع التاريخي وإذا توافرت هذه الضابطة فستفعل سنة التمكين والاستخلاف وما شابه<sup>(٤)</sup>، فهو منطلق ومحدد لإصلاح الذات والمجتمع والحياة عموماً ويستطيع الإنسان بها معالجة سائر القضايا وتحصيل مختلف متطلبات الحياة لأنه صاحب دور رئيس من خلال العمل ومن ثم جريان السنة التاريخية المرتبطة بفعل الإنسان.

لذا نجد الإمام علياً (عليه السلام) ركز عليها وثقف لها ومنها قوله (عليه السلام): ((مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ أَصْلَحَ

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٣.

(٢) الحسيني، ديباج الوضي، ٦/ ٣٠٥٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٣٤.

(٤) حميد سراج جابر، التوظيف الفكري لسنن القرآن التاريخية في مواجهة الارهاب، ص ٩.

## ... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

أَمَرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظًا<sup>(١)</sup> فالرابطة بين العبد وربّه هي رابطة العبودية وإصلاح ما بين العبد والرّب بأداء ما يجب عليه من حقّ الله وحسن الطاعة له، وقد آمن الله فيما أوجب على عبده جميع ما يلزم له من حسن المعاملة مع الناس وجلب مودّتهم له، فإصلاح ما بينه وبين الناس أثر لازم يترتب على إصلاح ما بينه وبين ربّه، كما أنّ إصلاح أمر الآخرة بإقامة الفرائض والتجنّب عن كلّ محرّم، أثره أداء وظيفة العبوديّة، فأصلح الله أمر دنيا ذلك العبد بكفالة رزقه وتحسين أحواله، ومن يعظ نفسه فهو شاغل بها مصلح لها دائماً ومراقب عليها، فكان في حفظ الله تعالى<sup>(٢)</sup>، هذا الإصلاح أمر مهم تترتب عليه آثار كبيرة تخدم الإنسان ومجتمعه، فجميع المجتمعات المتحضرة والمتطورة والخالية من الفساد تجد الإنسان فيها يبدأ بنفسه في عملية الإصلاح حتى ينعكس هذا الأمر على المجتمع، على عكس المجتمعات المتدهورة التي ينتشر فيها الفساد لعدم وجود افراد مصلحين لأنفسهم أولاً ولمجتمعهم ثانياً ومن ثم اصلاح الدولة وتطورها وهذه ما تقرره السنن التاريخية الحاكمة للأمم والأفراد.

من جانب آخر أكد الإمام علي (عليه السلام) على أن تكون العلاقة بين أعمال الإنسان الظاهرية وسريته الداخلية متطابقة متماثلة لا أن تكون مختلفة، إذ قال (عليه السلام) في هذا الشأن: ((مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلَانِيَتَهُ وَمَنْ عَمَلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٢.

(٢) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٢١/١٣٥. وينظر: الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/٢٨٦.

## ... الفصل الثاني: أنواع السنن التاريخية ومحدداتها...

وَبَيَّنَ النَّاسِ))<sup>(١)</sup> فلا ريب أن الأعمال الظاهرة تبع للأعمال الباطنة، فمن صلح باطنه صلح ظاهره وبالعكس، وذلك لأن القلب أمير مسلط على الجوارح، والرعية تتبع أميرها<sup>(٢)</sup>، أي إذ كانت أعمال الإنسان وسلوكه طيباً حسناً من الباطن كان سلوكه طيباً من الظاهر وإذ كانت أفعاله سيئة فإنها نابعة من سريره السيئة وهو ما عززه الإمام (عليه السلام) في موضع آخر بقوله: ((اعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ وَمَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ))<sup>(٣)</sup> لأن أفعال الإنسان انعكاس لما في داخله وهي حقيقة أدركها الإمام (عليه السلام) و طرحها للناس كقانون تاريخي ثابت من أجل إصلاح الذات واحترام النفس.

ومن ذلك فقد ثقف وحث الإمام علي (عليه السلام) الفرد بإصلاح نفسه أولاً ثم إصلاح المجتمع لأن من لا يستطيع تغيير ما في نفسه لا يمكنه أحداث تغيير ايجابي في المجتمع بسبب العجز الذي يصيبه كما قال الإمام علي (عليه السلام): ((اعجز الناس من عجز عن إصلاح نفسه))<sup>(٤)</sup>، فالعاجز عن إصلاح نفسه كيف يقدر على إصلاح غيره، لذلك على الإنسان ان ينصب جهوده لإصلاح نفسه ومعالجتها لكي تتوافر الأرضية الصالحة التي من خلالها يتم إصلاح الآخرين والمجتمع.

ونلاحظ مما تقدم أن مبدأ الشريعة في فكر الإمام علي (عليه السلام) قد شغل مساحة واسعة وكبيرة بالنسبة للسنن الأخرى وإن جميع السنن تعتمد اعتماداً كلياً

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٢.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/٦٨. وينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٦٨/٢٦٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ١١٦.

(٤) الامدي، غرر الحكم، ص ٣٨.

... المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها...

على هذا المبدأ على الرغم من أنها سنن قائمة بذاتها، وهذه يشير إلى تأكيد الإمام علي (عليه السلام) على أرادة الإنسان أولاً، والدعوة والحث على العمل ومراعاة تلك السنن للحصول على نتائج إيجابية ثانياً.



## الفصل الثالث

آيات طرح السنن التاريخية  
وأساليبها



## توطئة

من المعلوم أنّ الأسلوب والآلية التي تتبع في إيصال أي فكرة دينية أو سياسية أو اقتصادية إلى الناس إنما يعتمد على نوع هذه الفكرة وملتقيها فضلاً عن صاحب الأسلوب الذي يعتمد على درجة علمه وامكانيته، وهو أمر لا يمكن أن يتنافس به أحد مع الإمام علي (عليه السلام) بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقد كانت له استراتيجية متكاملة في طرح الأسلوب الأمثل الذي يتناسب مع كل الفئات، وهو أسلوب يجمع بين الجانب الترغيبي والجانب الترهيبى ولكن بنسب متوازنة حسب طبيعة المقابل.

لذا لا نستغرب إذا وجدنا أن نصوص نهج البلاغة زخرت بالجانبين معاً في طرح الإمام علي (عليه السلام) عن السنن التاريخية، لرغبته (عليه السلام) في ضمان تحقيق الغايات والأهداف المتبغاة منها.



## المبحث الأول

### الآليات والأساليب الترغيبية

لقد تعددت الأساليب التي اتخذها الإمام علي (عليه السلام) في الجانب الترغيبية وأخذت أشكالا عدة على وفق منهج بناء يقوم على تشجيع الناس وترغيبهم بتحقيق المكاسب على حسب تعاطيهم مع السنة التاريخية، ويمكن أن ندرس هذه الأساليب كما يأتي:

#### أولاً: أسلوب الإغراء.

واحد من الأساليب الترغيبية، التي استخدمها الإمام علي (عليه السلام) في التثقيف للسنة التاريخية هو أسلوب الإغراء، إذ أن الإغراء يعني الحرض على الشيء والتحريض عليه والترغيب فيه ببيان محاسنه ومنافعه من أجل الالتفات إليه والإقبال عليه<sup>(١)</sup>، ويقال الأغراء هو تنبيه المخاطب على محمود أمر ليلزمه<sup>(٢)</sup>.

لقد طرح الإمام (عليه السلام) بعض السنن بأسلوب الإغراء وتثقيف المجتمع على العمل بها وعدم تركها وتحديدها، لأن النتائج المترتبة على تطبيقها مقدمة للتنمية، ومن ذلك التثقيف والترغيب بالعودة للفترة التي هي سنة الدين، إذ قال الإمام (عليه السلام) فيها: ((هَذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ وَأَصْفَاهُ خَيْرَ خَلْقِهِ وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ إِذْ لَ الْأَدْيَانَ

(١) ينظر: المبرد، الكامل في اللغة والآداب، ٢٥٩؛ الكفوي، الكليات، ١/٢٤٦.

(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ص ٦٥١. وهناك معنى سلبي للإغراء غير الذي نقصده وهو معناه التحريش بين القوم كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمْ﴾ (المائدة/ ١٤)، وهنا الإغراء تسليط بعضهم على بعض. ينظر: الفراهيدي، العين، ٤/٤٤١؛ الطوسي، التبيان، ٣/٤٧٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ٦/٢٧٩.

### ... الفصل الثالث: آليات طرح السنن التاريخية وأسايبها ...

بِعِزَّتِهِ وَوَضَعَ الْمَلَلَ بِرَفْعِهِ وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ وَخَذَلَ مُحَادِّيهَ بِنَضْرِهِ وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حَيَاضِهِ ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ وَلَا انْهَادَامَ لِأَسَاسِهِ وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ عُيُونَهَا وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سَفَارُهَا وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا<sup>(١)</sup> وَمَنَاهِلٌ<sup>(٢)</sup> رَوَى بِهَا وَرَادَهَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُتْتَهَى رِضْوَانِهِ وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ وَسَنَامَ طَاعَتِهِ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ رَفِيعُ الْبُنْيَانِ مُنِيرُ الْبُرْهَانِ مُضِيءُ النَّيِّرَانِ عَزِيزُ السُّلْطَانِ مُشْرِفُ الْمَنَارِ مُعَوِّذُ الْمُتَارِ فَشَرَّفُوهُ وَاتَّبَعُوهُ وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ<sup>(٣)</sup>

لقد اتخذ الإمام علي (عليه السلام) من ذكر فضائل الدين الإسلامي أداة للترغيب فيه<sup>(٤)</sup> ومنها صلاحه لكل عصر فهو لا يتعارض مع العلم والعقل<sup>(٥)</sup>، كذلك ذكره صفات هذا الدين من الثبات والدوام<sup>(٦)</sup>، فقد كان ترغيب الإمام (عليه السلام) بدين الله عامة وهو فطرة الله والدين الإسلامي المحمدي بصورة خاصة، فأراد من ذلك حث الناس وتثقيفهم على دين التوحيد وعدم تحدي هذه السنة الإلهية التاريخية، لأنَّ مصير التحدي الهلاك، وذكر الفضائل للمغرى به من القواعد المهمة التي اعتمدها الإمام (عليه السلام) في أسلوب الأجراء.

وربما خصص الإمام (عليه السلام) جزءاً أساسياً في الدين ورغب فيه لضمان

(١) فجاجها: الطريق الواسع بين الجبلين. ينظر: الجوهرى، الصحاح، ١/ ٣٣٣؛ ابن سيدة، المخصص، ٤٧/٣.

(٢) مناهل: موارد المياه. ينظر: الفراهيدي، العين، ٤/ ٤٧؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٥/ ٤٨٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ٣١٣.

(٤) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ٤٥٢.

(٥) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ١٩٩.

(٦) الحسيني، ديباج الوضي، ٤/ ٢٦٢٤.

## ... المبحث الأول: الآليات والأساليب الترغيبية ...

جريان السنة وتحقيق الأثر والنتيجة، ولعل طبيعة الأثر تؤكد أسلوب الأغراء فقد رغب بالجنة كهدف من الأهداف يقوم على أداء الفرائض<sup>(١)</sup> حينما قال: ((الْفَرَائِضُ الْفَرَائِضُ أَدُّوْهَا إِلَى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ))<sup>(٢)</sup> إذ أمر بلزوم الفرائض من العبادات والمحافظة عليها، كالصلاة والزكاة، وكان ذلك بأسلوب الأغراء<sup>(٣)</sup> أي أحسنوا تأديتها على الوجه الذي أراه الله منكم توصلكم إلى ثواب الله بدخول الجنة فهي جزاء عليها<sup>(٤)</sup> والفرائض هنا لا تقتصر على أداء العبادات فقط وإنما تشمل جميع ما يقوم به الإنسان في سبيل الخير والصلاح من أعمال تصب في مصلحة الفرد والمجتمع الذي يحيط به كالمساعدة والتعاون والخروج على الظالم والوقوف بوجه الفاسد، عندئذ تجري السنة التاريخية بدخولهم الجنة، إذ أن تكرار لفظة الفرائض جاء لتأكيد الأمر مرغبا فيه والحث على الأقبال عليه وهذا التأكيد يمثل قاعدة أخرى من القواعد التي اعتمدها الإمام (عليه السلام) في أسلوب الإغراء لأن التأكيد هو إيصال المعنى للسامع.

والقاعدة الثالثة في أسلوب الإغراء هي تأكيد الإمام علي (عليه السلام) على تحقيق الشروط والضوابط المهياة لجريان السنة وتحقيق الأثر؛ لذلك كان الأغراء بالنتيجة التي تترتب على تحقيق الشرط والضابطة، لأن مجال السنن الإلهية

---

(١) الفرائض: وهي في اللغة جمع فريضة وتعني الشيء الموجب أو المقطوع، أما في الفقه الإسلامي هي جميع العبادات الواجبة التي يقوم بها الإنسان المسلم من الصوم والصلاة والزكاة والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتجاوز إلى جميع عمل فيه الخير والصلاح للمجتمع الإنساني وهي تدخل ضمن أركان الدين الذي يعد سنة تاريخية حتمية ثابتة تجري على جميع الأمم والأفراد. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧/٢٠٢.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٤٢.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/٢٨٩.

(٤) الحسيني، ديباج الوضي، ٣/١٣٩٧.

### ... الفصل الثالث: آليات طرح السنن التاريخية وأساليبها ...

الحقيقي قائم على قدم وساق بقانون السببية الذي مؤداه أن الأخذ بالسبب يؤدي إلى الوصول للنتيجة إذا تحققت الشروط<sup>(١)</sup>، ومن الموارد الشرطية التي رغب فيها الإمام (عليه السلام) هو التعاون الاجتماعي والمساعدة إذ قال في ذلك: ((مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ))<sup>(٢)</sup> لأنَّ الاغاثة طاعة وفيها فوائد منها زجر الظالم ونجاة المظلوم وتوطين النفس على قهر القوة الغضبية واكتساب مودات القلوب، وإذا كانت الطاعة عظيمة كانت الكفارة للمعصية عظيمة<sup>(٣)</sup>، فما يفعله الإنسان من إحسان يعود عليه بالنعف والعكس صحيح وهو ما تحدده الضابطة الشرطية التي تعمل بها السنة التاريخية، فقد بث الإمام (عليه السلام) من خلال طرحه المتقدم الاطمئنان والاستقرار في نفس المتلقي بأن القيام بالإغاثة والتنفيس يرفع الذنوب أولاً وهو ترغيب واغراء في المساعدة والتعاون بين أفراد المجتمع ثانياً.

أيضاً من الأمور الشرطية التي رغب بها الإمام علي (عليه السلام) هي الصدقة التي سبق وإن تكلمنا عنها كشرط لحدوث السنة التاريخية، إذ قال (عليه السلام) في معرض الترغيب بها: ((اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ))<sup>(٤)</sup> وقد جاء الترغيب بالصدقة كونها سبباً لاستنزال الرزق، فهي باب عظيم لذلك معد حصوله ومن

(١) مجدي عاشور، السنن الإلهية مصادرها وضوابطها، ص ٨٩.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٧٢. ومن كفارات الذنوب الأخرى ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله بهذا الشأن: ((كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الأخوان)) (الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ٣/ ١٦٧).

(٣) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ٤٠٢. وينظر: الكيذري البيهقي، حدائق الحقائق، ٢/ ٦٠٨؛ البحراني؛ شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٥٠.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٩٤.

## ... المبحث الأول: الآليات والأساليب الترغيبية ...

وجوه أعدادها كونها نفعا متعدداً يستلزم تألف قلوب أهل الله والصالحين من عباده واجتماع الهمم على دعاء الله لصلاح حال المتصدق وللتنبية على أقوى الأسباب الباعثة عليها وعلى البذل في كثر الخلق ليعتمد فيسهل معه البذل وهو ثقة بالله واليقين بالخلف منه<sup>(١)</sup>.

لقد أراد الإمام (عليه السلام) بهذا أن يجعل الإحسان والمساعدة عقيدة دينية يقوى بها المجتمع، وتعود عليه خيراتها وثمراتها، وليس من شك في أن هذا الأسلوب من أجدى الأساليب في نجاح الدعوة إلى الخير<sup>(٢)</sup>، فقد كشف الإمام علي (عليه السلام) بهذا الأجراء عن حتمية لا بد منها تتعلق بالنفع والرزق على المتصدق نفسه، إذ يضاعف الله رزقه وهذا وعد من الله والله لا يخلف وعده.

وهذا النوع من الأجراء هو امتداد لترغيب الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) بالصدقة وذلك حينما قال: ((اكثروا من الصدقة ترزقوا))<sup>(٣)</sup> هذا الرزق الذي يأتي بصورة شرطية على المتصدق، لذلك كان الترغيب بفعل الشرط وهو الصدقة والعطاء الذي يتجاوزها إلى مفهوم المساعدة والإعانة والجهاد في سبيل الله والتعاون وكل ما يشمل عطاء الفرد، إذ يكون الجزاء أكبر وأكثر كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةَ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ))<sup>(٤)</sup> أي يعين الناس والدين ولو أعانة قليلة يعينه الله أعانات كبيرة<sup>(٥)</sup>، فالصدقة تعد المحفز

(١) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣١٩/٥؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٢١٠/٢١.

(٢) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣٠٦/٤.

(٣) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ٣٤٣/١؛ المنذري، الترغيب والترهيب في الحديث الشريف، ٥١١/١؛

ابن عربي، الفتوحات الملكية، ٥٢١/٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ١٧٦/٧٤.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٠٩.

(٥) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣٧١/٤.

### ... الفصل الثالث: آليات طرح السنن التاريخية وأساليبها ...

الذي يجري به القانون التاريخي وما يترك من آثار نافعة للمعطي، وهذا الأمر يوضح رمزية السنة التاريخية حين جريانها.

والأمر ينطبق على التقوى التي وردت في كلام الإمام (عليه السلام) بأسلوب الترغيب بالعمل بتقوى الله والتي تترتب عليها آثار وفوائد كثيرة للفرد خاصة والمجتمع بصورة عامة، فالإمام (عليه السلام) يرغب الناس بتلك الآثار الإيجابية كنتيجة للتقوى، إذ طرحها بصورة شرطية وهو ما يسمى الشرط والجزاء ومن ذلك قوله (عليه السلام): ((فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهْلُهُ<sup>(١)</sup> وَفَارَزَ عَمَلُهُ))<sup>(٢)</sup> فقد ثقف (عليه السلام) الناس لتقوى الله وأخرج ذلك بصورة الشرط، ما عكس التلازم بين التقوى والتفوق والتقدم في عمل الخير<sup>(٣)</sup> لأنها من العناية الإلهية والرحمة التي تنزل على الإنسان، ولأن السنن التاريخية تأخذ هذا الطابع.

وقد أكد الإمام (عليه السلام) ذلك الأثر المرتبط بشرط التقوى حينما أشار إلى أن الإنسان المتقي الذي تعصمه التقوى عن الخطأ وتبعده عن الرذيلة ستجري عليه السنة التاريخية بخلاصه من الظلم وذلك حينما قال (عليه السلام): ((وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا<sup>(٤)</sup> ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا، لَا يُؤْنَسَنَّ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ))<sup>(٥)</sup> فالسما والارض مرتقين منسدين وهو كناية عن شدة الضيق أي لو كان العبد في غاية الشدة ونهاية الفتك والضيق

(١) مهلة: السكينة والتؤدة والرفق. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/ ٣٧٥؛ ابن منظور، لسان العرب، ١١/ ٦٣٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ١٩٠.

(٣) عبدة، شرح نهج البلاغة، ص ٢٨٠. وينظر: حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ٨/ ٣٠٣.

(٤) رتقا: الحام ضد الفتق. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ١١٤.

(٥) نهج البلاغة، ص ١٨٨.

## ... المبحث الأول: الآليات والأساليب الترغيبية ...

بحيث ضاقت عليه السماوات والأرض ثم اتقى الله لجعل له مخرجا منها<sup>(١)</sup>، فظاهر كون التقوى عند استشعارها سببا قاطعا لطمع المتقي من الدنيا، وهو مستلزم لراجيه من مجاذبة النفس الأمارة بالسوء عن الوقوع في شبهات الدنيا<sup>(٢)</sup>، ويظهر أن الإمام (عليه السلام) وصف ذلك الميزان وصفا دقيقا حينما حدده بالالتزام بالحق والاستئناس به والابتعاد عن الباطل وتجنبه وهو الأمر الذي يعكس طبيعة هذه التقوى.

والمتبع لكلام الإمام علي (عليه السلام) الذي طرحه بأسلوب الأغراء يجد أن القواعد التي استند إليها هذا الأسلوب أخذت طابعين، أولهما الطابع العبادي كما تقدم في ترغيبه بسنة الدين وضابطتي التقوى والصدقة.

وثانيهما الطابع العام المرتبط بالجانب العبادي أيضًا، فقد شجع الإمام علي (عليه السلام) في هذا المقام على الإحسان للغير في حضورهم وغياهم حتى يبادلوهم بالإحسان لأن المعروف لا يضيع بين الله والناس كما جاء في قوله (عليه السلام): ((أَحْسِنُوا فِي عَقَبِ<sup>(٣)</sup> غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقَبِكُمْ))<sup>(٤)</sup> فالإحسان مطلقًا يوجب الحفاظ على العقب<sup>(٥)</sup> لأن أكثر ما في الدنيا يقع على سبيل القرص والمكافأة، فقد رأينا عيانا من ظلم الناس فظلم عقبه وولده ورأينا من قتل الناس فقتل عقبه وولده ورأينا من اُخرب دورا فأخربت داره ورأينا من احسن إلى

(١) حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ٢٣٨ / ٨.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ١٤٧ / ٣.

(٣) عقب غيركم: ولده و ولد ولده. ينظر: الجوهرى، الصحاح، ١٨٤ / ١.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٢١.

(٥) التستري، بهج الصباغة، ٤٧١ / ١٤.

### ... الفصل الثالث: آليات طرح السنن التاريخية وأساليبها ...

أعقاب أهل النعم فأحسن الله إلى عقبه وولده<sup>(١)</sup>، إذ رغبهم الإمام (عليه السلام) بالإحسان إلى أولاد الناس واحفادهم ومعاملتهم بأجمل صورة لكي تجري السنة ويحسن إلى ذريتك واحفادك الذين يأتون بعدك، لأن هذا الأمر يحدث على وفق قانون السنة التاريخية الثابتة.

إن استقراء ما طرحه الإمام (عليه السلام) في هذا الأسلوب يكشف عن ملامح بنائية هادفة واضحة التحقق ولعل أهمها:

- ١- السرعة في إيصال المعنى الذي يهدف إليه الإمام (عليه السلام) للمتلقي.
- ٢- كان أسلوب الأجراء أبلغ وأقوى في نفس السامع لطبيعته الترغيبية العبادية ما يدفع الإنسان للعمل بالسنن والضوابط المغرى بها.
- ٣- التأكيد على المجمال العام للعبادة وهو معاملة الناس ورعايتهم وليس أداء الحركات العبادية فقط.

#### ثانياً: أسلوب الحث والتشجيع.

واحد من أساليب الترغيب التي استخدمها الإمام علي (عليه السلام) في بيان السنة التاريخية والتثقيف لها والعمل على جريانها، إذ شجع الإمام (عليه السلام) على القيام ببعض الأفعال الكفيلة بذلك ومنها الحث والتشجيع على العمل والتوبة والدعاء التي هي عوامل محفزة للقانون التاريخي المرتبط بفعل الإنسان وأرادته، إذ قال (عليه السلام): ((فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ وَالحَالُ هَادِيَةٌ وَالأَقْلَامُ جَارِيَةٌ))<sup>(٢)</sup> أي اعملوا اليوم وأتم في دار التكليف

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٥٢/١٩.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٥١. وكذلك قوله (عليه السلام): ((اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللهُ عَلَى أَعْلَامٍ يَبِينَةُ فَالطَّرِيقُ

## ... المبحث الأول: الآليات والأساليب الترغيبية ...

وأفعالكم تكون اختيارا لا اضطرارا<sup>(١)</sup>، لأنَّ العمل يوم القيامة غير نافع<sup>(٢)</sup>، فالعمل يرفع إلى الله تعالى فيقبله ويثيب عليه، والتوبة تنفع، لأنَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فما دمتم أحياء فتستطيعون أن تتضرعوا لله وتسالوا الرحمة لأنكم في حال تمكنكم من العمل لآخرتكم، إذ يكتب لكم ثواب ما تعملون من الصالحات<sup>(٣)</sup>، فهنا الحث على العمل والتشجيع عليه من أجل الأخذ بالأسباب الباعثة للنعم ورعاية السنن الجارية المطردة التي لا تختلف ولا تتخلف.

فتحصيل النتائج والعواقب يحتاج للعمل بضوابط السنن والعوامل الممهدة للجريان حتى تترك الآثار التي لا تحصد بالتكاسل عن العمل كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((بالعمل يحصل الثواب لا بالكسل))<sup>(٤)</sup> حتى وإن كان العمل قليلا فإن الجزاء والنعم تكون أكبر وأكثر وهذا ما أكده الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: ((اعملوا قليلا تنعموا كثيرا))<sup>(٥)</sup>.

نَهَجٌ (يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ) وَأَنْتُمْ فِي دَارٍ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ  
وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ)) (نهج البلاغة، ص ١٤٠).

(١) الراوندي، منهاج البراعة، ٢/ ٤٠٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/ ١٣.

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٣٥.

(٤) الليثي الواسطي، عيون المواعظ والحكم، ص ١٨٦. فقد عمل ائمة أهل البيت (عليهم السلام) على ذم الكسل والتحذير منه كما جاء في قول الإمام علي (عليه السلام): ((من دام كسله خاب أمله وساء عمله)) (الامدي، غرر الحكم، ص ٣٢١) وكذلك قول الإمام الباقر (عليه السلام): ((إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، من كسل لم يؤد حقا، ومن ضجر لم يصبر على حق)) (ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٢٩٥)، وأيضًا قوله (عليه السلام): ((الكسل يضر بالدين والدنيا)) (ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٣٠٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٧٥/ ١٨٠) وما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: ((عدو العمل الكسل)) (الكليني، الكافي، ٥/ ٨٥).

(٥) الصدوق، ثواب الأعمال، ١٥؛ الطوسي، الأمالي، ١٥٨؛ الطبري، بشارة المصطفى، ١٥٠؛

### ... الفصل الثالث: آليات طرح السنن التاريخية وأساليبها ...

من الموارد التي شجع عليها الإمام (عليه السلام) وأكد عليها هو التشجيع والترغيب في العمل بسنة التدافع التي مر الكلام عنها<sup>(١)</sup>، ودفع الرديء بالجد والمسيء بالمحسن إذ شجع أمير المؤمنين (عليه السلام) المجتمع على ذلك وزرع فيهم ثقافة دفع السيئ وتخليص المجتمع منهم حتى لا يتم استبدالهم، والدفع الذي حثّ عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) يشمل دفع الأشياء قبل وقوعها وليس فقط بعد أن تحدث، إذ شجع على دفع المسيء بتكريم المحسن ومكافئته كما قال (عليه السلام) ((أزجر المسيء بثواب المحسن))<sup>(٢)</sup> فردع الجريمة والإساءة، له عدة طرق وأساليب منها عقاب المسيء وتأديبه ومنها تشجيع المحسن وجزاؤه بالحسنى، لأن ذلك بطبيعة الحال تأديب وتقريع للمسيء عن أساءته ومنها تكريم المتفوقين والعباقرة والتشجيع على الاجتهاد والتقدم<sup>(٣)</sup>.

فالتشجيع والثواب<sup>(٤)</sup> محفزان للجميع على الإحسان والعمل الصالح وبذلك

الاشترى، تنبيه الخواطر، ٢/٥٠٢.

(١) جاء الكلام عنها وتفصيلها في الفصل الثاني.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٠١.

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/٣٢٩.

(٤) استخدمت المناهج الحديثة والأساليب التربوية المتطورة أسلوب الثواب والعقاب في تحقيق النتائج المرجوة والتربية الصحيحة ويعتبر علماء التربية ان الثواب والعقاب من ابرز اشكال التربية والضبط الاجتماعي وتوجيه السلوك وهو في الحقيقة أسلوب سبقهم إليه الإمام علي (عليه السلام) في عشرات الكتب والرسائل التي ذكرت هذا الأسلوب وكيف استخدمه بصورة انفردها الإمام (عليه السلام) وبطريقة خالية من العقاب المادي تقوم على البناء النفسي وعدم التضحية بالمسيء والمحافظة على كيانه عن طريق بناء نظام التحفيز بأسلوب تنافسي إنساني وهو اذق نظام مكافأة بلا عقوبة كما جاء في عهده إلى مالك الأشر: ((وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدًا لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِييًّا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَأَلْزَمَ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ)) (نهج البلاغة، ص ٤٣١). ينظر: بدر محمد مالك، التوجيه الثواب ام العقاب،

## ... المبحث الأول: الآليات والأساليب الترغيبية ...

لا يبقى مجال للتفكير بالعمل السيء وهذا الدفع تكون له النتائج الإيجابية، إذ يتم من خلاله تخليص المجتمع من المسيئين نتيجة جريان السنة التاريخية وتطبيقها، لذلك كان التشجيع على القيام به من قبل أمير المؤمنين وائمه أهل البيت (عليهم السلام)، إذ جاء في معنى ذلك قول الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام): ((السداد دفع المنكر بالمعروف))<sup>(١)</sup>، فهذا هو المنهج الإلهي في دفع الشر بالخير والفاقد بالصالح وقد ثقف الإمام (عليه السلام) إليه من أجل إصلاح المجتمع ودفع السيئين عنه.

ومن أساليب التشجيع الأخرى التي ترتبط بتفعيل السنة وتهيئة الأسباب لجريانها هو مسألة الاستشارة وأخذ الآراء لمعرفة الصح والخطأ منها وعدم التسرع والتعصب لرأي واحد لأن الشورى تعد من أفضل الوسائل للوصول إلى الصواب، إذ يتوصل الإنسان إلى الواقع برأي أهل الخبرة والتجربة بعيداً عن العواطف والميول والرغبات التي قد تستولي عليه وتجعله مستتبداً برأيه وهو ما يفسر قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك: ((مَنْ اسْتَقْبَلَ وَجُوهَ الْأَرَءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ))<sup>(٢)</sup> ولا شك في أن المتصفح لوجوه الآراء والمفكر في إيهما أصوب يعرف مواقع الخطأ في الأمور ومظانها وهو ترغيب في الاستشارة والفكر لاستصلاح الأعمال قبل الوقوع فيها<sup>(٣)</sup> وهو الأصل في معرفة الصحيح

---

صفحاته جميعاً، انتصار كاظم جواد، أساليب الثواب والعقاب في عملية التعليم، صفحاته جميعاً.

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ٣/٦٨؛ ابن عساکر، ترجمة الإمام الحسن، ١٦٣؛ العاملي، الدر النظيم، ٥٠٦؛ المزي، تهذيب الكمال، ٦/٢٣٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٠١. على عكس من يجهل الآراء فيكون الأثر سلبي كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((من جهل وجوه الآراء أعتبه الحيل)) (الامدي، غرر الحكم، ص ٣١٨).

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/٣٢٧. وينظر: مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/٢٢٧.

### ... الفصل الثالث: آليات طرح السنن التاريخية وأساليبها ...

من الفاسد<sup>(١)</sup>، هو ما تشير إليه السنة التاريخية عند الأخذ بمحدداتها التي تترك الأثر الإيجابي بعد تطبيقها.

وقد بيّن الإمام علي وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) أن الاستشارة لا بد من أن تؤخذ من الأشخاص الذين يحملون صفات المتقين الذين يخافون ربهم ولديهم العلم الكافي حتى تصل إلى المعرفة المطلوبة كما قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): ((استشيروا في أمركم الذين يخافون ربهم))<sup>(٢)</sup> لأن الذي يخاف ربه لا يزين لك الرأي السيء ولا يشوه الرأي الصحيح بل يدل على الواقع في الاستشارة وبذلك تحقق النتائج المرجوة بعد العمل بضوابط السنن التاريخية التي تعطي آثاراً إيجابية.

في المقابل حذر أمير المؤمنين (عليه السلام) من الاستبداد بالرأي الذي يأخذ مأخذاً كبيراً من العقل لأن الاستبداد والعقل لا يجتمعان إذ أن نتيجة الاستبداد هو الهلاك لا محالة<sup>(٣)</sup>، فقد قال الإمام (عليه السلام): ((مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَمَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُوبِهَا))<sup>(٤)</sup> إذ أن الإنسان الذي يأخذ الأمور على عاتقه كاملة دون الاستعانة بالآخرين أو الاستفادة من خبراتهم لا شك في أنه من الهالكين بسبب استبداده برأيه وعدم فسح المجال أمام عقله للمشاركة مع عقول الآخرين<sup>(٥)</sup>، ويتضح من ذلك أن من يتعامل مع السنن والضوابط التي

(١) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ص ٤٣٥. وينظر: الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٣٢٩.

(٢) البرقي، المحاسن، ٢/ ٦٠١؛ المجلسي، روضة المتقين، ٤/ ٢٦٩؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٢/ ٤١

(٣) حميد سراج جابر، الجودة وفلسفة اتقان العمل، ص ٢٢.

(٤) نهج البلاغة، ص ٥٠٠.

(٥) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨/ ٢٨٣؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٢٤؛ مغنية،

في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٣٢٣.

تحددها يفلح على عكس من يهمل تلك الشروط ويتحداها، لذا عمل الإمام (عليه السلام) على التثقيف للمشاورة والتحذير من تركها، وهذا المنهج التثقيفي هو منهج عادل يأخذ بنظر الاعتبار المرحلية والتتابع في الطرح والعمل، مما يقننه ويحدث التوازن في النتائج المرجوة.

ومن المصاديق أيضًا ما يتعلق بالحث على ستر العيوب<sup>(١)</sup> وعدم فضحها وذلك لما يترتب عليها من آثار إيجابية للفرد الذي يعمل به والمجتمع عامة على العكس من تركه والقيام بفضح عيوب الناس، الأمر الذي يؤدي إلى دمار المجتمع، لذلك كان الترغيب والتشجيع على ستر العيوب والتأكيد عليه كما جاء في الوصية الشهيرة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى مالك الأشتر عندما ولاه مصر إذ قال له: ((إِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا

(١) ستر العيوب في الإسلام: لقد حث الإسلام على ستر العيوب ورغب فيه واتخذ عدة وسائل من أجل ذلك، فقد وردت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) التي تتكلم عن موضوع الستر، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُعَلِّمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور/ ١٩) وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (النساء/ ١٤٨)، وكذلك حث النبي محمد (صلى الله عليه وآله) على ستر المسلم وعدم فضح عيوبه كما جاء في قوله: ((من ستر مسلماً في الدنيا ستره الله عز وجل في الدنيا والآخرة)) (ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ٢/ ٨٥٠)، وأيضاً الإمام علي (عليه السلام) نهى عن الكلام بعيوب الناس والانشغال بعيوب النفس كما جاء في قوله: ((استر عورة أخيك لما تعلمه فيك)) (الامدي، غرر الحكم، ص ٣١)، وستر العيوب مفهوم واسع يتعدى إلى اهداء العيوب إلى صاحبها كما جاء في أقوال أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومنها قول الإمام علي (عليه السلام): ((ليكن أثر الناس عندك من أهدى إليك عيبك، وأعانك على نفسك)) (الامدي، غرر الحكم، ص ٢٨١)، وقول الإمام الصادق (عليه السلام): ((أحب إخواني إلي من أهدى إلي عيوي)) (الكليني، الكافي، ٢/ ٦٣٩؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص ٢٩٦).

### ... الفصل الثالث: آليات طرح السنن التاريخية وأساليبها ...

فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّهَا عَلَيْكَ تَطْهِيرٌ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرُ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ))<sup>(١)</sup> وذكر ذلك مرغباً فيه<sup>(٢)</sup>، وهو إشارة إلى أن الإنسان ينبغي عليه ستر عيوب الناس ليستر الله عيوبه وهذا بمثابة الثواب الإلهي في الدنيا وهناك ثواب أعظم ينتظره في الآخرة<sup>(٣)</sup> وهذا الثواب يأتي كنتيجة لجريان السنة الإلهية التاريخية بعد حصول المقدمات المتمثلة بستر عيوب الآخرين، فتطبيق القانون التاريخي يعقب بنتائج من جنس العمل.

ولعل ما ورد عن الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) في هذه المقام يصلح أن يكون كشاهد إذ قال (صلى الله عليه وآله): ((كان بالمدينة أقوام لهم عيوب فسكتوا فأسكت الله عن عيوبهم الناس فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم فتكلموا في عيوب الناس فأظهر الله لهم عيوباً لم يزالوا يعرفون بها إلى ان ماتوا))<sup>(٤)</sup> فالقصة التاريخية خير مثال على جريان تلك السنن على جميع الأفراد دون محاباة فلا يشذ منها المؤمن والكافر بل سارية على الجميع دون تحلف أو اختلاف بشرط توافر المقدمات.

وستر العيوب لا يتوقف على إخفاء الأفراد لعيوبك وعدم فضحها وإخراجها

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٢٩. وكذلك قوله (عليه السلام): ((يا أيها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وطوبى لمن لزم بيته، وأكل قوته، واشتغل بطاعة ربه، وبكى على خطيئته، فكان من نفسه في شغل، والناس منه في راحة)) (نهج البلاغة، ص ٢٥٥).

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٤٥. وينظر: شبر، نخبة الشرحين، ٤/ ١٧١٨.

(٣) مكارم شیرازي، شرح نهج البلاغة، ١٠/ ٣٢٩.

(٤) الشيخ الطوسي، الأمالي، ص ٤٤؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٥/ ٢٩٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٧٢/ ٢١٣.

للناس جميعاً إذ يمكن للإنسان ستر عيوبه بنفسه عن طريق الحياء والخجل اللذين يمنعان الفرد من القيام بالأعمال القبيحة وهو الأمر الآخر الذي رغب فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وحث الناس عليه وذلك في قوله: ((مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرِ النَّاسُ عَيْبَهُ))<sup>(١)</sup> لأن الإنسان إذا كان يمتلك ملكه الحياء يستحي ويخجل ولا يرتكب عيباً قط لأنه يخجل من مقابلة الناس إذا انكشف لهم فعله القبيح، فمن كان يستحي فلن يقرب من عيب وإذا لم يقترف عيباً امتنع عن الناس إن يروا إلا الأفعال الطيبة الحسنة<sup>(٢)</sup>، فقد جعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح<sup>(٣)</sup> وهذا طابع السنة التاريخية في جريان الأمور بتحديدتها بضوابط ومنها ضابطة الحياء التي تعمل على ستر عيوب الناس كلما أخذ الإنسان بها والإمام (عليه السلام) مثلما هي عادته ووظيفته ودوره حث على ذلك من أجل بناء الإنسان وتربية المجتمع على طريق الفكر السليم.

فضلاً عن ما تقدم فإن الإمام (عليه السلام) استخدم الأسلوب التعبوي والتشجيعي في طرح بعض السنن التاريخية وغالبا ما كان يتكلم (عليه السلام) بهذا الأسلوب في طرح سنة النصر والتمكين التاريخية فهي تتعلق بالمواجهات والحروب لذلك كان استخدام الأسلوب التعبوي في ليلة معركة صفين عندما

(١) نهج البلاغة، ص ٥٠٨. بالإضافة إلى الحياء بعد العلم أيضاً ضابطة لستر العيوب كما ورد عن الإمام (عليه السلام) في قوله: ((من كساه العلم ثوبه، اختفى عن الناس عيبه)) (ابن شعبة الحاراني، تحف العقول، ص ٢١٥)، وكذلك العقل كما قال (عليه السلام): ((غطاء العيوب العقل)) (الامدي، غرر الحكم، ص ٢٠٧).

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٣٨٠.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩/ ٤٥. وينظر: الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة،

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

قال لأصحابه: ((فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ ﴿١﴾ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهِ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَعْمَالُكُمْ ﴿٢﴾)) (١) إذ أمرهم بأسلوب تعبوي بالصمود وصد العدو من أجل الحق حتى ينتصروا لأنهم أصحاب الحق الذين يقاتلون من أجل الله وفي سبيل الله والله معهم ما داموا معه وهو الذي ينزل عليهم النصر ولن ينقصهم شيئاً من ثواب وجزاء أعمالهم (٣) فقد استخدم أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الأسلوب من أجل:

١- رفع الروح المعنوية (٤) لدى المقاتلين لأن الجانب المعنوي مهم جداً في أوقات الحروب لذلك عمل (عليه السلام) على هذا الجانب من أجل تغذية المقاتلين بالثقة والاستعداد لخوض الحرب.

٢- تسكين النفوس وبث الاطمئنان في قلوب المقاتلين بالبشارة لهم في تحقيق النصر الإلهي (٥) لأنهم يقاتلون من أجل الحق وفي سبيل الله.

(١) محمد / ٣٥.

(٢) نهج البلاغة، ص ٩٧.

(٣) الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ٢٩٣؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٧٥؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٥/ ٢٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ١/ ٤٠١.

(٤) مبدأ الروح المعنوية من مبادئ الحرب القديمة إذ ادخل الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) هذا المبدأ في الحرب من خلال أساليبه المحكمة في التعامل بهذا المبدأ والتي ظهر أنها أساليب غاية في الدقة وأنها سبقت المارشال (مونتجمري) وجميع القادة الأوربيين الذين أخذوها من المسلمين وجاء بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) الإمام علي (عليه السلام) بالاهتمام بالروح المعنوية والحث عليها والتثقيف لها بعدة أساليب وعوامل. ينظر: حميد سراج جابر، الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ص ٤٩-٦٥؛ شكري ناصر عبد الحسن، الإمام علي (عليه السلام) دراسة في فكرة العسكري، ص ١١٧-٢٠١.

(٥) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٧٩.

والتعبئة لم تقتصر على ذكر السنن التاريخية فقط وإنما ذكر الحوادث التاريخية التي انزل الله فيها النصر على المسلمين وطبقت فيه سنة التمكين التاريخية بعد أن توافرت أسباب النصر إذا نجد الإمام علياً (عليه السلام) يذكرهم بأصحاب الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) في معارك صدر الإسلام وكيف ثبت الإسلام وقام بجهود هؤلاء الأصحاب وثباتهم، إذ يقول (عليه السلام) لأصحابه في معركة صفين كما اسلفنا: ((لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيَابًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقْمِ وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْأَمِّ وَجِدًّا فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا، فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بَعْدُوْنَا الْكَبْتَ وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ حَتَّى اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ))<sup>(١)</sup>.

في هذا المقام نجد أن التعبئة والحث على القتال والثبات وذكر جريان سنة الله عليهم بالنصر والتمكين هي بسبب توافر المسببات فيهم وربما يظهر أن ما قاله الشارح البحراني بهذا الصدد يتعد عن المعنى الأساس والهدف المبتغى من أن كلام الإمام (عليه السلام) هو في توبيخ<sup>(٢)</sup> أصحابه على ترك الحرب والتقصير فيه إذ ذكره ليبين للسامعين تقصيرهم بالنسبة إلى ما كان أولئك عليه في جهادهم

(١) نهج البلاغة، ص ٩١.

(٢) وما تجدر الإشارة إليه هنا إن عدد خطب التوبيخ التي وردت في كلام الإمام (عليه السلام) كثيرة جداً، إذ كانت معظم خطبه فيها الجانب التوبيخي وكان يوبخ أصحابه لتخاذلهم عن الجهاد ويوبخ عماله لتقصيرهم في العمل ويوبخ البخلاء بالمال والنفس وتوبيخ الخارجين عليه لأن التوبيخ وسيلة وأسلوب للوصول إلى الهدف من الكلام. ينظر: نهج البلاغة، ص ٧٧ و٩٨ و١٧٤.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(١)</sup>، إلا أن الكلام هنا كان في معرض التعبئة والحث وليس التوبيخ لأن أمير المؤمنين (عليه السلام) ذكرهم بأصحاب الرسول كيف كانوا وكيف نزلت فيهم سنة الله من النصر والتمكين فهو حث وتشجيع حتى يصبحوا مثل أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) لكي تجري عليهم السنة التاريخية، وليس شرطاً أن يكون التذكير بالقدوة الحسنة والرمزية الهادفة دليل على التقصير من طرف من الأطراف وهو أمر لا ينبغي تخلف أصحاب الإمام علي (عليه السلام) معنوياً ومادياً عن اللحاق به، إلا أن استخدام الأسلوب هو جزء من استراتيجية مدروسة للإمام عليه السلام.

ولعل ما يؤيد هذا الطرح الذي ذكرناه ما رأيناه من الشارح عباس الموسوي إذ قال: إن الإمام (عليه السلام) يريد من خلال الكلام أن يثبتهم على الجهاد ويدفعهم إلى القتال وشرح واقع المسلمين الذين عاشوا مع النبي حيث يذكرهم الإمام بهذا المشهد الحي ثم يبين كيف أنزل الله النصر على المسلمين<sup>(٢)</sup>، لهذا كان أمير المؤمنين يستخدم الأسلوب التعبوي من أجل رفع الهمم وشد العزيمة لدى المقاتلين في المعارك عن طريق طرح السنن التاريخية الثابتة المستمرة.

ويمكن لنا أن نجمع الرأيين معاً برأي يتضمن جمع أسلوب التوبيخ والتعبئة ويمكن أن يكون الإمام (عليه السلام) قد ذكرهم بأصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) ليوبخهم على تخاذلهم ومن ثم فهي تعبئة لهم واستنفار لتغيير واقعهم المادي والمعنوي والاندفاع في المعركة.

(١) شرح نهج البلاغة، ٢/ ١٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ١/ ٣٦٦.

## المبحث الثاني

### الآليات والأساليب الترهيبية

#### الأساليب الترهيبية:

استخدم الإمام علي (عليه السلام) عدة آليات وأساليب في طرح السنة التاريخية من أجل إيصال ما يهدف إليه إلى الناس والمجتمع ومنها الأساليب الترهيبية التي أراد من خلالها تخويف الناس وابعادهم عن الفعل والعمل الذي يطرحه بأسلوب التحذير أو النهي أو التنبيه أو غيرها من الأساليب الترهيبية التي تتلائم مع تلك السنن التي تطرح بهذا الأسلوب طلباً للموعظة والاعتبار ببيان الآثار السلبية التي تعقب العمل بهذه السنن أو التي تعقب تحدي تلك السنن أو اهمالها ومن أهم الأساليب الترهيبية التي استعملها الإمام علي (عليه السلام) هي:

#### أولاً: أسلوب التحذير.

التحذير هو تنبيه المخاطب على أمر مكروه أو مذموم ليتجنبه أو يتوقى منه ببيان مساوئه وأضراره<sup>(١)</sup>، لذا عمل الإمام علي (عليه السلام) على طرح بعض السنن التاريخية بأسلوب تحذيري من أجل إيصال ما يهدف إليه إلى المتلقي على أساس بيان محاسن ومساوئ تلك السنة أو الضابطة المحددة لجريانها بما يتناسب مع فهم السامع من أجل زيادة درجة تعاطيهم معها ومن ثم تسخيرها وبناء حياتهم وفقاً لها.

---

(١) الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ٣/ ٢٧٨.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

فمن المواضع التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) محذراً الإنسان منها بوصفها سنة تاريخية ثابتة تجري على الجميع هي سنة الاستدراج، فقد حذر منها ومن توالي النعم على الإنسان في حالة العصيان وارتكاب الفواحش وجاء ذلك التحذير بصورة مباشرة حينما قال (عليه السلام): ((يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعْمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ))<sup>(١)</sup> فهو تحذير من معصية الله، لأنه إذا تواترت نعم الله على عبده من صحّة البدن وكثرة المال والأولاد واستقامة الأحوال، وذلك العبد يعصي ربّه، كان استحقاقه للعقاب أو كد لما روى أنّ الله يقول يا بن آدم خيري عليك نازل وشركي إليّ صاعد وأتجّيب إليك بالنعم وتممّت إليّ بالمعاصي<sup>(٢)</sup>، فالتحذير هنا حتى لا تتضاعف عليه العقوبة ويستدرج بحكم السنن التاريخية أولاً ومن أجل الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وعدم الاستمرار بالمعاصي حتى لا تتحول هذه النعمة إلى نقمة ثانياً، وللعمل على تثقيف الناس من خلال التحذير على فضيلتي الصبر والشكر ثالثاً.

وكذلك استخدم الإمام علي (عليه السلام) أسلوب التنبيه والتحذير من مصارعة الحق والوقوف ضده لأن ذلك سبب رئيس في جريان سنة الله في هلاك الأمم كما مر الكلام عنها، إذ طرحه بالتحذير وبيان النتيجة السلبية التي تصدر عنها كما جاء في قوله (عليه السلام): ((مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعه))<sup>(٣)</sup> يعني من رد الحق عن مجراه وممضاه وكابر في نفوذه وعزم على رده من جهة نفسه ذل ورجع صاغراً إليه وكان بمنزله من صرع لجنه فلا يستطيع حيلة<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة، ص ٤٧٢.

(٢) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ٧٩٦/٢. وينظر: حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ٤٢/٢١.

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٤٨.

(٤) الحسيني، ديباج الوضي، ٣٠٢٨/٦.

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

إن النتيجة ستكون حتميه والهلاك لا محاله لذلك حذر الإمام (عليه السلام) من مصارعة الحق لأنَّ هناك الكثير من الأمم والأقوام التي وقفت بوجه الحق وكانت نهايتهم الهلاك والفناء ومنها قصص الأمم السابقة التي كذبت الأنبياء والرسل المتفقين على كلمة الحق<sup>(١)</sup>، فهذه القصص هي تطبيقات لتلك السنن وفيها عبرة كبيرة للأجيال القادمة لأنَّ ثبات الحكم وجريانه على الجميع بحكم القواعد التاريخية الحاكمة في سير عملية التاريخ.

أيضاً الحق لا يهلك من يقف ضده فقط بل حتى من يمنعه أو ينحرف عن طريقه فقد قال محذراً ومخوفاً الأمراء والقادة: ((فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ))<sup>(٢)</sup> أي منعوا الناس الحق فاشترى الناس الحق منهم بالرشا والأموال<sup>(٣)</sup> وجعلوا تصرفاتهم معهم بالباطل فاقتدوه<sup>(٤)</sup>، فقد بينَّ أن هلاك الأمم السابقة كان لانحرافهم عن الحق وأخذهم طريق الضلال وذكره، لأنَّ القادة والحكام وولاة الأمر منعوا الناس الحق الذي لهم فاشترى حقهم بالباطل لأنهم يريدون حقهم وحملوهم على الباطل من ظلم

(١) ومن الآيات التي دلت على هلاك الأمم بسبب تكذيبهم للرسل أصحاب كلمة الحق قوله تعالى: ((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ)) (ص/ ١٢-١٤) وقوله تعالى: ((كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَتَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ)) (ق/ ١٢-١٤). وينظر أكثر عن تكذيب الأمم للأنبياء والرسل وعقوباتها في الأمم السابقة: حميد سراج، أحمد فاضل، فلسفة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الإصلاحية في تشخيص أسباب سقوط الحضارات، ص ٥٨-٧٤ و ١٥٨-١٨٢.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٦٧.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٧/ ١٨.

(٤) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٣٧.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

الناس والجور عليهم<sup>(١)</sup>، لذا كان تحذير الإمام علي (عليه السلام) من الانحراف والابتعاد عن الحق لأن نتيجة ذلك الابتعاد ستكون الهلاك طبقاً لجريان السنن التاريخية التي لا تحابي احداً بل تشمل جميع من ينحرف أو يقف أمام مسار الحق. ومن الشواهد التاريخية على ذلك من الذين هلكوا بسبب معاداتهم للحق هم بنو أمية إذ صار عوا علياً وأولاده (عليهم السلام) مدة ثمانين سنة<sup>(٢)</sup> ولكن محاربتهم لعلي (عليه السلام) كانت سبباً في تعجيل هلاكهم وبقاء فضائل علي (عليه السلام) كالقبلة المنصوبة في الشهرة، وكالسنن المحفوظة في الكثرة<sup>(٣)</sup> لأن

(١) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢٠١/٥.

(٢) استخدم بنو أمية العديد من الوسائل في محاربة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومنها سب الإمام علي (عليه السلام) على المنابر والمآذن، فقد قال الشيخ الأميني في ذلك: ((إنه كان في أيام بني أمية أكثر من سبعين ألف منبر يلعن عليها علي بن أبي طالب بما سنه لهم معاوية من ذلك)) (الأميني، الغدير، ١٠٢/٢) وقال ياقوت الحموي أيضاً: ((لعن علي بن أبي طالب (عليه السلام) على منابر الشرق والغرب)) (معجم البلدان، ١٩/٣) وكذلك أسلوب الحرب والقتل التي شنّها بنو أمية على أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، إذ بدأها معاوية بحرب الإمام (عليه السلام) في معركة صفين سنة (٣٧هـ)، وبعدها جاء يزيد بن معاوية ليواصل الحرب على أهل البيت بقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأبنائه وأصحابه في فاجعة كربلاء في العاشر من محرم (٦١هـ)، استمر العداة الأموي بقمع الثورات وقتل أبناء الأئمة وأصحابهم، فقد قتل هشام بن عبد الملك زيد بن الإمام زين العابدين سنة (١٢١هـ)، فضلاً عن ذلك استخدم بنو أمية أسلوب وضع الروايات والأخبار القبيحة عن الإمام علي (عليه السلام) التي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وهكذا تواصل العداة الأموي لأهل البيت (عليهم السلام) حتى سقوط دولتهم على يد العباسيين سنة (١٢٣هـ). ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٤٠/٢ - ٤٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٠-٣٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥/٢٤٢؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦٣/٤.

(٣) ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣/٢٢٤.

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

أمير المؤمنين (عليه السلام) مع الحق كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):  
(علي مع الحق والحق مع علي))<sup>(١)</sup>.

وكذلك لم ينس الإمام علي (عليه السلام) ذكر الدنيا والتحذير منها وعدم الاغترار بها لأنها محكومة بقواعد وقوانين ثابتة تجري بهم أينما كانوا لذلك حذرهم منه بذكر السنن التاريخية التي تحكم جريان عملية التاريخ فقد قال (عليه السلام) في ذلك: ((فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنِ وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرْنٍ))<sup>(٢)</sup> إذ أكد أمير المؤمنين (عليه السلام) هنا على التخويف بالتحذير من الدنيا وعلل ذلك التحذير بكون الدنيا ماضية على سنن أي على طريقة واحدة لا يختلف حكمها فكما كان من شأنها أن أهلك القرون الماضية وفعلت بهم وبآثارهم ما فعلت وصيرتهم إلى الأحوال التي عدّناها فكذلك فعلها بكم<sup>(٣)</sup>، فقد قام تحذير الإمام (عليه السلام) على أركان عدة أهمها بيان السنن التاريخية الحاكمة وطرحها للناس للاتعاظ والاعتبار بها أولاً، وذكر الشواهد التاريخية على تطبيق تلك السنن في الأمم السالفة ثانياً.

فقد جاء تحذيرهم مما سيقع بهم كما وقع في الذين قبلهم من أجل الاتعاظ والاعتبار، إذ أشار بصورة صريحة إلى مسألة الاعتبار بالماضين بقوله: ((أَوْلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الْأَوَّلِينَ مُرْدَجَرٌّ وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ))<sup>(٤)</sup> إذ ان ما وقع في آباءهم هو واقع فيهم بحكم الثبات الذي تطبقه السنة التاريخية لذلك

(١) الصدوق، الامالي، ١٥٠؛ الخزاز القمي، كفاية الأثر، ٢٠؛ الطبرسي، الاحتجاج، ١/٩٧

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٨١.

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٢٠٧، وينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٧/٢٠٧؛ حبيب الله

الحوثي، منهاج البراعة، ١١/١٩٦.

(٤) نهج البلاغة، ص ١٤٥.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

كان التحذير من الدنيا وأخذ العبرة والانزجار هو الارتداع عن ما حرم الله<sup>(١)</sup>، لأنَّ الدنيا دار زوالٍ وعلى الإنسان عدم الانجذاب إليها والسير نحوها لأنها طريق مظلم يؤدي إلى التهلكة ومن هنا كان تحذير الإمام (عليه السلام) منها لأنَّ المصير واحد لا يتغير.

ثم ذكر الإمام (عليه السلام) مساوئ الدنيا منفراً فيها بذكر السنن التاريخية التي تجري فيها وهي عبارة عن قوانين حاكمة لها، فقد كان ذم الدنيا من اهم ملامح هذا التحذير لغرض التنفير عنها كما جاء في قوله (عليه السلام): ((دَارُ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا وَلَا يَسْلَمُ نَزَاهُهَا أَحْوَالٌ مَحْتَلِفَةٌ وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالْأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَعْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلٍ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا وَأَعْمَرَ دِيَارًا وَأَبْعَدَ آثَارًا))<sup>(٢)</sup>.

لقد حذر من الدنيا لوجود البلاء فيها كسنة تاريخية ثابتة مطردة، فالبلاء يحيط بالدنيا من كل جانب<sup>(٣)</sup> وإن ملازمة البلاء للدنيا والمحن التي تصيب الإنسان فيها جعل أمير المؤمنين (عليه السلام) يحذر منها ويزهد فيها بالنسبة للإنسان المؤمن لأنها سجن المؤمن كما قال النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه

(١) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ١٢٢؛ التميمي، صفوة شروح نهج البلاغة، ص ٢٤٦.

(٢) نهج البلاغة، ص ٣٤٨.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١١/ ٢٥٧. وينظر: الراوندي، منهاج البراعة، ٢/ ٣٢٢؛

الحسيني، ديباج الوضي، ٤/ ١٨٢٢؛ مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ٣٢٣؛ حبيب الله الخوئي،

منهاج البراعة، ١٤/ ٣٢٣؛ التميمي صفوة شروح نهج البلاغة، ص ٥٦٢.

وآله): ((الدينا سجن المؤمن وجنة الكافر))<sup>(١)</sup>.

والملاحظ تعدد الصور التي حذر فيها الإمام علي (عليه السلام) من الدنيا بل وتنوعها واختلافها، فقد ذكر الإمام (عليه السلام) في مقام التحذير وصفاً آخر للدنيا متمثلاً بسنة التداول التاريخية فالدينا لا تدوم ولا تبقى، فالإنسان يتوهم دوامها عليه في حقه من أحوالها المعجبة له كالمال والصحة والشباب فكأنه في مدة بقاء تلك الأحوال عليه قد أخذ منها عهداً فكان التغيير العارض لها المستلزم لزوال تلك الأحوال عنه<sup>(٢)</sup>، فهي تغدر بزني الجاه وذي المال وذي السلطان فتزله عن رتبهم، وتجعل غيرهم مكانهم ولا تستمر على حالة واحدة، بل تتقلب من حال إلى حال وتشمل كل من نزل بها<sup>(٣)</sup>.

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) بتلك الصورة بل نجده يحذر من توافر الأسباب لجريان سنة التداول الإلهية التاريخية وعدم استمرار أحوال الدنيا كلها لك وإنما متقلبة، فمثل ما تعطيك تأخذ منك ويوما لك ويوما عليك كما قال الإمام علي (عليه السلام) في توبيخه لمعاوية محذراً إياه من الدنيا: ((فَإِنَّكَ لَسَتَ بِسَابِقِ أَجْلِكَ وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ دَوْلٍ فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ))<sup>(٤)</sup>. ومعنى ذلك أن الدهر لا ينفك عن ذلك وأن حكمه جار

(١) ابن حنبل، مسند أحمد، ٢/٣٢٣؛ مسلم، صحيح مسلم، ٨/٢١٠؛ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ٨/١٣٧٨؛ الترمذي، سنن الترمذي، ٣/٣٨٥.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٩١. وينظر: حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ١٤/٣٢٥.

(٣) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/٣٨٨. وينظر: حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة،

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

على هذه الحالة واليوم الذي يكون عليه هو ما يلحقه من الضرر والبؤس واليوم الذي له هو ما يلحقه فيه من النعماء والخير وأن أحوال الدنيا متداولة بين الخلق والامور متعاقبة<sup>(١)</sup> إذ نبه معاوية إلى زوال حكمه وما يملكه وانتقاله إلى غيره وعدم استمراره بحكم هذا القانون التاريخي الثابت وهو المداولة بين الناس وما حصل مع معاوية وبني أمية<sup>(٢)</sup> خير شاهد على جريان تلك السنة وانتقال الحكم إلى العباسيين.

وبعد أن ذكر الإمام علي (عليه السلام) صفات الدنيا بأسلوب التحذير بيّن أن الإنسان لم يؤمر بالسعي لها وإنما خلق الآخرة وهي الحياة الباقية التي لا تزول وأمرنا الله تعالى بالعمل لأجلها ولأجل من فيها، فقد أكد (عليه السلام) على ذلك التحذير من الدنيا في رسالة إلى معاوية<sup>(٣)</sup> بقوله: ((وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا وَلَا

(١) التستري، بهج الصباغة، ٥/ ٢٧٠١.

(٢) فقد تجري سنة التداول على وفق سنن العدل الإلهية، فلا تسقط دولة أو حضارة إلا وفقدت اهليتها الحضارية وكانت هناك أسباب عديدة لسقوط دولة بني أمية، من أهمها الابتعاد عن تطبيق الدين الإسلامي وشرائعه وانتشار الظلم والفساد في الدولة، وانغماسهم في الشهوات والترف وحياة البذخ وخاصة في عهد يزيد بن معاوية، كذلك التعصب ادى دورًا في سقوط دولة بني أمية وإشعال الفتنة بين المسلمين، بالإضافة إلى الثورات العديدة التي حدثت ومن أبرزها ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) عام (٦١هـ) وثورة زيد بن علي بن الحسين (١٢٢هـ). ينظر: يعقوبي، تاريخ يعقوبي، ٢/ ٢٤٤؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٥/ ٤٩٧؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٢٢٨.

(٣) كانت هناك الكثير من الرسائل بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية فقد ذكرت في نهج البلاغة أكثر من (١٥) رسالة في مختلف المواضيع وكانت بعضها جوابًا على رسائل معاوية، وقد كان الإمام (عليه السلام) فيها يوبخ معاوية ويحذره من الدنيا الزائلة ويذكره بالظلم الذي ارتكبه بحقه والفتنة التي افتعلها في صفوف المسلمين، كذلك لم يغيب جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن رسائل الإمام (عليه السلام) على رغم من العداء بينهم. ينظر: نهج البلاغة، ص ٣٦٦ و٣٦٧ و٣٦٨ و٣٦٩ و٢٧٤ و٣٨٥ و٣٩١ و٤٠٦ و٤١٠ و٤٢٣ و٤٤٦ و٤٥٤ و٤٥٥.

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمْرًا وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِئُبْتَلِيَ بِهَا وَقَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي<sup>(١)</sup>) فتحذير الإمام (عليه السلام) هنا واضح من عدم الركون إلى الدنيا لأنها دار اختبار وامتحان ليعلم المطيع من العصاة فقد أشار إلى غرض الدنيا وغايتها ليتنبه لذلك ويعمل له<sup>(٢)</sup>.

إن ابتلاءه (عليه السلام) بمعاوية بأن يجاربه على مخالفته للإمام وعصيانه لله وطلبه للفساد بالأرض، وابتلاء معاوية بالإمام (عليه السلام) أن يطيعه ولا يخرج عن أمره كما ابتلى إبليس بآدم<sup>(٣)</sup> وهنا يظهر الجانب الإنساني والإرشادي للإمام علي (عليه السلام) حتى مع اعدائه ومبغضيه من خلال طرح السنن التاريخية، بل إن منطق الإمام هو جزء من المرحلة في مقابلة الإمام (عليه السلام) للشرك والمرور بتدرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن صور الأسلوب الترهيبية هو تحذير الإمام علي (عليه السلام) من سنة الله في هلاك الأمم والأفراد الذي يجري على جميع الأفراد والأمم كبقية السنن التي ذكرناها سابقاً<sup>(٤)</sup>، فقد حذر (عليه السلام) من أهم أسباب جريان هذه السنة وهو التكبر والجبروت والتشبه بالخالق<sup>(٥)</sup> لأن العقوبة الإلهية ستكون كبيرة لأن المتكبرين لا يمثلون سوى ذرات في مقابل العظمة الإلهية، فهو القادر على

(١) نهج البلاغة، ص ٤٤٦.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ١٩١/٥.

(٣) الحسيني، ديباج الوضي، ٢٦١٧/٥.

(٤) ينظر في الفصل الثاني (فصل الأنواع)

(٥) للمزيد والتفصيل عن هذه الأسباب ينظر: بابا سيلا، أسباب هلاك الأمم السالفة، ص ١٥٥-١٨٦؛

حميد سراج جابر، أحمد فاضل، فلسفة ائمة أهل البيت الإصلاحية في تشخيص أسباب سقوط

الحضارات، ص ١٣٩-١٤١.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

كل شيء ولا يمكن لأحد التشبّه به وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في وصيته الشهيرة إلى الأشر النخعي إذ قال (عليه السلام): ((إِيَّاكَ وَمُسَامَاةٌ<sup>(١)</sup>) اللَّهُ فِي عَظَمَتِهِ وَالتَّشَبُّهُ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهَيِّنُ كُلَّ مُخْتَالٍ أَنْصَفِ اللَّهُ وَأَنْصَفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ))<sup>(٢)</sup> فهو تحذير من أن تتردى بالكبرياء فإنها رداء الله<sup>(٣)</sup> ولأن التكبر يستلزم أن يذلّ الله صاحبه ويهينه، فإنك إن تجبرت واختلت يذلّك الله ويهينك وكلّ من كان كذلك فيجب أن يحذر من الله بترك التجبر<sup>(٤)</sup>.

وهذا الطرح هو تحرير للحاكم من الشعور الذي يصيبه بأن السلطة حق مكتسب له ودائم وبذلك يفقد الإحساس بالمسؤولية ويتعد عن أداء حقوق الرعية، لذا يحتاج الحاكم والقائد إلى رادع ومرشد يذكره بعظمة الله فوقه وأنه تعالى صاحب الحكم المطلق الذي لا ينتهي، وأن يعرف الإنسان الحاكم قيمته وكيانه امام عظمة الخالق ولا يتجاوز موقعه، لأنّ العقوبة المترتبة على هذا التكبر هو أن الله سيذله ويهينه ويلقيه في نار جهنم كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((الكبر رداء الله فمن نازع الله شيئاً من ذلك أكبه الله في النار))<sup>(٥)</sup> إذ تجري السنة التاريخية في حال المنازعة الله في قوته وجبروته، كما حدث في قصة قارون وهي

(١) مساماة: مفاعلة من السمو وهو الرفعة. ينظر: الفراهيدي، العين، ٣١٨/٧، ابن منظور؛ لسان

العرب، ٤٠١/١٤؛ الزبيدي، تاج العروس، ٤٥٠/١٩،

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٢٨.

(٣) الراوندي، منهاج البراعة، ١٧٤/٣.

(٤) البحراني، شرح نهج البلاغة، ١٤٣/٥.

(٥) الكليني، الكافي، ٣١٠/٢؛ ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٣١٥؛ الطبرسي، مشكاة الأنوار، ٤٠١.

احدى قصص المتكبرين في القرآن الكريم<sup>(١)</sup>.

وبما أن الظلم سبب من أسباب جريان سنة الله في هلاك الأمم والأفراد، فقد أكد الإمام علي (عليه السلام) أن عقاب الله تعالى سيكون شديداً ومستمرًا على الظالمين عكس ظلمهم الذين يكون فقط في الدنيا، إلا إن عقاب الله في الدنيا والآخرة لا ينقطع عن الظالمين لما فعلوا من ظلمهم للعباد، وذلك في معرض تحذيره من الظلم عندما قال (عليه السلام): ((يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ))<sup>(٢)</sup> إذ كان تحذيره بوعيد الظالم بعقاب في يوم القيامة يوم المجازاة الذي يأخذ حق المظلوم وإنصافه فيه، إذ سيكون العذاب شديداً وكذلك قد يتعجل على الظالم في الدنيا بل لا يخلو الظلم من عقوبة وهلاك في الدنيا قبل العذاب والمجازاة في الآخرة<sup>(٣)</sup>، فلا بد للظالم أن يعاقب سواء كانت العقوبة من الخالق أم من المخلوق على يد ظالم آخر، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): ((ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم))<sup>(٤)</sup> وتكون العقوبة أشد بأساً وتنكيلاً به لأن

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٧٦-٨١﴾ (القصص/ ٧٦-٨١).

(٢) نهج البلاغة، ص ٥١١.

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٣٦٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٤/ ٣٦١.

(٤) الكليني، الكافي، ٢/ ٣٣٤؛ الصدوق، ثواب الأعمال، ٢٧٤؛ المجلسي، روضة المتقين، ٩/ ٣٥٩.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

آثار الظلم لا تزول ويبقى العقاب عليه كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في التحذير من ذلك: ((إياك والظلم فإنه يزول عمن تظلمه ويبقى وزره عليك))<sup>(١)</sup> وبهذه التحذير أراد الإمام علي السلام عدة أمور منها:

١- منع الناس من الظلم وإشاعة ثقافة السلم بين أفراد المجتمع عن طريق طرح تلك السنة العقابية وتخويفهم منها.

٢- حتمية معاقبة الظالم بعقاب شديد ودائم من قبل الله عز وجل.

٣- إنصاف المظلوم ببيان أخذ حقه من الظالم وأن يطمئن ويصبر، لأنَّ حقه لا يضيع عند الله سبحانه وتعالى، إذ أن نصرة المظلوم حق محتوم.

وقد اتضحت صورة الأسلوب الترهيبى الهادف فيما طرحه الإمام علي (عليه السلام) محذراً من الاستهانة بأمور الدين وعدم الالتزام بها وتركها، لأنَّ الأثر سيكون سلبياً والنتيجة ستكون مضاعفة الأضرار لذلك طرحها (عليه السلام) بأسلوب التحذير بقوله (عليه السلام): ((لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُوَ أَضْرُّ مِنْهُ))<sup>(٢)</sup> فقد يترك الإنسان الجهاد للحفاظ على حياته ودنياه فإذا به يعيش الذل والهوان ويموت وهو يتحرك وقد يقضي الظالمون على حياته في آخر الأمر<sup>(٣)</sup>، فهذه حقيقة لا يمكن لأحد أن ينكرها، فالكثير من الأمم أصابها الهلاك والبلاء لأنهم تركوا أمر الدين وابتعدوا عنه، وأوضح مثال لهذه الحقيقة المسلمون في هذا العصر إذ تركوا الجهاد وهو من أقدس واجبات الإسلام وأهمها، تركوه وعاشوا عزلاً من كل سلاح يرهبون به

(١) الليثي الواسطي، عيون المواعظ والحكم، ص ٩٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٨٧.

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٥ / ٢٨٣.

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

الذئاب الضارية والوحوش الكاسرة التي تحيط بهم من كل ناحية، تركوا دينهم وتاريخهم بترك الجهاد واستسلموا للترف والكسل، والكلام الفارغ، فأضاعوا بلادهم، ووأدوا حریتهم وكرامتهم<sup>(١)</sup>، فالتحذير هنا من أمرين: الأول من الدنيا والانشغال بها والركون إليها، والثاني النهي عن ترك سنة الدين وشرائعها لما يخلفه ذلك الأمر من أثر سلبي على الفرد والأمة جميعاً، وإذا ما تذكرنا أن الدين سنة حتمية ثابتة ومطرده أمكن فهم الإمام (عليه السلام) لما سيجره ترك أمور الدين من الفساد المادي والمعنوي وسيادة الهمجية والذلة.

طرح الإمام علي (عليه السلام) الجانب الاستحقاق في تحذيراته، الذي يمثل نتيجة حتمية للسنة التاريخية وهذا ما يفسر لنا قوله (عليه السلام): ((وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ وَكَمَا تَزْرَعُ تُحْصَدُ وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا فَاْمَهْدُ لِقَدَمِكَ وَقَدَّمَ لِيَوْمِكَ فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ وَالْحَدَّ الْحَدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ))<sup>(٢)</sup> وهذا قانون عام شامل تسيير وفقه حياة الإنسان فكما تجازي غيرك تجازى بفعلك وبحسب ما عملت<sup>(٣)</sup>، فتعامل الله معك يكون حسب تعاملك معه فإن عملت بالطاعة والتقوى جزاك الله خيرًا وإن عصيته الله أدخلك النار وجزاك بما فعلت، كذلك الأفعال التي تقوم بها للآخرين تفعل معك سواء كانت إيجابية أم سلبية.

لذا كان تحذير الإمام علي (عليه السلام) من سوء الأعمال والتقصير في العمل إزاء الله سبحانه وتعالى حتى لا يعاقب عليها الإنسان وترجع آثارها عليه كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك: ((وإِنَّمَا الْمُرءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَقَادِمٌ عَلَى مَا

(١) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٢٨٠.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢١٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٩/ ١٦٠. وينظر: حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ٩/ ٢٠٩؛

الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٢/ ٤٩٠.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

قَدَّمَ<sup>(١)</sup>) لأن بين الإنسان وعمله خيرا كان أو شرا ارتباط خاص لا يرجع إلا إليه ولا يجزى إلا به ولا يقدم إلا إليه<sup>(٢)</sup>، فهذه قاعدة كلية كبرى<sup>(٣)</sup> تطبق على جميع الأعمال والأفعال ولا يمكن لأحد التخلف عنها وكل ما تفعله ستعود عليك آثاره بحسب نوع الفعل بالإيجاب أو السلب.

ومن الشواهد التاريخية على ذلك ما حدث مع هارون العباسي إذ أن هارون أرسل إلى يحيى بن خالد وهو في محبسه يقرعه بذنوبه ويقول له: (كيف رأيت ما فعلت بك من خراب دارك وقتل ولدك ونهب أموالك، فقال يحيى سيفعل به كما فعل بي، فلما عاد الرسول إليه بالجواب وجم طويلا وحزن، وقال: والله ليكونن ما قال، فإنه لم يقل لي شيئا قط إلا وكان كما قال)<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة، ص ٢٧٧.

(٢) حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ١٨/٣٤٣. ينظر: الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/١٩٣.

(٣) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤/١٩٤.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩/١٥٢. وكانت للبرامكة مكانه عالية في الدولة العباسية، فقد كان يحيى بن خالد البرمكي مسؤولاً عن تربية هارون، وهو الذي حافظ على حقه في ولاية العهد، الا ان هناك عدة أسباب دفعت هارون للقضاء على البرامكة وقتلهم جميعاً، من تلك الاسباب التي ذكرتها المصادر هو استغلال البرامكة لنفوذهم واقناع هارون بأن يعقد بيعة ولاية العهد لابنه الأكبر عبد الله المأمون بعد ثماني سنوات من بيعة هارون الأولى لابنه الأمين، وكذلك من الأسباب نكبة البرامكة هي علاقة العباسية أخت هارون وجعفر بن يحيى البرمكي الذي كان خليل هارون في مجالسه، وقيل ان أسباب انقلاب هارون على البرامكة بسبب استبادهم على الدولة وأخذهم أموال الجباية والتدخل في أمور الحكم، وقيل إنهم اطلقوا رجلاً من آل أبي طالب كان في أيديهم، هذه الأسباب دفعت هارون بأن يأمر كاتبه بكتابة الرسائل إلى جميع ولاته أمرهم فيها بقطع رؤوس البرامكة وإرسال أموالهم إلى بيت المال وأمر بقطع رأس جعفر بن يحيى في تلك الليلة، كما أمر بإدخال يحيى بن خالد البرمكي إلى السجن ومعه ابنائه وأمر بضرب رؤوسهم في الصباح ومعهم ألف برمكي سنة (١٧٨ هـ). ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك،

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

ومما تقدم يتضح أن أسباب اختيار الإمام علي (عليه السلام) لأسلوب التحذير والغاية منه تكمن فيما يلي:

١- استعمل الإمام (عليه السلام) هذا الأسلوب لإيصال مراده إلى السامعين، لأنه أكثر تأثيراً فيهم بالسنن والمواضيع التي طرحها بهذا الأسلوب، فهو يترك أثراً في نفس المخاطب، لأنه خير رادع للإنسان عن الاعراض عن ضوابط السنن أو تحديها.

٢- اتضح أن تحذير يمثل النصيحة وتنبية المخاطب بالابتعاد عن ما يوجب هلاكه بواسطة السنن التاريخية وهذه الأمر يدخل ضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- غاية التحذير من عدم الأخذ بضوابط السنن التاريخية وتحديها تتمثل في توجيه النفس الإنسانية للعمل بتلك الشروط والضوابط ورعاية تلك السنن لتجنب الوقوع في الهلاك والنهاية.

### ثانياً: أسلوب النهي.

من الأساليب الترهيبية التي اتخذها الإمام علي (عليه السلام) في طرح السنة التاريخية وبيانها هو أسلوب نهى الناس وحثهم على الترك حتى لا يقعوا في التهلكة ولا تجري العقوبة عليهم، والنهي خلاف الأمر<sup>(١)</sup> فمثلاً نجده قد نهى الناس عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهذا السبب وذلك حينما قال (عليه السلام): ((لَا تُتْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْ

٦ / ٤٨٤ - ٤٨٤؛ المسعودي، مروج الذهب، ٣ / ٣٦٨؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، ٣ / ٥٣٢.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٥ / ٣٤٣.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

شَرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))<sup>(١)</sup> وقد نَفَّرَ عن ذلك الترك بما يستلزمه ويعدّ له من تويّي الأشرار عليهم وعدم استجابة دعاء الداعين منهم، لأن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلّة المعروف من طباع الأشرار ويعدّ لاستيلائها وغلبتها وولاية أهلها وذلك يستلزم كثرة الشرّ والأشرار وقلّة الصالحين وضعف همهم عن استئزال رحمة الله تعالى بأدعيتهم فيدعون فلا يستجاب لهم<sup>(٢)</sup>.

لقد نهاهم أمير المؤمنين عن ترك ذلك لأن التواني والتسامح فيهما يولد سيطرة الأشرار عليهم وقيام حكومة ظالمة طاغية، لأن أحد المصاديق المهمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تتمثل في التصدي لقوى السلطة والحكومة فيما لو ارتكبوا مخالفات شرعية ودستورية ولو ترك الناس هذين الأمرين لوجد الحكام انفسهم احرازًا وتوغلوا في خط الانحراف والظلم، فهناك علاقة منطقية بين حكومة الأشرار وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٣)</sup>.

وهذه العلاقة المنطقية حتمية تنطبق على جميع الأمم وجاء التأكيد عليها من قبل الرسول محمد وأئمة أهل البيت (عليهم السلام)<sup>(٤)</sup>، إذ قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في ذلك: ((كما تكونوا يولى عليكم))<sup>(٥)</sup> وهذا قانون تاريخي ثابت

(١) نهج البلاغة، ص ٤٢٢.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٢٢. وينظر: شبر، نخبة الشرحين، ٤/ ١٦٩٥.

(٣) مكارم شيرازي، نفحات الولاية، ١٠/ ٢٢٢.

(٤) قال الإمام الكاظم (عليه السلام): ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)) ينظر: الكليني، الكافي، ٥/ ٥٦؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ٦/ ١٧٦؛ العلامة الحلي، تحرير الأحكام، ٢/ ٢٣٩؛ الجرجاني، شرح المواقف، ٨/ ٣٧٥.

(٥) البيهقي، شعب الإيثار، ٦/ ٢٣؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ٦/ ٨٩؛ الأنصاري، مغنى اللبيب،

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

يجري على الأمم والأفراد، فعندما تكون الأمة متفككة لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر وليس لديها رأي ولا قضية تدافع عنها ولا تعمل من أجل مصلحتها عندئذ يولى الأشرار عليها، على العكس تمامًا عندما تكون الأمة واعية وقوية مؤدية واجباتها وعارفة بحقوقها تختار من يمثلها وبذلك تكون حكومتها صالحة تعمل لخدمة الأمة، إذ ان هناك العديد من الأقوام تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نزل بهم البلاء والمصائب، ومن هنا قال النبي محمد (صلى الله عليه وآله): ((ان الأحرار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم، ثم عموا بالبلاء))<sup>(١)</sup>.

وهذه الشواهد التاريخية تؤكد سريان السنة التاريخية على جميع الأمم والأفراد، لأن حكم الله واحد بالنسبة لجميع البشر ولا يخص النصارى واليهود فقط، لذا نجد الإمام عليًا (عليه السلام) نهى عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يحكمهم الأشرار وكذلك لا يستجاب دعاؤهم، لأن الدعاء يحتاج إلى عمل كما اسلفنا في الكلام عن ضابطة الدعاء<sup>(٢)</sup>، وفضلاً عن ذلك حتى لا تحل عليهم اللعنة الإلهية كما فعلت بالأمم السابقة فقد قال الإمام علي (عليه السلام) في هذا الشأن: ((فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنْ<sup>(٣)</sup> الْقَرْنَ الْمَاضِي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لَتَرَكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ))<sup>(٤)</sup> إذ بين أمير المؤمنين (عليه السلام) سبب

٢/ ٦٩٧؛ السيوطي، الجامع الكبير ٢/ ٢٩٤؛ الفتني، تذكرة الموضوعات، ص ١٨٢.

(١) الأشتري، تنبيه الخواطر، ص ٥٥٨؛ الذهبي، الكبائر، ص ١١١.

(٢) ينظر في الفصل الثاني (مبحث المحددات).

(٣) اللعن: الطرد. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ٨٥٩؛ ابن منظور، لسان العرب، ٤/ ٣٨٧؛

الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ٤/ ٢٦٧.

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٩٩. وينظر عن أثر هذا الترك في عقوبات الأمم القديمة: حميد سراج جابر،

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

هلاك الأقسام السابقة وهم بنو إسرائيل (القرن الماضي)<sup>(١)</sup> لارتكابهم للمعاصي وامتناعهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكان ينزل عليهم اللعن، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يخلي الأمة من الانحرافات السلوكية والروحية لذلك تركهما يحدث العكس ويولى الاشرار وتكون النتائج وخيمة، هذا عمل السنة التاريخية بثبات الحكم على من يتقاعس عن العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن القانون التاريخي يترك أثراً إيجابياً بالعمل وسلبياً بالترك.

كذلك الأمر ينطبق على ترك الحق والتخلي عنه وتشجيع الباطل، إذ يترتب عليه النتائج نفسها من توطين الاشرار والطغاة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَمْ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَتَاهَ بَنِي

---

أحمد فاضل، فلسفة ائمة اعل البيت (عليهم السلام) الإصلاحية في تشخيص أسباب سقوط الحضارات، ص ٤٠-٤٤.

(١) ينظر: الحسيني، ديباج الوضي، ٤/٢٠٤٥؛ البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٢٩٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ١٢/١٥؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/٢٢١؛ مكارم شيرازي، نفحات الولاية، ٧/٣٦٨؛ شبر، نخبة الشرحين، ٤/١٤٢١.

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

إِسْرَائِيلَ<sup>(١)</sup>)<sup>(٢)</sup> وهنا بين الإمام (عليه السلام) سبب الطمع وقيام الباطل وهو معاوية وأصحابه، وذلك السبب هو تخاذلهم عن نصره الحق وتقاؤهم عن إضعاف الباطل<sup>(٣)</sup>، وما ذكره الإمام (عليه السلام) في هذه العبارة لا يختص بزمان أو مكان معين بل هو أصل كلي للإعصار والأمصار كافة في ان تنامي الباطل

(١) متاه بني إسرائيل: قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (٢١) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (٢٢) قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٣) قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا حُرْمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة/ ٢١-٢٦)، قال الطبرسي قال المفسرون: لما عبر موسى عليه السلام وبنو إسرائيل البحر وهلك فرعون أمرهم الله سبحانه بدخول الأرض المقدسة فلما نزلوا على نهر الأردن خافوا عن الدخول فبعث من كل سبط رجلا وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَلَّمَكَ اللَّهُ حَتَّى تُدْرِكَ الْوَعْدَ الَّذِي لَكَ بِرَبِّكَ وَأَخَذَ مِنْكَ الْوَعْدَ الْحَدِيثَ وَكَلَّمَكَ اللَّهُ خَوَافًا وَكَلَّمَكَ اللَّهُ لَهْفًا وَرَضَى اللَّهُ لَكَ الْأَرْضَ إِذْ قَالَ لَكَ اللَّهُ لَئِمَّا يَكْفُرُونَ لِيُدْخِلَنَّهُمْ فِي الْوَعْدِ لَئِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْوَعْدَ فَلَا تُخْلِفُوهُ فَأَخَذُوا مِنْكُمْ بَيْعَاتٍ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بَالِئِهَا يَوْمَئِذٍ وَلَكِنَّ الْكُفْرَانَ كَذَبَتْ الْأَعْيُنُ وَأَكْفَرْتُمْ وَاللَّهُ مُبْصِرُ الْكَافِرِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهُ شَهِيدٌ﴾ (آل عمران/ ١٠٤-١٠٩) وقوتهم شيئا عجيبا فرجعوا إلى بني إسرائيل فأخبروا موسى بذلك فأمرهم أن يكتموا فوفي اثنان منهم يوشع بن نون من سبط ابن يامين وقيل إنه كان من سبط يوسف عليه السلام وكالب بن يوحنا من سبط يهودا وعصى العشرة وأخبروا بذلك. وقيل كتّم الخمسة منهم وأظهر الباقون وفشا الخبر في الناس فقالوا إن دخلنا عليهم تكون نساتنا وأهالينا اغنمة لهم، وهموا بالانصراف إلى مصر وهموا بيوشع وكالب وأرادوا أن يرموهما بالحجارة فاغتاظ لذلك موسى وقال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي﴾ فأوحى الله إليه إنهم يتيهون في الأرض أربعين سنة وإنما يخرج منهم من لم يعص الله في ذلك فبقوا في التيه أربعين سنة في ستة عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ وهم ستمائة ألف مقاتل لا تتخرق ثيابهم وتثبت معهم وينزل عليهم المنّ والسلوى. ينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ٣/٣٠٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٤١.

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/٣١٧.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

معلول لضعف الحق ثم شبه تلك الفئة ببني إسرائيل أثار ابتعادهم عن الحق وتيههم أربعين سنة<sup>(١)</sup>.

ومما تقدم يتضح أن الإمام علياً (عليه السلام) ربط سيطرة الباطل الضعيف في ابتعاد الناس عن الحق وتفككهم من حوله وهذا عمل السنن التاريخية ذات الحكم المستمر الذي لا يتغير ولا يتخلف، وقد ذكر بني إسرائيل كشاهد تاريخي لجريان تلك السنة بعد معاداتهم للحق وابتعادهم، وهو إشارة إلى ثبات الحكم عند تشابه الظروف والاحوال، لذا كان النهي والترهيب من التفكك والتخاذل عن نصرة الحق حتى لا تظهر النتائج سلبية.

الأمر نفسه ينطبق على كفران النعم<sup>(٢)</sup> فقد نهى الإمام علي (عليه السلام)

(١) مكارم شيرازي، نفحات الولاية، ٦/ ٢٦٩.

(٢) كفران النعم: من أهم أسباب عقاب الأمم وهلاكها وخرابها هو الكفر بأنعم الله وعدم شكرها، لذا أراد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) التنبيه والتذكير لمن كان غافلاً أو ناسياً وجاهلاً لشكر الله الآئنه ونعمائه لتدوم عليهم هذه النعم وذلك من خلال ذم كفران النعم وتحريمه والإشارة إلى ما يستوجب بقاء النعمة وإدامتها وهو تحصينها بالشكر وإحاطتها على الدوام بالحمد وعدم الكفران، فعن الإمام الرضا عن آبائه عن الإمام علي (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: ((اسرع الذنوب عقوبة كفران النعم)) (الطوسي، الأمالي، ص ٤٥٠؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠/ ٣٤١)، وعن الإمام السجاد (عليه السلام) قال: ((الذنوب التي تغير النعم. . . كفران النعم وعدم الشكر. . .)) (الصدوق، معاني الأخبار، ص ٢٧٠؛ ابن فهد الحلي، عدة الداعي، ص ١٩٩)، وكفران النعم وجودها نجده في قصة قوم سبأ من بلاد اليمن الذين جحدوا وانكروا الآء الله بعد ان وسع عليهم سبحانه من خلال الإعراض عن شكر الله والكفر بها قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ (سبأ/ ١٥-١٦) فقد اخبر الله سبحانه عن ﴿سَبَإٍ﴾ وهي القبيلة من اليمن انه أنعم عليهم بالجتتين وبالبلدة الطيبة، وأمرهم بشكر نعمه ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن ذلك، فلم يشكروه وكفروه وجحدوا نعمه، ولم

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

عن الابتعاد والتشرد من الشكر، لأنَّ الشكر سبب مطرد لزيادة النعم كما في ظاهر الآية الشريفة: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup> لذلك نجد أمير المؤمنين نهى عن ترك الشكر لأنَّ الترك سبب لقلّة النعم وانقطاعها والشكر يعمل على زيادتها إذ قال في ذلك بأسلوب النهي: ((إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النَّعْمِ فَلَا تُنْفَرُوا أَفْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ))<sup>(٢)</sup> ومعناه إذا وقع في يدك طرف من النعمة فاجتهد في تحصيل الطرف الآخر بكثرة الشكر، فإنَّ الشكر يبقّي السابق ويجلب اللاحق<sup>(٣)</sup> وإذا كان وجوده سبباً لوجود النعم وبقائها واتصال أو آخرها بأوائلها كان عدمه أو قلته سبباً عرضياً يكون معه نفارها لا لقصور من مفيضها، فنسبة التنفير إليهم فلاّهم بقلّة شكرهم سبب لنفار النعم<sup>(٤)</sup>، أي أن عدم الشكر يحرم اصحاب النعم منها لأنّه سبب لاستنزال الخيرات الإلهية فقله الشكر يحرم الإنسان من باقي النعم ويذهب ما في ايديه منها لذلك كان أسلوب الإمام علي (عليه السلام) في بيان ذلك هو الترهيب بالنهي عن ترك هذا الفعل الحسن، وما يترتب عليه من تفعيل السنة الإلهية وجريان العقوبات كأثر مترتب على كفران النعم.

---

يقبلوا ممن دعاهم إلى الله من أنبيائه ورسله جازاهم الله على ذلك بأن ارسل عليهم سيل العرم، وسلبهم تلك النعمة وانزل بهم البلية، فالسيل الماء الكثير الذي لا يمكن ضبطه ولا دفعه. ينظر: الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ٨/ ٣٨٧؛ حميد سراج، أحمد فاضل، فلسفة ائمة أهل البيت (عليهم السلام) الإصلاحية في تشخيص أسباب سقوط الحضارات، ص ٧٤-٨٠.

(١) إبراهيم/ ٧.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٧٠.

(٣) عبد الوهاب، شرح كلمات أمير المؤمنين، ص ٦٣.

(٤) البحراني، شرح مئة كلمة، ص ١٨٨.

### ثالثاً: أسلوب الوعظ.

وهو من الأساليب التي استخدمها الإمام علي (عليه السلام) في طرح السنن التاريخية وبيانها، ويعني النصح والتذكير بالعواقب<sup>(١)</sup> إذ أنه (عليه السلام) كان غالباً ما يؤكد على الوعظ والموعظة التي تعد نداءً روحانياً يعلو بالإنسان نحو الكمال ويدعوه إلى ترك ما عليه من سوء وغفلة<sup>(٢)</sup>.

كان الإمام (عليه السلام) يحث على الموعظة حتى بالأسلوب فهو يعمل على تثقيف الناس والمجتمع على الاتعاظ بالسنن الإلهية الجارية حتى قبل ذكر السنن نفسها، إذ أمر بالموعظة والاعتبار بالأمم السابقة وكيف صارت أحوالهم وتطبيق القوانين الإلهية عليهم لكي لا يقع الناس فيما وقع فيه من كان قبلهم إذ قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك: ((فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ<sup>(٣)</sup> السَّوَاطِعِ وَازْدَجِرُوا<sup>(٤)</sup> بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ))<sup>(٥)</sup> إذ حمل الإمام (عليه السلام) مخاطبيه على التأمل بسالف التاريخ وحوادثه التي تنطوي على دروس وعبر بغية توظيفها لما يخدم مصيرهم وعاقبتهم ليتذكروا عظماء التاريخ وكبكرة الملوك السلاطين والثراء العظيم الذي كان عليه الماضون والحياة المرفهة الوادعة ثم كيف اتى الدهر عليها وأحالتها ركاًماً بعد أن أبادهم من آخرهم فلم يبق من قصورهم الشاهقة سوى الأطلال بل لم يبق من أجسامهم سوى العظام

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٨/٤.

(٢) ينظر: مكتبة الروضة الحيدرية، الموعظة في نهج البلاغة، ص ٥.

(٣) قال الشارح الحسيني في ديباج الوضي: ان المقصود بالآي هي النعم على خلاف جميع الشارحين للنهج الذين قالوا انها آثار الله أو الآيات القرآنية. ينظر: ٦٣٠/٢.

(٤) الزجر: النهي والمنع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٤/٣١٨.

(٥) نهج البلاغة، ص ١١٦.

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

النخرة فقد ذهبوا وأكلهم النسيان<sup>(١)</sup> ثم أمرهم بالاعتبار بآيات آثار الله وعجائب مصنوعاته أو آيات القرآن المعذرة والمنذرة وبراهينها الساطعة المشرقة وتحصيل ثمرة الذكر والموعظة عنهما<sup>(٢)</sup>.

لقد أراد الإمام علي (عليه السلام) من هذا الأسلوب الوعظي الذي استخدمه ردع المجتمع وتوعية الناس من خلال التفكير والاعتبار بأحوال الماضين وكيف طبقت عليهم السنن والقوانين الإلهية ومعرفتها عبر الحوادث التاريخية.

ولكن هذه الدروس والعبر الآتية من سالف التاريخ التي تكشف عن القوانين الحاكمة لها لا يمكن الاتعاض بها إن لم يكن هناك استعداد باطني من داخل النفس لتقبل الوعظ، لذا وجه الإمام (عليه السلام) نحو زجر النفس وبنائها بالشكل السليم من خلال الاتعاض بالماضين، إذ قال (عليه السلام) في ذلك الشأن: ((وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعِنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ وَلَا وَعِظٌ))<sup>(٣)</sup> أي من لم يعن الواعظين له والمنذرين على نفسه، ولم يكن معهم قاهرًا لها لم ينتفع بالوعظ والزجر، لأن هوى نفسه يغلب وعظ كل واعظ وزجر كل زاجر<sup>(٤)</sup>.

والوعظ الزاجر من داخل النفس هو العقل السليم أو الضمير الحي أو الوجدان اليقظ الذي يدرك النتائج والعواقب على حقيقتها، ويعرف الحوادث قبل وقوعها مستندا في ذلك إلى ما شاهد ورأى<sup>(٥)</sup>، إذ وجه هنا أمير المؤمنين (عليه

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٦/١١٨؛ مكارم شيرازي، نجات الولاية، ٣/٢٩٨.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٢/٢٦٧؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٦/١١٨.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٢٣.

(٤) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٦/٣٩٧. ينظر: التميمي، صفوة شروح نهج البلاغة، ٢٠٣.

(٥) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/٤٠٦. وينظر: الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/٣٧.

### ... الفصل الثالث: آليات وأساليب طرح السنن التاريخية ...

السلام) إلى زجر النفس ومحاسبتها من قبل الإنسان نفسه لأنه لا يمكن لأي شخص التأثير إن لم يكن لديه استعداد لقبول التغيير.

فالنفس إن لم يكن فيها استعداد لا تقبل أي شيء من المؤثرات الخارجية مهما كانت قوتها، لذا ثقف أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لمحاسبة النفس لكي يكون لديها استعداد لتقبل الرحمة الإلهية كما قال الإمام الباقر (عليه السلام): ((من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فإن مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً))<sup>(١)</sup> أي الحث على محاسبة الشخص لنفسه في كل يوم وكل ساعة وتقبل الآخرين حتى يتعظ ويتم التغيير لديه لأن تغيير النفس أهم من مواعظ الآخرين، وعليه فإن محاسبة النفس أمر ضروري لزجرها وهذا ما أشار إليه الإمام الكاظم (عليه السلام) في قوله: ((ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل خيراً استزاد الله منه وحمد الله عليه وإن عمل شيئاً شراً استغفر الله وتاب إليه))<sup>(٢)</sup> وهذه وصية بوزن الأعمال ومحاسبتها قبل الحساب حتى يكون الفرد من المتقين الواعظين الزاجرين للنفس.

إنَّ المتبوع لطرح الإمام علي (عليه السلام) يجد أنه ذكر القواعد التاريخية نفسها بأسلوب الموعظة، إذ طرح الحياة وما تتضمنه من قوانين وأحكام ثابتة لا تتغير، فهي طريق واضح تسير فيه الأعمار والسنين وكل أحداث الدنيا ولا يمكن لاحد أن يوقفها، إذ قال في ذلك (عليه السلام): ((كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ))<sup>(٣)</sup>، أي أن كل الأشياء المعدودة والمتوقعة هي آتية لا محالة ولا مفر منها وما

(١) ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٢٩٤؛ الأمين، أعيان الشيعة، ١/ ٦٥٧.

(٢) الكوفي، الزهد، ٧٦؛ الكليني، الكافي، ٢/ ٤٥٣؛ الشيخ المفيد، الاختصاص، ص ٢٧؛ ابن طاووس،

فلاح السائل، ص ٢١٢؛ الديلمي، أرشاد القلوب، ١/ ١٨٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٨٠.

## ... المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية ...

يعد ينقص ويفنى، فمثلاً عمر الإنسان معدود بسنين فإذا ذهبت سنة نقص جزء من العمر وما يتوقع ويترقب مجيئه يأتي لا محالة فلا بد للإنسان أن يعمل للآتي ويصرف النظر عن المنقضي<sup>(١)</sup> وهذا الكلام من المشهورات الخطابية في معرض الموعدة<sup>(٢)</sup>.

فقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى حقيقة وقاعدة ثابتة وهي أن كل شيء متوقع يأتي لأن بعلم الله سبحانه وتعالى وحسب قواعد السنن التاريخية، لذا لا يمكن ان يتخلف ما دام هناك قوانين تحكمه وضوابط متوافرة تعمل على جريان تلك السنن التاريخية، ومن هنا كان الأسلوب الوعظي مقدمة حقيقية لربط العمل بالمسببات المنطقية التي تفعل السنة التاريخية بما يخدم الإنسان لأن الأثر إنما ينتج من نوعية الفعل.

(١) الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٢٩٢.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ٢٧٥.



**الفصل الرابع**  
**آثار السنن التاريخية**  
**ومعطياتها**



## المبحث الأول

### آثار جريان السنن التاريخية

إن جريان جميع السنن الإلهية التي تحكم حركة هذا الكون ومنها السنن الطبيعية أو السنن التاريخية كلها تترك آثارًا وعواقب ونتائج مهمة، فمثلًا حركة الشمس والأرض وهو قانون طبيعي له أثره وهو الليل والنهار، وسنة التقاء الذكر والأنثى آثاره التناسل والتكاثر، وهكذا السنن التاريخية أيضًا فجميعها لها آثار ونتائج مهمة على حياة الأفراد والأمم.

وقد تكون نتيجة أو أثر سنة معينة هي مقدمة لبداية وتطبيق سنة أخرى لأن السنن التاريخية مترابطة فيما بينها ارتباطًا ماديًا ومعنويًا<sup>(١)</sup>، فمثلًا الأثر الذي يترتب على سنة الله في الاستدراج يكون مقدمة لتطبيق سنة تاريخية أخرى وهي سنة الله في هلاك الأمم، وكذلك النتائج التي تترتب على سنة الله في الأخذ بالأسباب ومنها أسباب الإصلاح يترتب عليها سنة الله في التغيير، وأيضًا الأخذ بأسباب الرزق يترتب عليها حدوث سنة الله في الرزق، وهكذا بقية الأسباب إذ تكون النتائج مقدمه لبداية سنن تاريخية أخرى.

إلا أن آثار السنن التاريخية غالبًا ما تكون آثارًا بعيدة المدى لا يمكن للفرد أن يراها إلا بعد مدة زمنية طويلة لكنها حتمية الحدوث ولو بعد حين، وهي معطيات كبيرة جدًا على الإنسان والمجتمع بصورة عامة، فقد تكون هذه الآثار سلبية إذا تم تحدي السنن أو ايجابية عند الأخذ بالأسباب بحسب نوع السنة الجارية على الأفراد والمجتمعات.

---

(١) ينظر: فلاح المسلي، السنن الإلهية في القرآن الكريم، ص ١.

### أولاً. آثار ومعطيات الأخذ بالأسباب.

إن جريان السنن التاريخية وتحقيق معطياتها وآثارها القائمة على تفاعل الفرد معها إنما يأتي من الأخذ بالأسباب والمحددات الكفيلة بجريانها بشكل يسهم في التنمية بمختلف أشكالها ومن هنا يمكن تحديد هذه الآثار والمعطيات بما يأتي:

#### ١- الآثار التنموية وتحقيق الأهداف البعيدة.

##### أولاً- الآثار التنموية:

أ- الرزق: الرزق واحد من أهم الآثار الإيجابية التي تخلفها السنن التاريخية بعد جريانها وهو نتيجة حتمية لشروط معينة، فعلى الرغم من أن الأرزاق مقسمة وموزعة من الله سبحانه عز وجل كما هو معروف، لكن هناك أسباب وشروط لإنزال الرزق وزيادته بحكم السنن التاريخية وعندما يتم العمل بالشرط يترك الأثر على الفاعل به.

ومن أهم الأسباب الباعثة للرزق الاستغفار فهو سبب لحدوثه بحكم السنة التاريخية، فقد دعا الإمام علي (عليه السلام) الناس للاستغفار في خطبة الاستسقاء لكي ينزل المطر عندما كانوا يعانون من قلة الأمطار، إذ قال (عليه السلام) ((وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الْإِسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرَّزْقِ وَرَحْمَةً الْخَلْقِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾<sup>(١)</sup> فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ))<sup>(٢)</sup> فقد بين الإمام (عليه السلام) أن الله سبحانه جعل الاستغفار سبباً في

(١) نوح/ ١٠

(٢) نهج البلاغة، ١٩٩

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية ...

درّ الرزق<sup>(١)</sup> المتواصل دون انقطاع<sup>(٢)</sup>، أي إن نزول الرزق يأتي كنتيجة للاستغفار فهو أثر يحدث بعد أن تطبق السنة التاريخية بتوافر شرطها وقد يكون الرزق مطراً أو أموالاً أو أبناءً أو غيرها من أنواع الأرزاق النازلة على بني آدم من قبل الله عز وجل.

السبب الآخر الذي يكون الرزق أثراً له وذكره الإمام علي (عليه السلام) كمحدد لنفاذ السنة التاريخية الجارية هو الصدقة، فقد قال (عليه السلام) ((اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ))<sup>(٣)</sup> إذ أن الرزق مقسوم ومقدر من الله لكل فرد ولكن وصول هذا الزرق المقسوم مشروط بالتكسب والاستئزال، فإذا قل رزق إنسان فليصدق إذ أن من وسائل كسبه الصدقة<sup>(٤)</sup>، فهذا الأثر مهم جداً على الأفراد والمجتمعات ويضمن لهم العيش السليم ما دام العمل مستمراً بالأسباب الدالة عليه وهو نتيجة حتمية وأثر إيجابي مادي تخلفه جريان السنة التاريخية ويكون بداية لسنته تعالى في رزق عباده، إذ جعل الرزق يصلهم بأسباب يباشرونها باختيارهم وجعلها موصلة إلى اكتساب الرزق<sup>(٥)</sup>.

والملاحظ أن طرح الإمام (عليه السلام) بهذا الخصوص استند إلى بيان الآثار التي تمثلت بالرزق على وفق مبدأ التوازن في العبادة بين الجانب المادي والمعنوي وهو الأمر الذي لا يخلو من غاية وهدف تكاملي يقوم على أساس تحقيق التكافل الاجتماعي من ناحية وتحقيق الاتصال الروحي مع الله سبحانه من ناحية أخرى.

(١) الراوندي، منهاج البراعة، ٦٨/٢، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٨/٩.

(٢) الدخيل، شرح نهج البلاغة، ١٨/٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٩٤.

(٤) الحسيني، ديباج الوصي، ٦/٢٨٣٤؛ حبيب الله الخوئي، شرح نهج البلاغة، ٢١/٢١٠.

(٥) زيدان، السنن الإلهية في الأمم والأفراد، ص ٢٢١.

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

ب- زيادة النعم<sup>(١)</sup> ودوامها: واحدة من الآثار المهمة التي تركها مراعاة السنن الإلهية<sup>(٢)</sup> والقيام بها على الأفراد والأمم هو زيادة النعم ودوامها على الإنسان ويأتي هذا الأثر نتيجة للصبر على الطاعة وعدم المعصية وهو الأمر الذي أكده أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله ((وَاسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْمُجَانِبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ))<sup>(٣)</sup> ورغب بالصبر وعدم المعصية بكونه سبباً يستتم به نعمة الله عليهم، ولما كان استلزامه لها كالثمرة له وكانت ثمرة الصبر حلاوة قدّمها ليحلوا الصبر بذكرها<sup>(٤)</sup>، وهذه الثمرة هي دوام النعم وزيادتها سواء كانت تلك النعم مادية أم معنوية.

والذي يوجب بقاء النعمة ودوامها ويمنع من نفورها هو شكر النعمة، إذ يكون استمرار النعم أثراً على القيام بالشكر وأداء حق النعم كما قال الإمام علي (عليه السلام) ((حَمْدُ اللَّهِ الْوَأَصِلُ الْحَمْدِ بِالنَّعْمِ وَالنَّعْمُ بِالشُّكْرِ نَحْمَدُهُ عَلَى آيَاتِهِ

---

(١) والنعم هنا لا تعني الجانب المادي فقط كالمال والحياة المرهفة بل تشمل النعم المعنوية كالعافية وصحة البدن والإيمان بالله ورسوله وولاية أهل البيت (عليهم السلام) ومن ذلك قول الرسول محمد (صلى الله عليه وآله): ((الصحة والفراغ نعمتان مكفورتان)) (المجلسي، بحار الأنوار، ١٦٨/٦٤)، وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ((نعمتان مكفورتان: الأمن والعافية)) (الصدوق، الخصال، ص ٣٤)، وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال ((الصحة بضاعة، والتواني إضاعة، ألا إن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن وأفضل من صحة البدن تقوى القلب)) (الراوندي، الدعوات، ص ١١٣).

(٢) المراعاة في اللغة هي: المناظرة والمراقبة والمحافظة والإبقاء على الشيء، ويمكن القول ان مراعاة السنن هو السير وفقها وعدم الاصطدام بها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٤/٢٢٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٧٩.

(٤) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/١٩٢.

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية ...

كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَاءِهِ<sup>(١)</sup> إذ أن الشكر يؤثر في الإنسان تأثيراً إيجابياً معنوياً مادياً وهذا الأثر يتحقق من رعاية الإنسان لمضمون السنن التاريخية.

ويتضح أن كلام الإمام (عليه السلام) حول هذه الأثر أعتمد بالدرجة الأساس على الأمور العبادية التي تجري بها السنن التاريخية وبالتالي تحقيق المعطيات، فالصبر اختبار للإنسان في كيفية المحافظة والتعامل مع النعم، والشكر يمثل العرفان وعدم إنكار النعم واستمرار التواصل الروحي مع معطي تلك النعم وهو الله عز وجل.

### ثانياً- تحقيق الأهداف البعيدة المدى.

أ- النجاة والخلاص: من الآثار المهمة التي تركها السنن التاريخية بعد جريانها هي النجاة من التهلكة والخلاص من المصاعب والشدائد بموجب تحقيق الضوابط التي تعمل على حدوث السنة التاريخية ومن ثم تخلف أثرًا يكون ذا فائدة عظيمة للأفراد والمجتمعات جميعاً، فالخلاص والنجاة أثر لتقوى الإنسان وهو أثر حتمي لا بد منه كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ((وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾<sup>(٢)</sup> مِنَ الْفِتَنِ وَنُورًا مِنَ الظُّلْمِ وَيُخَلِّدْهُ فِيهَا أَشْتَهَتْ نَفْسُهُ وَيُنزِلْهُ مَنزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ ظِلُّهَا عَرْشُهُ وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ وَزُورُهَا مَلَائِكُ))<sup>(٣)</sup> فهذه الآثار التي تركها التقوى على الفرد تتمثل في الخروج

(١) نهج البلاغة، ص ١٦٩. وعنه (عليه السلام) قال ((ثمره الشكر زيادة النعم)) (الليثي الواسطي، عيون المواعظ والحكم، ص ٢٠٧)، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله ((لا تدوم النعم إلا بعد ثلاث: معرفة بما يلزم لله سبحانه فيها، وأداء شكرها، والتعب فيها)) (ابن شعبه الحراني، تحف العقول، ص ٣١٨).

(٢) الطلاق/ ٢.

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٦.

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

من الفتن والظلمات والمنزلة العظيمة التي يحصل عليها الفرد، لذلك فإن المخرج الذي يترتب على العمل بالتقوى هو الخروج والنصر على الفتنة، فالمتقي يخرج من الفتنة سليماً<sup>(١)</sup>.

والأثر لا يقتصر فقط على الدنيا إنما يشمل الخلود الأخروي في دار اصطنعها الله لخلص أوليائه<sup>(٢)</sup> فهي معطيات مهمة جداً وإيجابية على الأفراد كذلك تحدث مع المجتمعات عند القيام بها فالخروج من الظلم أثر عظيم يخلص الفرد من الهلاك والسير في الطريق الخاطيء والأخذ بيده نحو المسار الصحيح.

إن الشدائد والمحن مهما كانت شديدة وقوية إلا أن التقوى كفيلة بالخروج منها، وهذا ما يفسر قول الإمام علي (عليه السلام): ((وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَيْنِ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتَقًا ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهَا مَخْرَجًا لَا يُؤْنَسَنَّ إِلَّا الْحَقُّ وَلَا يُؤْحَشَنَّ إِلَّا الْبَاطِلُ))<sup>(٣)</sup>، وقد بين الإمام (عليه السلام) هنا الأثر والبشارة بالخلاص من ضيق الحال والشدة إلى النور والخير وشرط ذلك التقوى<sup>(٤)</sup> وهي آثار معنوية مادية تترتب نتيجة لمراعاة الفرد للأخذ بالأسباب التي تترتب عليها معطيات كثيرة.

(١) الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٣/ ١١٠

(٢) الكيدري البيهقي، حقائق الحقائق، ٢/ ١٢٤. وينظر: حبيب الله الخوثي، منهاج البراعة، ١٠/ ٣٩٠.

(٣) نهج البلاغة، ص ١٨٨. ومن آثار التقوى التي ذكرها الله في القرآن الكريم كما جاء في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) وَاللَّائِي يَتَسَنَّ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْكُمْ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٤) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظَمْ لَهُ أَجْرًا﴾ الطلاق / ٢-٥.

(٤) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٤٦؛ شبر، نخبة الشرحين، ٢/ ٨٠٢.

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية ...

ولعل المخرج المقصود هو ما يميز السنن التاريخية ويثقف لها، فهو صورة حية لطبيعة التعامل البشري مع الواقع الديني الذي تعد التقوى أبرز صورته وعلاماته العامة، إذ أن كلام الإمام (عليه السلام) لا يعني فقط الآثار المميزة للسنن التاريخية بل هو فرز للعبادة الحقة المنضبطة الواعية الموصوفة بالتقوى.

ب: النصر والغلبة: من الآثار المهمة التي يخلفها جريان السنن التاريخية على الأفراد والأمم هو النصر والغلبة، إذ يعد من المعطيات الايجابية الحتمية ويكون هذا الأثر مادياً أو معنوياً وقد يتأخر حدوثه إلا أنه يأتي لا محالة وتأخذ الأقوام حقها ويتنصر المستضعف المظلوم بحكم ثبات السنن التاريخية.

فالذين يقفون إلى جانب الحق لا بد لهم أن يتصروا ولو بعد حين كذلك المظلومون الذين تؤخذ حقوقهم ويتصروا وهذا ما أكده أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله ((يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجورِ عَلَى الْمُظْلُومِ))<sup>(١)</sup> إذ يبين هنا أمير المؤمنين (عليه السلام) النصر والغلبة التي يستحقها المظلوم عندما يعاقب الظالم في يوم العدل وهو يوم القيامة<sup>(٢)</sup> ولا يقتصر على يوم القيامة فقط بل هو وقت جزاء الله وعقابه للظلم سواء في الدنيا أو الآخرة، يكون هذا الجزاء أشد وأدوم وهو أثر لا بد منه.

وقد يكون انتصار المظلوم بعدة طرق ومنها ضرب الظالمين بعضهم ببعض وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في ذكر هذا الأثر للسنة التاريخية بقوله تعالى

(١) نهج البلاغة، ص ٥٣٤.

(٢) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤٠٩/٥، حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٤٢٦/٢١؛ الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/٤٢٤؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٤٥٥/٥.

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١)</sup> أي ينتقم الله تعالى من الظالم بالظالم، ثم ينتقم من الجميع بنفسه<sup>(٢)</sup> كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) ((ما انتصر الله من ظالم الا بظالم وذلك قول الله ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعَضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾))<sup>(٣)</sup>.

وهذا انتصار بالنسبة للمظلوم عندما يعذب الذي ظلمه وأخذ حقه لأن الله سبحانه وتعالى لا يظلم عنده احد ويتصر عز وجل للجميع من الظالمين لأنه الحاكم العادل بين الناس جميعاً، والانتصار مستمر للمظلومين متى ما وقع عليهم الظلم بحكم ثبات السنن التاريخية وأثرها في من تجري عليهم.

وقد بين الإمام علي (عليه السلام) العاقبة المحتومة لأهل البيت (عليهم السلام) وأن الدنيا ستنقاد لهم بعد تمردها وجوحها عليهم هو أثر تركه السنة التاريخية على من استضعف وابتلي في الأرض وسلب منه حقه حيث سيأتي يوم يرد الحق له وتصبح السلطة والسيادة لهم على هذا العالم وهنا نقصد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بعدما لاقوا المحن والمصائب والابتلاءات جاءهم النصر من قبل الله عز وجل كما قال الإمام علي (عليه السلام): ((لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى

(١) الانعام / ١٢٩.

(٢) التستري، تفسير التستري، ص ٦٣. وينظر: السمعاني، تفسير السمعاني، ١/ ١٤٥.

(٣) العياشي، تفسير العياشي، ١/ ٣٧٦؛ الكليني، الكافي، ٢/ ٣٣٤؛ الصدوق، ثواب الاعمال، ٢٧٤. وانتصار الله للمظلوم خير من انتصاره لنفسه كما جاء قول الرسول محمد صلى الله وآله وسلم ((أوحى الله إلى نبي من أنبيائه... إذا ظلمت بمظلومة فارض بانتصاري لك، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك)) (الكليني، الكافي، ٢/ ٣٠٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ٧٠/ ٢٧٧)

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية ...

الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿١١﴾ (٢) إذ أن وراثته الأرض بعد تلك الشدائد وهكذا هي عاقبة الأنبياء والمرسلين وهو وعد إلهي لا بد أن يتحقق بعد الابتلاءات التي واجهوها بأن ترجع اليهم وتعطف نحوهم، إذ قيل في معناه نحن أهل البيت نمتحن بضر وبالبلاء تمحيصا لنا وتهديبا ثم يأتي بعد ذلك الخلاص والفلح والنصرة (٣).

وهذا النصر كان أثرا لواحدة من السنن الإلهية التاريخية وهي سنة الابتلاء وهذه النتيجة هي مقدمة لسنة أخرى هي سنة النصر والتمكين، فهو تطمين من قبل الإمام (عليه السلام) بحتمية النصر بعد الشدة والبلاء، وتثقيف لبقاء الأمل في حياة أفضل مأزرة بالنصر الإلهي.

وقد يكون ذلك النصر الحتمي أثرا لقيام الإنسان بدين الله ودين رسوله وأداء الفرائض ونصرة الدين وهو سنة تاريخية ثابتة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) ((فَاللَّهُ اللَّهُ مَعَشَرَ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصَّحَّةِ قَبْلَ السَّقْمِ (٤) وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيْقِ فَاسْعُوا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلِقَ رَهَائِنَهَا أَسْهَرُوا عُيُونَكُمْ

(١) القصص/٥.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٠٦. وقال (عليه السلام) في أهل البيت وولايتهم ووراثتهم للأرض أيضا ((لَا يُقَاسُ بِأَلِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا، هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْعَالِي وَبِهِمْ يُلْحَقُ النَّالِي، وَهُمْ خَصَائِرُ حَقِّ الْوَلَايَةِ، وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوَرَاثَةُ، الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقِلَ إِلَى مُتَّقَلِهِ)) ينظر: نهج البلاغة، ص ٤٧.

(٣) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ص ٤٢٧.

(٤) السقم: المرض. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٢/ ٣٨٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ٢٨٨؛ الفيروز ابادي، القاموس المحيط، ٤/ ١٢٩.

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

وَأَضْمِرُوا<sup>(١)</sup> بُطُونَكُمْ وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فُجُودًا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَا تَبْخُلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> وَقَالَ تَعَالَى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(٤)</sup> إَذَا دَعَا الْإِمَامَ (عليه السلام) هنا إلى فكك رقابهم وتحرير الأنفس من النار عن طريق العبادات والسهر في طاعة الله والصيام والصلاة والقيام وإنفاق الأموال في سبيل الله وبذلك تحيوا أنفسكم وتنقذوها من النار<sup>(٥)</sup>.

وقد استشهد الإمام (عليه السلام) بالآية القرآنية الخاصة بالنصر الإلهي وقد قيل في شرحها: ان تنصروا دين الله ودين النبي بالقتال والجهاد ينصركم في الدنيا والآخرة ويثبت أقدامكم على الصراط<sup>(٦)</sup>، فمن نصر الله وهو نصر دينه وشريعته والانتصار على النفس الأمارة بالسوء ينصره الله سبحانه وتعالى ويجعله في منزلة عالية جدًا كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في تكملة خطبته ((تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ))<sup>(٧)</sup> هذا الأثر والمنزلة العظيمة التي يتحصل عليها الفرد بعد نصرته لدين الله ولنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) سواء كان في الدنيا أم الآخرة.

(١) اضمروا: الهزال وخفة لحم (لحوق البطن). ينظر: الفراهيدي، العين، ٧ / ٤١؛ الجوهرى، الصحاح، ٧٢٢ / ٢.

(٢) محمد / ٧.

(٣) الحديد / ١١.

(٤) نهج البلاغة، ص ٢٦٧.

(٥) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣ / ٤٠٧؛ الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣ / ٢٠٨.

(٦) الطبري، مجمع البيان، ٩ / ١٦٤. و ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦ / ٢٣٢.

(٧) نهج البلاغة، ص ٢٦٧.

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية ...

والملاحظ من طرح الإمام علي (عليه السلام) حول هذه النتيجة التي تخلفها السنن التاريخية عدة أمور أهمها:

١- النصر يحتاج إلى مقدمات مادية ومعنوية ليتحقق بفعل القانون التاريخي الحتمي بعد توافر الضوابط.

٢- انتصار المظلوم والمستضعف هو اقرار للعدالة الإلهية بعد تعرضهم للظلم ومواجهتهم له بالصبر وتسليم الأمر لله عز وجل.

٣- أهمية الدين في النصر، إذ ينصر من يرعاه ويتعامل معه كسنة تاريخية مطردة تحطم من يتحداها وتنصر من يعمل بها وبأجزائها.

### ٢- الآثار التوعوية والإصلاحية:

أولاً- الإصلاح والاعتدال: من الآثار المهمة التي تركها السنن التاريخية على الأفراد والأمم والمجتمعات بعد جريانها عليهم هي إصلاح أحوال الأفراد والأمم وتغييرها نحو الأفضل وبصورة إيجابية، حيث تنعم تلك المجتمعات بحياة وتعايش اجتماعي ممتاز لكن هذه الإصلاح يأتي بعد القيام بالضوابط التي تحقق نتيجة الشرط كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك: ((مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ))<sup>(١)</sup>، إذ بين الإمام علي (عليه السلام) الآثار والمعطيات التي تترتب على إصلاح علاقة الفرد بالله، إذ يصلح الله علاقته بالمجتمع والناس ويتم التعايش السلمي بينهم من دون مشاكل ومصاعب وكذلك إصلاح أمر الدنيا من الآثار المهمة التي يخلفها إصلاح أمر الآخرة.

(١) نهج البلاغة، ص ٥٥٢.

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

إن إصلاح العبد ما بينه وبين الناس أثر لازم يترتب على إصلاح ما بينه وبين ربه كما أن أثر أداء وظيفة العبودية هو إصلاح الله أمر الدنيا للعبد بكفالة رزقه وتحسين أحواله<sup>(١)</sup>، فبعد قيام الفرد بتلك الأفعال تتم سنة التغيير وهي عبارة عن أثر ونتيجة لسنة الله في الأخذ بالأسباب.

أيضاً من الآثار المهمة التي تركها السنن التاريخية هي اعتدال المجتمعات وصلاح الزمان وقوة الدولة ولكن هذا الأثر مشروط بالاستقامة<sup>(٢)</sup> وبأداء الحقوق بين الوالي والرعية كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((أَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِيِ عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِيِ فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِذِينِهِمْ فَلْيَسْتِ تَصْلُحِ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ وَلَا تَصْلُحِ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِيِ حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِيِ إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى إِذْلَالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَسَّتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَاءُ أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِيِ بِرِعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجُورِ وَكَثُرَ الْإِدْعَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ حَاجُ السُّنَنِ

(١) حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ١٣٤/٢١.

(٢) الاستقامة: هي لزوم طاعة الله عز وجل كما في ظاهر قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت/ ٣٠). وينظر: الاحقاف/ ١٣) والاستقامة هي الدين كما قال الإمام علي عليه السلام ((كيف يستقيم من لم يستقم دينه)) (الليثي الواسطي، عيون المواعظ والحكم، ص ٣٨٣) وعنه أيضاً ((من لزم الاستقامة لزمته السلامة)) (الدليمي، اعلام الدين في صفات المؤمنين، ص ١٨٧) وفي آثارها قال تعالى ((وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا)) (الجن/ ١٦) والجنة أيضاً كما قال الإمام (عليه السلام) ((من استقام في الجنة، ومن زل في النار)) (نهج البلاغة، ١٦٧).

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية...

فَعْمَلٌ بِالْهُوَىٰ وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النَّفْسِ))<sup>(١)</sup>، وهذه السنة التي تفرض على الإنسان ألا يستحق شيئاً من الحقوق إلا بأدائه حقوقاً عليه، ليست إلا سنة الكون العادلة القائمة بهذا العدل<sup>(٢)</sup>، فالقيام بهذه السنة الإلهية ورعايتها من خلال أداء الحقوق تترتب عليه آثار مادية ومعنوية مهمة لأنها قائمة على مبدأ التكافؤ بين الوالي والرعية وبهذا التضامن والترابط بين الحاكم والمحكوم تستقيم الأمور، ومن أجل هذا جعله سبحانه دستور الحكم وأساسه ونظاماً قائماً له<sup>(٣)</sup> ومن أهم تلك الآثار الإيجابية:

- ١- ان سياسة المساواة تقوي شأن الحاكم داخلياً وخارجياً من خلال وقوف المجتمع معه وإسناده.
- ٢- عز الحق بينهم ولم يكن له مخالف وقيام مناهج الدين وطرقه بالاستقامة على قوانينه والعمل بها واعتدال معالم العدل ومظانته بحيث لا جور فيها<sup>(٤)</sup>، وهي آثار معنوية مهمة في استمرار الدولة وقوتها.
- ٣- جريان الأمور على مجاريها وطرقها وصلاح الزمان وسلامته من الفتن والمحن<sup>(٥)</sup> بعد أن أصلح الرعية والوالي انفسهم، إذ ينعكس ذلك على الزمان.
- ٤- استمرار الدولة وثباتها لأنها قائمة على قواعد وأسس لا يستطيع أحد النيل منها كما قال (عليه السلام) في هذا الشأن ((ثبات الدولة بإقامة سنن

(١) نهج البلاغة، ص ٣٣٣.

(٢) جورج فرداح، روائع نهج البلاغة، ٤٣

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٢٦/٣.

(٤) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/٤٣. وينظر: شبر، نخبة الشرحين، ٣/١٢٠١.

(٥) الراوندي، منهاج البراعة، ٢/٣٥٤؛ الحسيني، ديباج الوصي، ٤/١٧٤٥.

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

العدل))<sup>(١)</sup>، لأن العدل بين الرعية والوالي يولد استقرار الدولة وتحسينها، وبذلك تبطل جميع محاولات الأعداء للسيطرة عليها.

ويتضح من ذلك أن صلاح الرعية والوالي تداخلا مع بعضهما ولكل منهما أثره في الآخر، وهذا الأمر كان واضحا جلياً في دولة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) إذ كان اعظم مؤدٍ للحقوق وكيف ظهرت تلك الآثار في دولته كذلك دولة أمير المؤمنين (عليه السلام) وكيف كانت الدولة عادلة مستقيمة وغيرها في الكثير من الحكومات عبر التاريخ<sup>(٢)</sup>.

ثم تطرق الإمام (عليه السلام) إلى بيان الآثار الناتجة عن التقاعس وعدم تأدية الحقوق بين الراعي والرعية وهي آثار سلبية خطيرة على المجتمع والدولة ومن أهمها: التفرق واختلاف الآراء وانتشار الظلم والفساد في الدين وتعطيل الأحكام الشرعية<sup>(٣)</sup>، وذلك بعد أن استبد الحاكم وطغى وعدم قيام المحكوم بواجبه وإهمال تلك السنة الإلهية وعدم رعايتها ويظهر ذلك في أوضح صورة في

(١) الامدي، غرر الحكم، ص ١١٣.

(٢) مكارم شيرازي، نفحات الولاية، ٨ / ١٨٥. تعد دولة الإمام علي (عليه السلام) خير مثال لقيام حكومة الله العادلة على وجه الأرض وذلك لتطابق القول فيها مع الفعل والعمل إذ يقول (عليه السلام) ((جمال السياسة العدل)) (الليثي الواسطي، عيون المواعظ والحكم، ص ٢٢٣)، وقد جعل العدل مطلبه في الحكم، فقد قال ابن عباس ((دخلت على علي (عليه السلام) بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال: والله هي أحب إلي من إمرتك، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً)) (ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٨٦)، بل ركز على المساواة والعدل حتى في نظرة العين كما أوصى عامله محمد بن أبي بكر: ((أخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلَا يَبْتَاسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ)). (نهج البلاغة، ٣٨٣).

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤ / ٤٣. وينظر: شبر، نخبة الشرحين، ٣ / ١٢٠١.

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية...

الحكومات التي أعقبت دولة الإمام علي (عليه السلام) أمثال دولة بني أمية (٤١):  
١٣٢هـ) ودولة بني العباس (١٣٢: ٦٥٦هـ).

وينبغي الإشارة إلى أن حق الرعية على الراعي ثابت مطلقاً، سواء أقامت الرعية بما عليها من حق الراعي أم لم تقم، أما حق الراعي على رعيته فمقيد بصلاح الراعي، قيامه بما عليه من حق فإن أهمل فلا تجب طاعته، بل يجوز خلعه وعزله<sup>(١)</sup>.

ويتضح مما تقدم أن العدل أساس راحة المجتمع ومن ضاق صدره من العدل سيكون أضيّق إذا ما ساد الجور والظلم وهذا ما قاله الإمام (عليه السلام) ((فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجُورُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ))<sup>(٢)</sup> فالعمل بمقتضى العدل فيه سعة للناس، إذ به نظامهم وقوام أمورهم، ولولاه لا اختلّ النظام وضاع القوام ومن ضاق عليه القيام بالحكم الذي اقتضاه العدل فالجور الذي أقدم عليه بمقتضى هوى نفسه وميل طبعه أضيّق عليه في الدنيا والآخرة<sup>(٣)</sup>، لأن العدل يضع الأمور في مواضعها، ويعطي لكل ذي حقّ حقه، ولا يبقى في دولة ظالم ولا مظلوم<sup>(٤)</sup> وهذا أثر مهم جدا تركه السنن التاريخية على قيام الأمم واستقرارها لذلك نلاحظ أن الدول التي لا يسودها العدل دول غير مستقرة ومتفككة وكثيرة الحروب على عكس البلدان التي يحقق نظامها العدل واداء الحقوق والواجبات.

ثانياً. المعرفة والعبرة: من أهم الآثار التي تنتج عن جريان السنة التاريخية

(١) الإمام زين العابدين (عليه السلام)، شرح رسالة الحقوق، ص ٣٧٨.

(٢) نهج البلاغة، ص ٥٧.

(٣) الخوئي، منهاج البراعة، ٣/ ٢١٤.

(٤) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ١/ ١٣٠.



## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية ...

ان مراجعة أحوال الماضين والوقوف على اخبارهم عبر لمن اعتبر وموعظة لمن اتعظ، إذ أن عرض سجلات الماضي يجعل المرء عنده رؤية شخصية بتحسين واقعه والارتفاع من الحضيض إلى التكامل والسمو<sup>(١)</sup>، فهذا أثر عام تركه جميع السنن التاريخية على الفرد عند قراءة التاريخ لأنه مكان لقيام الحضارات والدول واندثارها، إذ تمر كل الأمم عليه وتنتهي فيه.

فالإنسان بالاعتبار يستطيع حفظ ما بقي من حياته والسير على الطريق الصحيح وعدم الوقوع في المهالك والمصاعب وهو أثر يتركه الاعتبار كما قال الإمام علي (عليه السلام): ((وَلَوْ اعْتَبِرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ))<sup>(٢)</sup> فقد أكد على أن الاعتبار بما مضى من العمر أو من أحوال الدنيا والقرون الماضية لغاية حفظ ما بقي من العمر أن يضيع في الباطل أو حفظ ما يبقى من السعادة الأخروية بالسعي في تحصيلها<sup>(٣)</sup> إذ أن الاعتبار والنظر إلى آثار الماضي وكيف وقعت بهم السنن التاريخية وحكمتهم والتدبر في الآثار يجعلك تتطلع إلى المستقبل وتحفظ عمرك الباقي وتصلح الحال، لأنه لا يوجد درس ولا عبرة أبلغ من التاريخ والحوادث الواقعة في طياته.

ثالثاً. التذكير وزجر النفس: إن سنة الابتلاء والاختبار الإلهي التي تصيب الإنسان تخلف آثاراً كبيرة في الفرد المبتلى ومن أهم تلك النتائج التي تخلفها الابتلاءات هي التوبة والتذكير وزجر النفس وابتعادها عن الذنوب والمعاصي وهو ما تهدف إليه تلك السنة كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِتَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ

(١) الموسوي، الوصية الخالدة، ص ٢٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٢٣. وأيضاً قوله (عليه السلام) ((وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضًا وَآخِرُهَا لَأَحَقُّ بِأَوَّلِهَا)) نهج البلاغة، ص ٤٥٩.

(٣) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٢٧. وينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ٣٣/ ٤٨٤.

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

الْخَيْرَاتِ لِيُتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلَعُ مُقْلَعٌ وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكَّرٌ وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ))<sup>(١)</sup> ان الإنسان إذا ساعدته السعادة الدنيوية، اعرض عن ذكر الله، ونسي ما قدمت يداه، وإذا مسّه الضّرّ من نقص الثمرات وحبس البركات لم يجد ملجأ سوى الله، فيتوب إليه ويدعوه ويتقرّب إلى الله بخضوع وخشوع، فيكون ذلك الخشوع والإنابة من اسباب هدايته ونجاته<sup>(٢)</sup>، إذ يكون أثر الابتلاء هو التوبة والرجوع إلى الله وهذا أثر مهم في حياة الإنسان يجعله يسلك الطريق الصحيح ويتعد عن الانحراف ويتقرب من الله عز وجل.

وقد يؤدي التذكير إلى إيقاظ الشعور من الغفلة والرجوع إلى الله عز وجل وعدم التكبر، إذ ان هذا الأثر يترتب على سنة الابتلاء التي تصيب الإنسان كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمُجَاهِدِ وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجًا لِلتَّكْبَرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نَفْسِهِمْ وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ))<sup>(٣)</sup> فالابتلاءات أسباب غائية من العناية الإلهية لإعداد النفوس لإخراج الكبر منها<sup>(٤)</sup> لأن المشاق تصفّى نفس الإنسان، وتلطّف الأفتدة من خشونتها وترشد الإنسان

(١) نهج البلاغة، ص ١٩٩. وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَلْيَبْلُوكُمْ بَشِيرًا مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ البقرة / ١٥٥.

(٢) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ٢٣٥. وينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣/ ١٨٥؛ الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢/ ٢٢٧.

(٣) نهج البلاغة، ص ٢٩٤. وجاء في هذا الشأن قوله (عليه السلام): ((وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ... لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاصِعَةً وَلَخَفَّتِ الْبُلُوى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمَيِّزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ وَنَفْيًا لِالِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ)) (نهج البلاغة، ص ١٨٧).

(٤) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٢٨٣.

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية ...

على أنه ضعيف لا يقدر على شيء فيسكن الذل والانكسار في قلبه، وإن الشخص إذا عمل بالمشاق نال فضله تعالى وعفوه، فإن العفو عن المذنب لا يكون إلا بالإطاعة<sup>(١)</sup>، وهذا أثر إيجابي مهم جداً في تصحيح مسار الإنسان وتغييره نحو الإصلاح والتكامل، إلا أن هذه الآثار التي تنتج عن سنة الابتلاء تختلف حسب طبيعة تعاطي الفرد مع تلك السنة التاريخية ورعايته لها وتجاوبه معها.

إن جميع الابتلاءات التي تقع على الإنسان يكون لها أثر وجزاء مهم تعطيه تلك الاختبارات الإلهية ويختلف عظم الجزاء بحسب نوع الابتلاء وشدته وهو ما أكده الإمام علي (عليه السلام) بقوله ((كُلَّمَا كَانَتْ الْبُلُؤَى وَالْإِخْتِيَارُ أَعْظَمَ كَانَتْ الْمَثُوبَةُ وَالْجُزَاءُ أَجْزَلَ))<sup>(٢)</sup> إذ أن الأجر يكون على قدر المشقة والثواب، يكون اجزل على الفرد من جميع النواحي المادية والمعنوية وهو ما أشار إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((إن عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء))<sup>(٣)</sup>.

ويتضح من ذلك ان الابتلاء يمثل محور زجر النفس والإخلاص لله تعالى وتكون آثاره إيجابية تربوية حتمية على وفق السنن التاريخية سواء كانت هذه الآثار مادية ببناء الشخصية الإنسانية وصلاحها وتطهيرها من شوائبها أم معنويًا بالثواب والحسنات، فهذه المصالح العظيمة والآثار الكبيرة تكون بمثابة التعويض للفرد المبتلى وهو منتهى العدل الإلهي.

(١) الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٢٠٢/٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٢٩٢.

(٣) الكليني، الكافي، ٢/٢٥٣؛ الإسكافي، التمهيد، ص ٣٣؛ الصدوق، الخصال، ١٨؛ الحراني، تحف العقول، ص ٤١. وفي ذلك الشأن نذكر ما قاله الرسول محمد صلى الله عليه وآله سلم ((يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرصت في الدنيا بالمقاريض)). ينظر: الترمذي، سنن الترمذي، ٤/٢٩٠؛ البيهقي، السنن الكبرى، ٣/٣٧٥.

### ثانياً: آثار السنن التاريخية في التخطيط والاستراتيجية المستقبلية

تؤدي السنن التاريخية دوراً كبيراً في قراءة المستقبل والتنبؤ والتأثير فيه من خلال تحليل المسارات التاريخية للأمم والحضارات، إذ تظهر القراءة العلمية للتاريخ والأحداث التي تقع فيه، وذلك لأن السنن تتميز بطابع الثبات وعدم التغير والاستمرارية ما يؤهل الإنسان للاستفادة منها في معرفة الوقائع التاريخية وتحليلها والتنبؤ بالمستقبل من خلال تلك السنن.

وعملية استشراف<sup>(١)</sup> المستقبل تعد عملية منظمة تبدأ بدراسة الماضي بكل ما فيه من أحداث وسنن، لتمر بالحاضر المعاش وتنظر إلى ذلك بالبصر والبصيرة في استشراف المستقبل الذي تنشده، ولا يتم العمل بالشكل الصحيح إلا بدراسة السنن التاريخية فيما سبق من الأقسام والنظر إلى التاريخ بعين الناقد البصير<sup>(٢)</sup>.

وقد قرأ الإمام علي (عليه السلام) نهاية دولة بني أمية من خلال السنن التاريخية التي تحدوها وأعرضوا عنها وظلموا الناس واستباحوا حقوقهم لذلك حكم عليهم بالهلاك حينما قال (عليه السلام): ((فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مَدْرٍ<sup>(٣)</sup>

(١) الاستشراف في اللغة: يدل على العلو والارتفاع، والشريف الرجل العالي، واستشرفت الشي إذا رفعت بصرك تنظر إليه، وتشرف الشيء واستشرفه: وضع يده على حاجبه كالذي يستظل من الشمس حتى يبصره ويستبينه. أما الاستشراف اصطلاحاً فهو عبارة عن ذاك التطلع للمستقبل ومحاولة امتلاك الأدوات المناسبة التي تعين علي تحسين وتوضيح الصورة للمستقبل الذي نشده وعليه فالاستشراف تفقد وتطلع وتأمل. ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٢٦٣؛ ابن منظور، لسان العرب، ٩/ ١٧١؛ عماد عبد الكريم، خضر إبراهيم، السنن الإلهية ودورها في استشراف المستقبل، ص ٦.

(٢) عماد عبد الكريم، خضر إبراهيم، السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراف المستقبل، ص ١٢.

(٣) مدر: قطع طين يابس. ينظر: الفراهيدي، العين، ٨/ ٣٣٨.

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية ...

وَلَا وَبَرٍ<sup>(١)</sup> إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلْمَةَ تَرْحَةً<sup>(٢)</sup> وَأَوْجُوا فِيهِ نِقْمَةً فَيَوْمَئِذٍ لَا يُبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ وَلَا فِي الْأَرْضِ نَاصِرٌ أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ وَأُورِدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ وَسَيَتَّقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَا كَلًّا بِمَا كَلَّ وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلَقِمِ وَمَشَارِبِ الصَّرِّ وَالْمَقْرِ وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ وَدِثَارِ السَّيْفِ وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ<sup>(٣)</sup> الْأَنَامِ فَأَقْسِمُ ثُمَّ أَقْسِمُ لَتُنَخَمَنَّهَا<sup>(٤)</sup> أُمِّيَّةٌ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفِظُ النَّخَامَةَ ثُمَّ لَا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ الْجُدِيدَانِ<sup>(٥)</sup>، فهو يخبرهم عن زوال ملك بني أمية وأخبارهم وما سيقع فيهم من هلاك لأنهم ظلموا وبخسوا حق أهل البيت (عليهم السلام) وسلبوا الخلافة منهم وسيدلهم الله المأكل الطيب والمشرب الهني بغيره مما لا تقبله النفوس ولا تستسيغه فبدل المطعم الطيب مطاعم العلقم وبدل مشارب الطيبة المشارب المريرة التي لا يكاد يتجرعها الإنسان ويستبدل أمنهم بالخوف الملازم لهم الذي يطاردهم أينما كانوا والسيف أيضا فالمطاردة نفسيا وعسكريا<sup>(٦)</sup> هذا الهلاك حدث على وفق قوانين التاريخ الثابتة التي لا تتغير، وأثرها يطال كل من وقعت عليه وتمنح القدرة على التنبؤ بمستقبل الظواهر التاريخية وهذا القدرات لا تقل أهمية عن القدرات الكشافة التي تتيحها لنا السنن والقوانين الطبيعية في فهم مستقبل الظواهر العلمية الطبية والفلكية

(١) وبر: صوف الإبل الأرانب ونحوها. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٥/ ٢٧١.

(٢) ترحة: الحزن. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ص ٧٨؛ الطريحي، مجمع البحرين، ٢/ ٣٤٤.

(٣) زوامل: بغير يَسْتَظْهِرُ به الرجلُ يُجْمَلُ عليه متاعه وطعامه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب،

١١/ ٣١٠؛ الزبيدي، تاج العروس، ١٤/ ٣١٣.

(٤) لتنخمنها: لبزقة التي تخرج من أقصى الحلق، ومن مخرج الخاء المعجمة. ينظر: ابن الأثير، النهاية

في غريب الحديث والأثر، ٥/ ٤٣.

(٥) نهج البلاغة، ص ٢٢٣.

(٦) الموسوي، شرح مهج البلاغة، ٣/ ٢٧.

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

فكما يستطيع العلم أن يتنبأ بمستقبل الظواهر الطبيعية كذلك يستطيع المختصون في السنن التاريخية اكتشاف ما يصيب المجتمع من خلال تلك السنن<sup>(١)</sup>.

فالأمم والأقوام التي أخذت بالأسباب وتعاملت معها بجديّة حصلت على الفوز والنجاح وكان لها ما تريد وفق السنن التاريخية، فمن يعمل بضوابط النصر والتمكين يفلح وينصر ويعرف عاقبته، على عكس من يعرض عن تلك الأسباب ويتحدى السنة ويعمل بأسباب الهلاك من ظلم ومحاربة الحق فيكون مصيره معروفاً عن طريق معرفة السنن التاريخية التي تتمتع بخصائص تتيح لها استشراف المستقبل.

إن الاستشراف والتخطيط بالسنن التاريخية من القضايا المهمة التي نطرحها هنا، فهو ضرورة حياتية ولازمة من لوازم صناعة المستقبل والتحكم فيه، فالمستقبل وليد فعل الحاضر الواعي كما أن الحاضر وليد الماضي القريب أو البعيد<sup>(٢)</sup>، لكن هذا التخطيط والاستشراف يحتاج إلى العمل بالأسباب والضوابط وتسخير الإمكانيات المتوافرة حتى تتحول السنن التاريخية إلى واقع كما بيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) المطلوب في الحصول على الظفر وماذا يحتاج هذا الأمر حتى يتحقق إذ قال ((الظَّفْرُ بِالْحَزْمِ وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ وَالرَّأْيُ بِتَخْصِينِ الْأَسْرَارِ))<sup>(٣)</sup> وهنا يشير الإمام (عليه السلام) بهذا إلى أن التخطيط شرط أساس للظفر والنجاح، وان أي عمل من غير تصميم وتخطيط يذهب سدى وربما كان ضرراً محضاً والشرط الأساسي في التخطيط الحازم وفسره الإمام بإجالة الرأي،

(١) عيساوي، فقه السنن الإلهية، ص ٢٤٨.

(٢) عيساوي، فقه السنن الإلهية، ص ٢٥٣.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٧٧.

## ... المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية...

أي بالدراسة العلمية على أن تبقى هذه الدراسة طي الكتمان لا يعلن عنها إلا بعد التجربة والنجاح التام<sup>(١)</sup>.

وهذا الأمر ينطبق على الوضع الحالي بما يتعلق بالتطور العالمي في الأمم قياساً بالمجتمع الإسلامي، إذ أن رعاية السنن التاريخية هي التي تحكم ذلك التطور لاسيما ان خططهم طويلة الأمد ومستقبلية على المستوى المادي والإنتاجي ولا يوجد تحدي لتلك السنن عند الغرب في الأمور الدنيوية على الرغم من أنها مجتمعات كافرة لكن السنن التاريخية عالمية لا تحابي أحداً ومن أخذ بالسنة الإلهية سواء كان مؤمناً أم كافراً تحقق له نتائجها في الدنيا<sup>(٢)</sup> وهذه من الآثار المادية المهمة والواضحة لرعاية السنن التاريخية.

على العكس من واقع مجتمعنا الإسلامي كيف أصبحت أحواله من تردي الأوضاع وانتشار الفساد بأنواعه وتولي شرار القوم الحكم نتيجة عدم رعاية السنن الإلهية والإعراض عنها، وذلك لأن التقصير في تحصيل سنن الله التي أمرنا بالسير على هديها تترتب عليه نتائج وخيمة ومن ثم لا يأتي على هذا التقصير في تحصيلها مد من الله أو خرق للناموس الكوني الذي قام نظام الحياة فيه على ارتباط النتائج بالمقدمات وفضل الله لا يأتي بمعصيته، ولذلك فانتظار خرق الناموس الكوني دون السعي الحثيث واتخاذ الأسباب المطلوبة شرعاً يعد وهماً مصيره الخيبة والخسارة<sup>(٣)</sup>.

(١) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٤/ ٢٤٧.

(٢) ينظر: الحميد، سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن، ص ٤١٩-٤٨٧.

(٣) رشيد كهوس، السنن الإلهية لطائف وبصائر، ص ١٩٢.



## المبحث الثاني

### آثار تحدي السنن التاريخية

إن عدم أخذ السنن التاريخية وضوابطها ومحدداتها بعين الاعتبار أي بمعنى تحديها إنما يترك أثاراً تدميرية في المتحدي ولكنها بالتأكيد توازنية عادلة بالنسبة للمجتمع الذي يحتاج هذه العدالة في معاقبة المتجاوزين الفوضويين ونقصد من يتحدى السنن والقوانين، ومن هذه الأثار التي تصيب الأمم والأفراد هي الهلاك والنهاية والخزي في الدنيا والآخرة.

ومن السنن التي يعقب حدوثها الهلاك هي سنة الاستدراج، فالله سبحانه وتعالى بعد أن يستدرج العبد باستمرار النعم عليه وهو مستمر في ارتكاب المعاصي إذ يكون الاستدراج سبباً لهلاكه كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾<sup>(١)</sup> أي سنستدريجهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك فإن الهلاك سيقع في الشخص المستدرج لا محالة إذا لم تنبهه تلك النعم من الغفلة وزاد في الغرور والجهل عندئذ يكون العقاب شديداً وهو حكم السنن التاريخية الثابتة المطردة.

أيضاً من الأمور التي تكون نهايتها وأثرها الهلاك هي مصارعة الحق ومحاربتة إذ أن النتيجة تكون حتمية وهي التهلكة والخزي وهذا ما أشار إليه الإمام علي (عليه السلام) بقوله: ((مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ))<sup>(٣)</sup> ويقصد به من خاصم

(١) الأعراف/ ١٨٢ .

(٢) الزمخشري، الكشاف، ص ١٣٣ . ينظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، ٣/ ٨٧ .

(٣) نهج البلاغة، ص ٥٠٢ .

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

الحق فقد صار هالكا<sup>(١)</sup>، فمقاومه الحق سببٌ لهلاكه فالحق يعلوه ولا يعلى عليه<sup>(٢)</sup>، ومن يقف بوجه الحق معرض للهلاك، لأنَّ النصر للحق وأصحابه، فهذا القانون عام شامل ثابت في كل زمان ومكان وهذا أثر خيف لبني البشر وعليهم الحذر من ذلك كما مر ذكره سابقا، وهو ما جرى على عدد كبير من الأقوام والأمم والتاريخ يحتوي على شواهد كثيرة<sup>(٣)</sup>، لذا بيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك التحدي الذي يكون أثره الهلاك مبيّنا السبل والوسائل لمواجهتها.

ومن الآثار السلبية التي تركها السنن التاريخية نتيجة الإعراض عنها ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أسلفنا والتخلي عن أداء هذه المسؤولية العظيمة هو تولي الأشرار وهذا ما حذر ونهى عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما قال: ((لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُؤَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ))<sup>(٤)</sup>، إذ بيّن الإمام هنا الآثار التي يتركها عدم أداء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنها تسلط الأشرار والظالمين، لأنَّ ترك الاجتماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلة

(١) الراوندي، منهاج البراعة، ١/ ١٧١.

(٢) الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٤/ ٣٥٢.

(٣) من صور هلاك الأمم بسبب الترفع عن الحق وعدم الانقياد له وذلك الحق هو توحيد الله سبحانه وتعالى هم قوم عاد بعدما استكبروا وأنكروا تفرد الله سبحانه وتعالى بالوحدانية، إذ قال تعالى في عاد ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَدْرَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ أَبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الأعراف/ ٧٠)، فقد اهلك هذه الأمة المستكبرة على رهبها بأشد أصناف العذاب وهو الريح كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّيمِ﴾ (الذاريات/ ٤١-٤٢)، والعقيم: الريح التي ليس فيها بركة ولا تلقح الشجر ولا تسوق مطراً. ينظر: الطبري، جامع البيان، ٧/ ٢٧.

(٤) نهج البلاغة، ص ٤٢٢.

## ... المبحث الثاني: آثار تحدي السنن التاريخية...

المعروف من طباع الأشرار ويعدّ لاستيلائها وغلبتها وولاية أهلها<sup>(١)</sup> لأن التخلي عن أداء هذا الأمر يؤدي إلى خلق الظروف الملائمة لتهادي المنحرفين والأشرار في انحرافهم وشرهم أثر غياب الرادع لهم، والمتابع عليهم زلاتهم وفسادهم، إذ يأمنون من عدم الاعتراض وعدم الملاحقة<sup>(٢)</sup>.

وهذا الأمر طبيعي، فإذا غاب المصلح ظهر الفاسد وأخذ بزمام الأمور، عندئذ يعم الظلم والجور والاعتداء على الأنفس والأعراض والأموال، والاعتداء على جميع الحرمات والمقدسات، وعم فساد الأخلاق وتحللها، وضعف العلاقات الاجتماعية، وتفكك كيان الأسرة التي هي نقطة البدء في اصلاح الجيل الناشئ، والحفاظ على سلامته الروحية، وحينئذ سيفتقد الأمان والاستقرار والطمأنينة<sup>(٣)</sup>.

والأثر الآخر الذي ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله السابق هو عدم استجابة الدعاء بسبب تقصيرهم في دفع الظالمين ولكشف ما هم فيه من البلاء والضرر<sup>(٤)</sup>، والمجتمع الذي ينتشر فيه الفساد والظلم لا تفتح له أبواب السماء لأن صلاح المجتمع واستجابة الدعاء مرتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن النكر.

والنتيجة النهائية التي تترتب على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحكم السنن والقوانين التاريخية الثابتة هو العذاب والطرده الإلهي كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعَيْدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ وَمَهَاؤُنَا بِبَطْشِهِ وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٥/ ١٢٣. ينظر: حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٢٠/ ١٣٠

(٢) مركز الرسالة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ١٠٧.

(٣) مركز الرسالة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ١٠٧.

(٤) الحسيني، ديباج الوضي، ٥/ ٢٤٨٠.

## ... الفصل الرابع: آثار السنن التاريخية ومعطياتها...

سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لَتَرَكِهِمُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي))<sup>(١)</sup> فهذا تنبيه لهم على أن لعنة الله للقرن الماضي بين أيديهم قبل الإسلام كان لازما مساويا لتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منحصر فيه، وكانت لعنته لسفهائهم وناقصي عقولهم لركوبهم المعاصي المنكرة، وأمّا للحكماء منهم ولذوي العقول فلعدم إنكارهم وتناهيهم عما يشاهدونه من ذلك المنكر<sup>(٢)</sup>، إذ أن دين الله إيجابي لا سلبي، فهو لا يرضى منك أن تترك المنكر وكفى، بل عليك أيضا أن تنهى عنه<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك فإن من أسباب هلاك الأقوام السابقة هو ارتكابهم المعاصي وسكوت علمائهم عليهم وامتناعهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكان ينزل عليهم لهذا السبب العذاب من الله وهذا حكم عام شامل لجميع البشرية، و اللعن هنا ليس عقابا روحيا وأخرويا فقط، إنه هنا يأخذ معنى سياسيا، إن اللعن هو البعد عن رحمة الله ورعايته، وهذا يعني أن الملعون يتعرض للنكبات السياسية والاجتماعية التي تؤدي به في النهاية إلى الانحطاط والانهيار<sup>(٤)</sup> ويمثل هذه اللعن النتيجة النهائية لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد تسلط الفاسدين وغياب المصلحين وعدم استجابة الدعاء من قبل الله تعالى ينزل العذاب الإلهي وهو ما أكده الرسول محمد (صلى الله عليه وآله): ((لتأمرن بالمعروف، ولتنهين عن المنكر، أو ليعمنكم عذاب الله))<sup>(٥)</sup>.

(١) نهج البلاغة، ص ٢٩٩.

(٢) البحراني، شرح نهج البلاغة، ٤/ ٣٠٥.

(٣) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٣/ ١٤٩.

(٤) شمس الدين، التاريخ وحركة التقدم البشري، ص ١٢٨.

(٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ١٦/ ١٣٥.

## ... المبحث الثاني: آثار تحدي السنن التاريخية...

ومن ما تقدم تتضح عدة أمور أهمها:

١- ان تحدي السنن التاريخية هو الإعراض عن الأخذ بالأسباب والضوابط التي تعمل بها السنة التاريخية وعدم رعايتها، كذلك عدم الاعتبار والاتعاظ بها حل بالأقوام السابقة.

٢- التحدي يترك آثارًا خطيرة وأهمها الهلاك الذي تنتوع عقوباته كالمسوخ والآفات والأمراض والعذاب الآخروي والتسلط الخارجي واللعن أو قد يكون زوال نعمة ونفارها.

٣- أراد الإمام علي (عليه السلام) من ذلك الطرح تخويف الناس وتحذيرهم من الهلاك بذكر تطبيقات عن الأمم الهالكة وبيان أسباب هلاكها.

ومن تلك الآثار التي يخلفها تحدي السنن التاريخية هي زوال النعم وعدم دوامها بسبب ارتكاب الذنوب والمعاصي وهو ما يفسر قول الإمام علي (عليه السلام)؛ ((وإِيمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ<sup>(١)</sup> نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا<sup>(٢)</sup> لِاتْرَحُوهَا<sup>(٣)</sup> ﴿أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾<sup>(٤)</sup> وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّقْمُ وَتَزُولُ عَنْهُمْ النِّعْمُ فَرِغُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ فَاسِدٍ))<sup>(٥)</sup>، أي جعل سبب زوال

(١) غض: طري. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ٧/١٩٦؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ٢/٣٣٨.

(٢) اجترحوها: اكتسبوها. ينظر: الفراهيدي، العين، ٢/٧٨؛ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ١/٤٥١.

(٣) لا ترحوها: لا تقطعوها. ينظر: ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ١٨٦؛ ابن منظور، لسان العرب، ٢/٤١٧.

(٤) ال عمران/ ١٨٢.

(٥) نهج البلاغة، ص ٢٥٨. وفي هذا القول إشارة إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد/ ١١).

## ... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

النعمة الذنوب لأن مرجع الذنوب إلى استيلاء القوة الشهوانية والغضبية ومن استولى عليه هاتان القوتان فهو لا يقدر على أمسك النعمة بسبب عجزه عن إمساكها ويكون زوال نعمته في الدنيا مكافأة لذنوبه<sup>(١)</sup> وهذا قانون طبيعي وسنة كونية جعلها الله في الكون<sup>(٢)</sup> إذ إن كل ذنب يترك أثراً سيئاً في الفرد والمجتمع على السواء والمذنب يلاقي جزاءه حتماً.

واتفق اغلب الشارحين<sup>(٣)</sup> على الفهم السابق لكلام الإمام (عليه السلام) إلا أن محمد جواد مغنية عبر عنه (ان الإمام (عليه السلام) يتكلم عن الجماعة دون الأفراد كما هو الظاهر من كلمة (قوم) وأن مراده من النعمة الحياة الكريمة بالخصوص، ومن الذنوب الفرقة والشتات، أي قوم أنعم الله عليهم بدولة كريمة تصونهم من الاعتداء وتحقق لهم الطمأنينة والاستقرار ثم تشاحنوا وتباغضوا فتزول عنهم هذه النعمة، ويصبحون لقمة سائغة لكل طامع<sup>(٤)</sup>) وهذا التحليل يتفق مع مفهوم السنن التاريخية الثابتة التي تنطبق على الجميع وأثرها حتمي، فالإمام (عليه السلام) بيّن هنا أسباب زوال النعم عن الأقسام ومن ثمّ هلاكهم بعد ذلك بين لهم سبيل الخروج من النقم وزوال النعم إلى الرجوع إلى الله عز وجل بنوايا صادقة والعمل بأسبابه وسننه حتى يتخلصوا من ذلك لأن سنة الله ثابتة لا تتبدل ولا تتغير في جميع جوانب الحياة كما قال تعالى ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ

(١) البيهقي، معارج نهج البلاغة، ٦١٣. وينظر: الكيذري البيهقي، حدائق الحقائق، ٩٤ / ٢.

(٢) الموسوي، شرح نهج البلاغة، ٣١٦٠.

(٣) ينظر: البحراني، شرح نهج البلاغة، ٣٧١ / ٢؛ حبيب الله الخوئي، منهاج البراعة، ٢٥٤ / ١٠؛

الحسيني الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ٧٩ / ٣؛ مكارم شيرازي، نفحات الولاية، ٤٣٨ / ٦.

(٤) مغنية، في ظلال نهج البلاغة، ٩ / ٣.

## ... المبحث الثاني: آثار تحدي السنن التاريخية...

الله تَحْوِيلًا<sup>(١)</sup>، غير إن هذا لا يمنع التخصيص وإن المجتمع والجماعة والقوم إنما هم مجموع أفراد وثقافات، وقد يكون الذنب فرديًا ولكن المساعدة والمساندة والسكون والرضا هي مقدمات للاجتماع والعموم، كما هو الحال في عاقر ناقة صالح وتعميم العذاب<sup>(٢)</sup>.

أما فيما يخص استشهاد الإمام (عليه السلام) بالآية القرآنية فهو دليل واضح على قانون الاختيار وحرية الإرادة، وفيه حقيقة أن الله لا يعاقب أحدا من دون سبب، ولا يزيد في عقاب أحد دون دليل<sup>(٣)</sup>.

(١) فاطر/٤٣.

(٢) وردت الكثير من الآيات القرآنية والروايات عن ائمة أهل البيت (عليهم السلام) فيما يخص ناقة صالح (عليه السلام) وهلاك قومه (ثمود) بسبب عقرها على الرغم من أن فاعلها واحد، لكن العذاب شملهم كلهم بسبب تأييدهم عقرها وسكوتهم ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَلذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرِ مَكْدُوبٍ ﴿٦٥﴾ (هود/٦٤-٦٥) وكذلك قول الإمام علي (عليه السلام) ((إيها الناس إِنَّا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ وَإِنَّا عَقَرْنَا نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمْ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمَّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ ﴿فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ حَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْحُسْفَى﴾)) (نهج البلاغة، ٣١٩). وينظر: الشعر/ ١٧٥، الشمس/ ١٤.

(٣) مكارم شيرازي، التفسير الامثل، ٤٣١/١٥.



# الخاتمة



## الخاتمة

وبعد إكمال الدراسة يمكن الخروج بجملته من النتائج:

- ١- إبراز المنهج التثقيفي التوعوي الذي يضطلع به نهج البلاغة كمتراجم لخطاب الإمام علي (عليه السلام) ببعديه النظري والعملي.
- ٢- إن طرح الإمام علي (عليه السلام) للسنن التاريخية يعكس الفكر الإسلامي الحقيقي في التعامل مع القوانين الإلهية، فهو خير من مثل الدين الإسلامي والقرآن الكريم.
- ٣- إن الله تعالى خلق البشر وسخر لهم سنناً تاريخية دقيقة وينبغي على كل فرد أن يفهمها، لأنَّ طريق النجاح والتطور والأبداع في معرفتها والعمل بها، والهلاك وال فشل بسبب تحديها، فالإعراض وعدم مراعاة السنن التاريخية له آثارٌ ومعطيات سلبية في الأفراد والأمم تتمثل في سيادة العشوائية وانحطاط المجتمعات، والعكس صحيح عند مراعاتها.
- ٤- إن السنن التاريخية تتشابه مع القوانين في العلوم الصرفة من حيث الثبات والاستمرارية ما يحكم بعلمية التاريخ كما العلوم الأخرى.

٥- ان الأمم المتقدمة هي الأمم التي تستفيد من التاريخ عن طريق قوانينه التي تحكم الأحداث ومعرفة أسباب التطور والتحضر وأسباب الانحلال والتدهور، على عكس الأمم التي تعاني من الضعف والجمود، لأنها عاجزة عن فهم حركة التاريخ واستيعاب القواعد والقوانين التي تحكمه.

٦- ان جريان جميع السنن التاريخية لا يتصادم أو يتعارض مع اختيار الإنسان وإرادته، بل أنها تجري من تحت يده وبمحض إرادته، إذ أن الحديث عن سنن التاريخ لا يعني أن هناك جبرية إلهية تفرض على البشر في قراراتهم وتتحكم في تصرفاتهم دون أن يكون لهم حرية الاختيار وإنما هو حديث عن حركة ضوابط وشروط ومقدمات تتحكم في النتائج والآثار، وهو دليل على ان الله خلق الخلق على وفق نظام دقيق يهيمن عليه قانون السببية ويمكن للإنسان التعرف على ذلك من خلال الحقائق والأفعال التي يقوم بها وبذلك يعرف نتائجها في مختلف الأزمنة والأماكن لأنها لا يمثلان عائقاً أمام السنن التاريخية بل هما ميدان لتلك السنن.

## المصادر والمراجع



## المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد، ت ٦٣٠ هـ

١. الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٦ م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات الجزري، ت ٦٠٦ هـ

٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، تح طاهر أحمد الزاوي، ط ٤، مؤسسة

اسماعيليان قم ١٣٦٤ ش.

ابن إدريس الحلي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت ٥٩٨ هـ

٣. مستطرفات السرائر، تح محمد مهدي الخرسان، ط ١، العتبة العلوية المقدسة،

النجف ٢٠٠٨ م.

الإسكافي، أبو علي محمد بن همام، ت ٣٣٦ هـ.

٤. التمهيد، تح مدرسة الإمام المهدي، مدرسة الإمام المهدي، قم (د. ت).

الأشعري، أبو الحسن ورام بن أبي فراس المالكي، ت ٦٠٥ هـ

٥. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ط ٢، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٨ ش.

الأندلسي، أبو حيان ت ٧٤٥ هـ

٦. تفسير البحر المحيط، تح عادل أحمد، محمد علي معوض، ط ١، دار الكتب

العلمية، بيروت ٢٠٠١ م.

... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

- الأنصاري، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف المصري، ٧٦١م.
٧. مغنى اللبيب، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة المرعشي، قم ١٤٠٤هـ.
- البحراني، ميثم بن علي بن ميثم، ت ٦٩٩هـ
٨. اختيار مصباح السالكين، تح محمد هادي الأميني، ط ١، مجموعة البحوث الإسلامية، ايران ١٤٠٨هـ.
٩. شرح نهج البلاغة، ط ١، مكتب الأعلام الإسلامي، قم ١٣٦٣ ش.
١٠. شرح مئة كلمة، تح مير جلال الدين الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (د.ت).
- البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد، ت ٢٧٤هـ
١١. المحاسن، تح جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٧٠ ش.
- أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى، ت ١٠٩٤هـ
١٢. الكليات، ط ٢، بيروت ١٩٩٨م.
- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن علي، ت ٦٨٣هـ
١٣. تفسير البيضاوي، بيروت (د.ت).
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، ت ٤٥٨هـ
١٤. شعب الإيمان، تح أبو هاجر محمد السعيد وبسيوني زغلول، ط ١، دار الكتب الإسلامية، بيروت ١٩٩٠م.
١٥. السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت (د.ت).
- البيهقي، أبو الحسن علي بن زيد، ت ٥٦٥هـ
١٦. معارج نهج البلاغة، تح محمد تقي دانس، ط ١، مكتبة المرعشي، قم ١٤٠٩هـ.

## ... المصادر والمراجع ...

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، ت ٢٧٩هـ
١٧. سنن الترمذي، تح عبد الوهاب عبد اللطيف، ط ٢، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م.
- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، ت ٤٢٧هـ
١٨. الكشف والبيان من تفسير القرآن، تح محمد بن عاشور، ط ١، دار أحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٢م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو، ت ٢٥٥هـ
١٩. رسائل الجاحظ، تح عبد الله محمد هارون، القاهرة (د. ت).
- الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، ت ٨١٦هـ
٢٠. معجم التعريفات، تح صديق المنشاوي، القاهرة (د. ت).
- الخصاص، أبو بكر أحمد بن علي، ت ٣٧٠هـ
٢١. أحكام القرآن، تح عبد السلام محمود شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، ت ٥٩٧هـ
٢٢. زاد الميسر في علم التفسير، تح محمد بن عبد الرحمن، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، ت ٣٩٣هـ
٢٣. الصحاح تاج اللغة، تح أحمد عبد الغفور العطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٧م.
- ابن حبان، أبو حاتم محمد، ت ٣٥٤هـ
٢٤. صحيح ابن حبان، تح شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٣م.
٢٥. مشاهير علماء الأمصار، مرزوق علي إبراهيم، ط ١، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة (د. ت).

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، ت ٨٥٣هـ
٢٦. الإصابة في تمييز الصحابة، تح أحمد عبد الموجود علي محمد، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ.
- ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الللة، ت ٦٥٦هـ
٢٧. شرح نهج البلاغة، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار أحياء الكتب العربية، قم ١٩٦٥ م.
- الحر العاملي محمد بن الحسين. ت ١١٠٤هـ
٢٨. وسائل الشيعة، تح مؤسسة أهل البيت، مؤسسة أهل البيت، قم ١٤١٤هـ.
- الحربي، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق، ت ٢٨٥هـ
٢٩. غريب الحديث، تح سليمان بن إبراهيم العابر، ط ١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جدة ١٤٠٥هـ.
- الحسيني، أبو الحسن يحيى بن حمزة بن علي، ت ٦٦٩هـ
٣٠. ديباج الوضي في شرح كلام الوصي وشرح نهج البلاغة، تح خالد بن قاسم المتوكل، ط ١، مؤسسة الإمام زيد بن علي، النجف ٢٠٠٠ م.
- الخلبي، أبو صلاح تقي بن نجم ت ٤٤٧هـ
٣١. تقريب المعارف، تح فارس تبريزيان، (د. م) ١٣٧٥ ش.
- العلامة الحلي، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر ت ٧٢٦هـ
٣٢. تحرير الأحكام، تح الشيخ إبراهيم البهادري، ط ١، مؤسسة الإمام الصادق، قم ١٤٢٠هـ.
- ابن حمدون، حمد بن الحسن بن محمد بن علي ت ٥٦٢هـ
٣٣. التذكرة الحمدونية، تح إحسان عباس و بكر عباس، ط ١، دار صادر،

## ...المصادر والمراجع...

- بيروت ١٩٩٦ م. الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ت ٦٢٦ هـ.
٣٤. معجم البلدان، دار أحياء التراث، بيروت ١٩٧٩ م.
- ابن حنبل، الإمام أحمد، ٢٤١ هـ
٣٥. مسند أحمد، دار صادر، بيروت (د. ت).
- الحزاز القمي، أبو القاسم علي بن محمد بن علي، ت ٤٠٠ هـ
٣٦. كفاية الأثر، تح عبد اللطيف الحسيني، انتشارات بيذا، قم ١٤٠١ هـ.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، ت ٤٦٣ هـ
٣٧. تاريخ بغداد، تح مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧ م.
- الديلمي، الحسن بن محمد، ت. ق ٨
٣٨. أرشاد القلوب، ط ٢، انتشارات الشريف الرضي، قم ١٤١٤ هـ.
٣٩. أعلام الدين في صفات المؤمنين، تح مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، قم (د. ت).
- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ت ٢٧٦ هـ
٤٠. غريب الحديث، تح عبد الله الجبوري، ط ١، دار الكتب العلمية، قم ١٤٠٨ هـ.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، ت ٧٤٨ هـ
٤١. سير أعلام النبلاء، تح علي أبو زيد، ط ٩، بيروت ١٩٩٣ م.
٤٢. الكبائر، تح مشهور بن حسن ال سلمان، ط ٢، الإمارات ٢٠٠٣ م.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، ت ٦٠٦ هـ
٤٣. تفسير الرازي، ط ٣، (د. م) (د. ت).

- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ت ٧٢١هـ  
٤٤. مختار الصحاح، تح أحمد شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت  
١٩٩٤م.
- الراغب الاصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ت ٤٢٥هـ  
٤٥. مفردات القرآن الكريم، تح صفوان عدنان داوود، ط ٢، طليعة النور، قم  
١٤٢٧هـ.
- الراوندي، قطب الدين أبو الحسين، ت ٥٧٤هـ  
٤٦. الدعوات، تح مدرسة الإمام المهدي، ط ١، قم (د. ت).  
٤٧. منهج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح عبد اللطيف الكوهكموي، مكتبة  
المرعشي، قم ١٤٠٦هـ.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر، ت ٧٩٤هـ  
٤٨. البحر المحيط في أصول الفقه، تح محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية،  
بيروت ٢٠٠٠م.
- الزنجشيري، أبو القاسم محمود بن عمر، ت ٥٣٨هـ  
٤٩. أساس البلاغة، دار ومطابع الشعب، القاهرة ١٩٦٠م.
٥٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة ومطبعة  
مصطفى البابلي، مصر ١٩٦٦م.
- الإمام زين العابدين، علي بن الحسين، ت ٩٤هـ  
٥١. شرح رسالة الحقوق، تح حسين سيد علي القبانجي، مطبعة اسماعيليان، قم  
١٤٠٦هـ. ابن سعد، ت ٢٣٠هـ.
٥٢. الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت (د. ت).

أبو السعود، محمد بن محمد ت ٩٥١هـ

٥٣. تفسير أبي السعود، تح حمد بن محمد العمادي، (د. م) (د. ت).

السمرقندي، أبو الليث، ت ٣٨٣هـ

٥٤. تفسير السمرقندي، تح محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت (د. ت).

السمعاني، ت ٤٨٩هـ

٥٥. تفسير السمعاني، تح ياسر بن ابراهيم، ط ١، دار الوطن، الرياض ١٩٩٧م.

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الاندلسي، ت ٤٥٨هـ

٥٦. المخصص، تح لجنة التراث العربي، دار أحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).

السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن، ت ٩١١هـ

٥٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (د. ت).

شارح من أعلام القرن الثامن، ت. ق ٨هـ

٥٨. شرح نهج البلاغة، تح عزيز الله عطارد، ط ١، مطبعة الهادي، قم ١٣٧٥ش.

أبو شعبة الحراني، محمد الحسن بن علي، ت. ق ٤هـ

٥٩. تحف العقول عن ال الرسول، تح علي اكبر الغفاري، ط ٢، مؤسسة النشر

الإسلامي، قم ١٤٠٤هـ.

ابن شهر اشوب، مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي، ت ٥٨٨هـ

٦٠. مناقب ال أبي طالب، تح لجنة من اساتذة النجف، المكتبة الحيدرية، النجف

الأشرف ١٩٥٦م.

الصدوق، محمد بن علي بن بابويه القمي، ت ٣٨١هـ

٦١. الاعتقادات في دين الإمامية، تح عصام عبد السيد، ط ٢، دار المفيد، لبنان

١٤١٤هـ.

... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

٦٢. الأمالي، تح قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، ط ١، قم ١٤١٧ هـ.
٦٣. ثواب الأعمال، تح محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم ١٣٦٨ ش.
٦٤. الخصال. تح علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٣ هـ.
٦٥. كمال الدين وإكمال النعمة، تح علي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٥ هـ.
٦٦. معاني الأخبار، تح علي اكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٣٧٩ هـ.
٦٧. المقنع، تح مؤسسة الإمام المهدي، مطبعة اعتماد ١٤١٥ هـ.
٦٨. من لا يحضره الفقيه، علي اكبر غفاري، ط ٢، قم (د. ت).
٦٩. الهداية، تح مؤسسة الإمام الهادي، ط ١، قم ١٤١٨ هـ.
- الصنعاني، عبد الرزاق، ت ٢١١ هـ
٧٠. المصنف، تح حبيب الله الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، (د. م) (د. ت).
- ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى، ت ٦٦٤ هـ
٧١. فلاح السائل، (د. م) (د. ت).
٧٢. اللهوف في قتلى الطفوف، ط ١، إيران قم ١٤١٧ هـ.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت ٣٦٠ هـ
٧٣. الدعاء، تح مصطفى عبد القادر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣ م.
٧٤. المعجم الكبير، تح حمدي السلفي، ط ٢، دار أحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).
- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، ت ٥٤٨ هـ
٧٥. الاحتجاج، تح السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الاشرف (د. ت).

## ...المصادر والمراجع...

٧٦. تفسير مجمع البيان، تح نخبة من العلماء المختصين، ط ١، مؤسسة الاعلمي، بيروت ١٩٩٥ م.

الطبرسي، أبو الفضل علي بن الشيخ رضي الدين بن أبي علي الفضل، ت. ق ٧ هـ

٧٧. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تح مهدي هوشمند، ط ١، دار الحديث، قم ١٤١٨ هـ. الطبري، محمد بن جرير، ت ٣١٠ هـ

٧٨. تاريخ الرسل والملوك، تح نخبة من العلماء، بيروت (د. ت).

٧٩. جامع البيان في تأويل القرآن، تح خليل الميس، صدقي جميل العطار، مؤسسة الاعلمي، بيروت ١٩٩٥ م.

الطبري، محمد بن أبي القاسم، ت ٥٢٥ هـ

٨٠. بشارة المصطفى، تح جواد الاصفهاني، ط ١، ايران قم ١٤٢٠.

الطريحي، فخر الدين بن محمد بن علي النجفي، ت ١٠٨٥ هـ

٨١. مجمع البحرين، تح أحمد الحسيني، ط ١، مرتضوي، طهران ١٣٦٢ ش.

الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، ت ٤٦٠ هـ

٨٢. اختيار معرفة الرجال، تح مهدي رجائي، مؤسسة أهل البيت، قم ١٤٠٤ هـ.

٨٣. الأمالي، قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، ط ١، دار الثقافة، قم ١٤١٤ هـ.

٨٤. التبيان في تفسير القرآن، تح أحمد حبيب العاملي، ط ١، مكتبة الأعلام الإسلامي، ايران ١٤٠٢ هـ.

٨٥. تهذيب الأحكام، تح حسن الخراسان، ط ٢، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٤ ش.

العاملي، جمال الدين يوسف بن حام الشامي، ت ٦٦٤ هـ

## ... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

٨٦. الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (د. ت).
٨٧. المبسوط، تح محمد تقي الكشفي، المكتبة المرتضوية لأحياء اثار الجعفرية، (د. م) (د. ت).
- عبد الوهاب، ت. ق ٦هـ
٨٨. شرح كلمات أمير المؤمنين، تح جلال الدين الحسيني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٣٩٠هـ.
- ابن عربي، عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله محي الدين، ت ٦٣٨هـ
٨٩. تفسير ابن عربي، تح عبد الوارث محمد علي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤هـ.
٩٠. الفتوحات الملكية، تح يحيى عثمان، المكتبة العربية، القاهرة ١٩٧٧م.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي ت ٥٧١هـ
٩١. تاريخ مدينة دمشق، تح علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.
٩٢. ترجمة الامام الحسن، تح محمد باقر المحمودي، ط ١، مجمع احياء الثقافة الاسلامية، بيروت ١٩٨٠.
- علي، الإمام، ت ٤٠هـ
٩٣. نهج البلاغة، ضبط صبحي صالح، ط ١، بيروت ١٩٦٧م.
- العياشي، محمد بن مسعود، ت ٣٢٠هـ
٩٤. تفسير العياشي، تح هاشم الرسولي، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران (د. ت).
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥هـ
٩٥. معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الأعلام الإسلامية، قم ١٤٠٤هـ.

## ...المصادر والمراجع...

- الفتال النيسابوري، أبو علي محمد بن الحسن، ت ٥٠٨ هـ  
٩٦. روضة الواعظين، تح محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي،  
قم (د. ت).  
الفتني، محمد طاهر بن علي، ت ٩٨٦ هـ  
٩٧. تذكرة الموضوعات، (د. م) (د. ت).  
الفرهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، ت ١٧٥ هـ  
٩٨. العين، تح مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط ٢، دار الهجرة، قم  
١٤٠٩ هـ.  
ابن فهد الحلبي، أحمد ت ٨٤١ هـ  
٩٩. عدة الداعي ونجاح المساعي، تح أحمد الموحد، قم (د. ت).  
الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، ت ٨١٧ هـ  
١٠٠. القاموس المحيط، (د. م) (د. ت).  
الفيض الكاشاني، محمد محسن، ت ١١٠٤ هـ  
١٠١. التفسير الاصفى، تح مركز الدراسات الإسلامية، مطبعة المكتب الإسلامي،  
ط ١، قم ١٤١٨ هـ.  
١٠٢. الوافي، تح ضياء الدين الحسيني، مكتبة أمير المؤمنين عليّة السلام، اصفهان  
١٤٠٩ هـ.  
القرطبي، محمد بن أحمد الانصاري، ت ٦٧١ هـ  
١٠٣. الجامع لأحكام القرآن، تح أحمد عبد الحلیم، ط ١، دار أحياء التراث العربي،  
بيروت ١٩٣٠ م.  
القمي، أبو الحسن علي ابن ابراهيم، ت ٣٢٩ هـ

## ... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

١٠٤. تفسير القمي، تح سيد طيب الموسوي، دار الكتاب، قم ١٤٠٤ هـ.
- الكاشاني، ملا فتح الله بن شكر الله، ت ٩٨٨ هـ
١٠٥. زبدة التفاسير، تح مؤسسة المعارف، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم ١٤٣٣ هـ.
- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، ت ٣٢٩ هـ
١٠٦. الكافي، تح علي أكبر الغفاري، ط ٣، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٦٧ ش.
- الكندري البيهقي، قطب الدين محمد بن الحسين بن الحسن، ت. ق ٨ هـ
١٠٧. حدائق الحقائق، تح عزيز الله العطاردي، ط ١، مطبعة اعتماد، قم ١٤١٦ هـ.
- الكوفي، الحسين بن سعيد، ت ق ٣ هـ
١٠٨. الزهد، تح ميرزا غلام رضا، المطبعة العلمية، قم ١٣٩٩ هـ.
- الليثي الواسطي، كافي الدين علي بن محمد، ت. ق ٦ هـ
١٠٩. عيون الحكم والمواعظ، تح حسين الحسيني، ط ١، دار الحديث، قم ١٣٧٦ ش.
- ابن ماجه، محمد بن أبي عبد الله بن يزيد القزويني، ت ٢٧٥ هـ
١١٠. سنن ابن ماجه، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت (د. ت).
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، ت ٢٨٥ هـ
١١١. الكامل في اللغة والأدب، تح عبد الحميد هندراوي، دار العلوم، القاهرة ١٩٩٨ م.
- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام، ت ٩٧٥ هـ.
١١٢. كنز العمال، تح بكرى حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩ م.
- المجلسي، محمد باقر، ت ١١١١ هـ
١١٣. بحار الأنوار، تح عبد الرحيم الشيرازي، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣ م.
- المجلسي، المولى محمد تقى، ت ١٠٧٠ هـ

## ... المصادر والمراجع ...

١١٤. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، تح حسين الموسوي، بنيا د فرهنك إسلامي، (د. ت) (د. م).
- المزي، جمال الدين بن الحجاج يوسف، ٧٤٢هـ
١١٥. تهذيب الكمال، تح بشار عواد معروف، ط ٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٧ م.
- المسعودي، علي بن الحسين بن علي، ت ٣٤٦هـ
١١٦. التنبية والأشراف، بيروت (د. ت).
١١٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط ٢، دار الهجرة، قم ١٩٦٥ م.
- ابن مسكويه، أحمد بن محمد الرازي ت ٤٢١هـ
١١٨. تجارب الأمم، ت أبو القاسم امامي، ط ٢، دار سروش للطباعة والنشر، طهران ٢٠٠١ م.
- مسلم النيسابوري، ت ٣٦١هـ
١١٩. صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت (د. ت).
- المفيد، أبو عبد الله محمد بن النعمان، ت ٤١٣هـ
١٢٠. الاختصاص، تح علي أكبر الغفاري، ط ٢، دار المفيد، بيروت ١٩٩٣هـ.
١٢١. الإرشاد، تح مؤسسة أهل البيت، ط ٢، دار المفيد للنشر والطباعة، بيروت ١٩٩٣ م.
١٢٢. أوائل المقالات، تح إبراهيم الأنصاري، ط ٢، دار المفيد للمطبوعات، بيروت ١٩٩٣ م.
١٢٣. الجمل، ط ٣، إيران قم ١٩٨٣ م.
١٢٤. تفسير القرآن المجيد، تح محمد علي، ط ١، مطبعة الاعلام الإسلامي، قم

١٤٢٤هـ.

- المنذري، الحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي ت ٦٥٦هـ  
١٢٥. الترهيب والترغيب، تح مصطفى محمد عمارة، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م.  
ابن منظور، جمال الدين بن محمد بن مكرم المصري، ت ٧١١هـ  
١٢٦. لسان العرب، أدب الحوزة، ايران ١٤٠٥هـ.  
النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، ت ٣٣٨هـ.  
١٢٧. معاني القرآن، تح محمد علي الصابوني، ط ١، جامعة ام القرى، السعودية ١٩٨٩.  
النسائي، أحمد بن شعيب بن علي بن دينار، ت ٣٠٣هـ  
١٢٨. سنن النسائي، ط ١، دار الفكر، بيروت ١٩٣٠م.  
النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، ت ٥٢٧هـ  
١٢٩. تفسير النسفي، (د. م) (د. ت).  
النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم، ت ٤٠٥هـ  
١٣٠. المستدرک، تح يوسف عبد الرحمن، بيروت (د. ت).  
الواحدى، أبو الحسن، ت ٤٦٨هـ  
١٣١. تفسير الواحدى، تح صفوان عدنان داوودي، ط ١، دار القلم، بيروت  
١٤١٥م.  
اليقوبى، حمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح، ت ٢٨٤هـ  
١٣٢. تاريخ اليقوبى، دار صادر، بيروت (د. ت).

## ثانياً: المراجع

إبراهيم مصطفى وآخرون

١٣٣. المعجم الوسيط، ط ٤، القاهرة ٢٠٠٤ م.

الألوسي، ت ١٢٧٠ هـ

١٣٤. تفسير الألوسي، (د. م) (م. ت).

الأمين، سيد محسن، ت ١٣٧٣ هـ

١٣٥. أعيان الشيعة، تح حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٣ م.

الأميني، عبد الحسين أحمد النجفي ت ١٣٩٢ هـ

١٣٦. الغدير، ط ٤، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٧ م.

انصاريان، علي

١٣٦. الدليل على موضوعات نهج البلاغة، انتشارات ياسر، طهران ١٣٩٦ ش.

اويس كريم

١٣٧. المعجم الموضوعي لنهج البلاغة، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر الآستانة

الرضوية المقدسة، مشهد ١٤٠٨ هـ.

ايوب، سعيد

١٣٨. الانحرافات الكبرى، ط ١، دار الهادي، بيروت ١٩٩٢ م.

بابا سيلا، محمد سعيد

١٣٩. أسباب هلاك الأمم السالفة، ط ١، دار ابن الجوزي الرياض ٢٠٠٠ م.

بيضون، لبيب

١٤٠. تصنيف نهج البلاغة، ط ٢، مكتب الأعلام الإسلامي، طهران ١٤٠٨ هـ.

التستري، محمد تقي

١٤١. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ط ١، دار أمير كبير للنشر، طهران ١٩٩٧ م.  
التميمي، اركان

١٤٢. صفوة شروح نهج البلاغة، ط ٢، مؤسسة العارف، بيروت ٢٠٠٤ م.

جابر، حميد سراج

١٤٣. الجودة وفلسفة اتقان العمل في فكر الإمام علي، ط ١، مطبعة تموز، دمشق ٢٠١٢ م.

١٤٤. الدبلوماسية وقواعد المواجهة في فكر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ط ١، مطبعة تموز، دمشق ٢٠١٢ م.

١٤٥. فلسفة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الإصلاحية في تشخيص أسباب سقوط الحضارات، ط ١، دار الكفيل للطباعة والنشر، كربلاء ٢٠١٧ م.

١٤٦. فلسفة التاريخ في فكر الإمام علي دراسة في نهج البلاغة، دار الكفيل العتبة الحسينية، كربلاء ٢٠١٧ م.

١٤٧. فلسفة الأحكام في نهج البلاغة، كتاب مخطوط.

جرداق، جورج

١٤٨. روائع نهج البلاغة، ط ٢، مركز الغدير للدراسات الإسلامية قم ١٩٩٧ م.

حبيب الله الخوئي، الهاشمي، ت ١٤٢٤ هـ

١٤٩. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تح إبراهيم الميانجي، ط ٤، دار الهجرة، قم (د. ت).

الحسيني الشيرازي، محمد، ت ١٤٢٢ هـ

١٥٠. توضيح نهج البلاغة، دار التراث الشيعية، طهران (د. ت).

...المصادر والمراجع...

- الحكيم، محمد باقر، ت ٢٠٠٤ م  
١٥١. دورة أهل البيت (عليهم السلام) في بناء الجماعة الصالحة، ط ٢، المجمع  
العالمي لأهل البيت ١٤٢٥ م.  
الحميد، حسن بن صالح  
١٥٢. سنن الله من خلال آيات القرآن الكريم، ط ١، دار الهدى النبوي، المنصورة  
مصر (د. ت).  
الحيدري، السيد أحمد هيثم  
١٥٣. حقيقة البلاء وحتميته ودور الدنيا في بلاء الإنسان، ط ١، مؤسسة علوم نهج  
البلاغة، كربلاء ٢٠١٥ م.  
الخرساني، محمد تقي النقوي  
١٥٤. مفتاح السعادة، مكتبة المصطفوي، طهران (د. ت).  
خليل، عماد الدين  
١٥٥. التفسير الإسلامي للتاريخ، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١ م.  
الدخيل، محمد علي  
١٥٦. شرح نهج البلاغة، (د. م) (م. ت).  
رضا، محمد رشيد  
١٥٧. تفسير المنار، ط ٢، دار المنار، القاهرة ١٩٤٧ م.  
الزبيدي، محب الدين السيد مرتضى الحسيني  
١٥٨. تاج العروس، تح علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤ م.  
زكي، رمضان خميس

... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

١٥٩. سنن الله في هلاك الامم، ط ١، القاهرة ٢٠١٤ م.

١٦٠. مفهوم السنن الربانية، (د. م) (د. ت).

زيدان، عبد الكريم

١٦١. السنن الإلهية في الجماعات والأمم، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣ م.

السبحاني، الشيخ جعفر

١٦٢. الإلهيات، تح حسن محمد مكي العاملي، دار الإسلامية، بيروت ١٩٨٩ م.

السيسي، محمد

١٦٣. السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، جامعة قطر (د. ت).

شبر، عبد الله

١٦٤. نخبة الشرحين، ط ١، انتشارات المحيين، قم ٢٠٠٤ م.

شمس الدين، محمد مهدي

١٦٥. التاريخ وحركة التقدم البشري، (د. م) (د. ت).

١٦٦. دراسات في نهج البلاغة، ط ٢، دار الزهراء، بيروت ١٩٧٣ م.

الشوكاني، محمد بن علي، ت ١٢٥٥ هـ

١٦٧. أرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ط ١، مطبعة مصطفى

الخلبي، مصر ١٩٣٧ م.

١٦٨. الفتح القدير، (د. م) (د. ت).

الصبان، محمد بن علي، ت ١٢٠٦ هـ

١٦٩. حاشية على شرح الاشموني لألفية ابن مالك، (د. م) (د. ت).

الصدر، محمد باقر

## ...المصادر والمراجع...

١٧٠. السنن التاريخية في القرآن الكريم، ط١، دار أحياء التراث العربي، بيروت  
٢٠١١ م.

صديقي، عبد الحميد

١٧١. تفسير التاريخ، دار القلم ١٩٨٠ م.

الطباطبائي، محمد حسين، ت ١٤٠٢ هـ

١٧٢. تفسير الميزان، مؤسسة النشر الإسلامي، قم (د. ت).

الطبرسي، ميرزا حسين نوري، ت ١٣٢٠ هـ

١٧٣. مستدرك الرسائل، ط٢، مؤسسة أهل البيت لأحياء التراث، بيروت ١٩٨٨ م.

عبد، محمد

١٧٤. شرح نهج البلاغة، ط٢، دار الفكر، بيروت ٢٠١١ م.

عيساوي، عادل بن بوزيد

١٧٥. فقه السنن الإلهية، ط١، مركز البحوث والدراسات، قطر ٢٠١٢ م.

القمي، عباس، ت ١٣٥٩ هـ

١٧٦. شرح حكم نهج البلاغة، دار الأنصار، قم (د. ت).

كهوس، رشيد أبو اليسر

١٧٧. السنن الإلهية وخصائصها، (د. م) (د. ت).

١٧٨. معلمة السنن الإلهية، ط١، دار الكلمة، المنصورة ٢٠١٥ هـ.

مركز الرسالة

١٧٩. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط١، مركز الرسالة، قم ١٤٢٠ هـ.

١٨٠. الدعاء حقيقته وآدابه وآثاره، ط١، مركز الرسالة، قم ١٤١٩ هـ.

## ... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

١٨١. دور العقيدة في بناء الإنسان، مركز الرسالة، قم ١٤١٨ هـ.

مغنية، محمد جواد، ت ١٤٠٠ هـ

١٨٢. تفسير الكاشف، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١ م.

١٨٣. في ظلال نهج البلاغة، ط ١، انتشارات كلمة الحق، ١٤٢٧ هـ.

مكارم شيرازي، ناصر

١٨٤. التفسير الأمثل في كتاب الله المنزل، (د. م) (د. ت).

١٨٥. نفحات الولاية، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، قم ١٤٢٦ هـ.

مكتبة الروضة الحيدرية

١٨٦. الابتلاء والاختبار في نهج البلاغة، العتبة العلوية المقدسة، النجف الاشرف

٢٠١١ م.

الموسوي، عباس

١٨٧. شرح نهج البلاغة، ط ١، دار الرسول الأكرم، بيروت ١٩٩٨ م.

١٨٨. شرح الوصية الخالدة، ط ١، دار الأضواء، بيروت ١٩٨٥ م.

الشيخ اليعقوبي، محمد

١٨٩. الأسوة الحسنة، دار الصادقين، النجف ٢٠١٤ م.

١٨٩٠. خطاب المرحلة، دار الصادقين، النجف ٢٠١٤ م.

### ثالثاً: البحوث:

جابر، حميد سراج

١٩١. التوظيف الفكري لسنن القرآن الكريم التاريخية في مواجهة الإرهاب

وتداعياته، مجلة البحوث، العدد ٥، لندن ٢٠١٧ م.

## ...المصادر والمراجع...

١٩٢. حركية السنن التاريخية في الحيز التطبيقي للعلوم الإنسانية، وقائع مؤتمر، تركيا، ٢٠١٧م.

جواد، انتصار كاظم

١٩٣. أساليب الثواب والعقاب وأهميتها في عملية التعليم، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ٢، الجامعة المستنصرية بغداد (د.ت).

عاشور، مجدي

١٩٤. السنن الإلهية مصادرها وضوابطها، مجلة المسلم المعاصر، العدد ١١، لبنان ٢٠٠٤م. عماد كريم، خضر إبراهيم

١٩٥. السنن الإلهية في القرآن الكريم ودورها في استشراق المستقبل، مجلة المنارة، العدد ٢، ٢٠٠٩م.

كهوس، رشيد أبو اليسر

١٩٦. السنن الإلهية الكونية والاجتماعية، مجلة تدبر الصادرة عن الهيئة العالمية لتدبر القرآن بقطر، العدد الأول، قطر ٢٠١٦م.

يوسف، يوسف إبراهيم

١٩٧. السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، كلية الشريعة والقانون جامعة قطر، (د.ت).

## رابعاً: الرسائل والإطاريح

أبو سيخل، محمد اسماعيل

١٩٨. الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية التربية الجامعة الإسلامية في غزة، ٢٠٠٧م.

قبلي، حسن سلمان

## ... السنن التاريخية في نهج البلاغة ...

١٩٩. السنن التاريخية في القرآن الكريم، اطروحة دكتوراه، جامعة الخرطوم  
٢٠٠٨م.

عبد الحسن، شكري ناصر

٢٠٠. الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) دراسة في فكره العسكري، اطروحة  
دكتوراه، كلية التربية جامعة البصرة ٢٠٠٥م.

مصطفى، هادف

٢٠١. فقه السنن الإلهية وأثره في الدعوة الإسلامية، أطروحة دكتوراه، جامعة  
الحاج خضر الجزائر ٢٠١٣م.

### خامساً: المراجع الالكترونية في الشبكة العنكبوتية:

الجرتيلي، محمد

٢٠٢. السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، [www.lakuh.not](http://www.lakuh.not).

الركابي، أياد

٢٠٣. السنن التاريخية في القرآن المجيد. [www.alshaikhalrekabi.com](http://www.alshaikhalrekabi.com)

المسلي، فلاح

٢٠٤. السنن الإلهية في القرآن الكريم، مؤسسة الحكمة الثقافية الإسلامية، وكالة

أنباء برانا، <http://burathanews.com>.

الشيخ يعقوبي، محمد

٢٠٥. سنة الاستدراج، <http://yaqoobi.com>.

## المحتويات

٧	.....مقدمة المؤسسة
٩	.....مقدمة

### الفصل الأول

#### مفهوم السنن التاريخية

١٧	.....المبحث الأول: معاني السنن اللغوية ومدلولاتها الاصطلاحية
١٧	.....أولاً: السنة في اللغة
١٩	.....ثانياً: السنن التاريخية في الاصطلاح
٢٥	.....المبحث الثاني: مفهوم السنن التاريخية في فكر الإمام علي عليه السلام
٢٥	.....أولاً: مصطلح السنة ودلالاته الفكرية:
٣٢	.....ثانياً: حكم السنن التاريخية:
٣٧	.....ثالثاً: فلسفة السنن التاريخية وأهدافها
٣٧	.....١. إثبات الطابع العلمي للتاريخ:
٣٩	.....٢. التعبئة والأعداد:
٤٢	.....٣. التوعية والتربية والتثقيف:

## الفصل الثاني

### أنواع السنن التاريخية ومحدداتها

- المبحث الأول: أنواع السنن التاريخية ..... ٥٣
- أولاً. سنة الدين (الفترة): ..... ٥٣
- ثانياً: سنة الابتلاء: ..... ٥٨
- ثالثاً: سنة التمكين والنصر: ..... ٧٠
- عوامل تحقيق سنة التمكين ..... ٧١
- أولاً. أعداد العدة والسلاح: ..... ٧١
- ثانياً. التخطيط وتحديد الهدف: ..... ٧٢
- عوامل تحقيق النصر: ..... ٧٣
- أولاً. الإيمان بالله والتوكل عليه: ..... ٧٣
- ثانياً. الثبات والصبر: ..... ٧٤
- رابعاً. سنة الاستدراج: ..... ٨١
- خامساً. سنة التدافع: ..... ٨٦
- سادساً. سنة التداول: ..... ٨٨
- سابعاً. سنة الله في هلاك الأمم: ..... ٩١
- المبحث الثاني: ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها ..... ٩٧
- ضوابط السنن التاريخية ومحدداتها ..... ٩٥

## الفصل الثالث

### آليات طرح السنن التاريخية وأساليبها

توطئة.....	١٢١
المبحث الأول: الآليات والأساليب الترغيبية.....	١٢٣
أولاً. أسلوب الإغراء:.....	١٢٣
ثانياً: أسلوب الحث والتشجيع.....	١٣٠
المبحث الثاني: الآليات والأساليب الترهيبية.....	١٤١
الأساليب الترهيبية:.....	١٤١
أولاً: أسلوب التحذير:.....	١٤١
ثانياً. أسلوب النهي:.....	١٥٥
ثالثاً: أسلوب الوعظ:.....	١٦٢

## الفصل الرابع

### آثار السنن التاريخية ومعطياتها

المبحث الأول: آثار جريان السنن التاريخية.....	١٦٩
أولاً. آثار ومعطيات الأخذ بالأسباب.....	١٧٠
١. الآثار التنموية وتحقيق الأهداف البعيدة.....	١٧٠
أولاً: الآثار التنموية:.....	١٧٠
ثانياً: تحقيق الأهداف البعيدة المدى:.....	١٧٣
٢. الآثار التوعوية والإصلاحية:.....	١٧٩

- ١٨٨..... ثانيًا. آثار السنن التاريخية في التخطيط والاسراتيجية المستقبلية
- ١٩٣..... المبحث الثاني: آثار تحدي السنن التاريخية

### الخاتمة

- ٢٠٣..... الخاتمة

### المصادر والمراجع

- ٢٠٧..... المصادر والمراجع
- ٢٠٧..... أولاً: المصادر
- ٢٢١..... ثانيًا: المراجع
- ٢٢٦..... ثالثًا: البحوث:
- ٢٢٧..... رابعًا: الرسائل والأطاريح
- ٢٢٨..... خامسًا: المراجع الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية: